المؤمنون في القرآن

الشيخ هاشم نشر

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036758728

BP
134
.R35
S55
v. 1

JAN 26 1973

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

77-961598
(Vol. 1)

المؤمنون في القرآن

تأليف

السيّد قاسم شبّر

الجزء الاول

الطبعة الأولى

مطبعة الآداب في النجف الاشرف

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

BP
134
.R35
S55
v.1

MR JAN 18 1973 PL 480

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فان من منن الله عز وجل ان اقام علماء اجلاء لحراسة المجتمع الاسلامى من عللهم الفاتكة ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

ومن هؤلاء الافذاذ الاجلاء حضرة العالم الفاضل النبيل فضيلة العلامة الحجة السيد قاسم الشبر فانه صانه الله وحماه لم يأل جهداً في موسوعته التي اسماها (المؤمنون في القرآن) فيما يعم المجتمع الاسلامى افراداً أو جماعات وعلى الخصوص الناشئة العصرية وقد اجلت نظري فيها فوجدتها ينتقل القارئ فيها من روضة غناء ذات ازهار فيحاء إلى مثلها في ربيع دائم يجد فيها روحاً وريحاناً وما يوصله إلى دار النعيم جزى الله سبحانه مؤلفها خيراً ولا أراه شراً ولا ضيراً فانه قام بواجب عظيم حق القيام في زمن طغت وبغت فيه الموبقات حتى استغوت كثيراً من الصالحين والصالحات وانا اسأل الله تعالى ان يأخذ بعضده لخدمة العلم والفضيلة ماكرّ الجديدان وتعاقب الملوان .

(محمد الجواد الطباطبائي التبريزي)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

وبعد فان جماعة من شباب النعمانية رغبوا ان ادرسهم بعض الآيات القرآنية التي يلتفعون بها لتعلقها بأحكام شرعية ، أو لأشتمالها على موعظة أو نصيحة وقد أجبتهم إلى ذلك واخترت من المواضيع الآيات التي تذكر صفات المؤمن حتى يتصفوا بها (١) وهذا القسم الأول ثم بعد ذلك نذكر الآيات التي تصف الكافرين والمنافقين ، ان شاء الله تعالى ، وبالله نستعين وعليه نتوكل ونسأله التوفيق والارشاد وانا الاحقر قاسم بن المرحوم السيد محمد شبر نزيل النعمانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن الإمام الحسن العسكري (ع) عن آبائه الطاهرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حملة القرآن المخصوصون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله المقربون من الله من والاهم فقد والا الله ، ومن عاداهم فقد عادا الله ، ويرفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ، وعن قاريه بلوى الآخرة ، والذي نفس محمد بيده لسامع آية من كتاب الله عز وجل وهو معتقد ان المورد له عن الله تعالى محمد الصادق في كل اقواله ، الحكيم في كل افعاله ، المودع ما أودعه الله من علومه أمير المؤمنين علياً ، المعتقد للإنقياد له فيما يأمر ويرسم اعظم اجراً من صرة ذهب يتصدق به من لا يعتقد هذه الأمور بل صدقته وبال عليه .

---

(١) سميته بـ « المؤمنون في القرآن » .

ولقاريء آية من كتاب الله معتقداً لهذه الأمور افضل مما دون العرش إلى اسفل التخوم يكون لمن لا يعتقد هذا الأعتقاد فيتصدق به ، بل ذلك كله وبال على هذا المتصدق ، ثم قال : أتدرون متى يتوفر على هذا المستمع وهذا القاريء هذه المثوبات العظيمات إذا لم يغل في القرآن ولم يجف عنه ولم يستأكل به ولم يراء به ، وقال (ص) : القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن هو حبل الله وهو المنذر المبين والشفاء النافع فاقرأوه فان الله عز وجل ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، اما اني لا أقول (الم) حرف واحد ولكن الف ولام وميم ثلاثون حسنة ، وقال (ص) : يرفع الله بهذا القرآن والعلم بتأويله وبموالاتنا أهل البيت ، والتبري من اعدائنا اقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم وترمق اعمالهم ويقتدى بافعالهم وترغب الملائكة في خلهم ، وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها

ثم قال الإمام الحسن العسكري (ع) : بعد ذكره هذه الرواية اما قوله الذي لدبك اليه وامرك به عند قراءة القرآن (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)

مقدمة في معنى الاستعاذة :

لو ان شخصاً له عدو لدود خبيث يريد ان يوقعه في المهالك ويترقب الفرصة في ذلك فاذا ظفر به واستولى عليه ذلك العدو لا يمكنه التخلص منه فاراد ان يلجيء هذا الرجل إلى من يجيره من هذا العدو فقال لملك قوي اني أريد ان تحميني وتمنعني من هذا العدو فقال له الملك : اني احميك واحفظك منه ولكن اياك ان تقترب اليه فيخدعك ويأمرك بارتكاب بعض

الاشياء التي امنعك عنها فانك إذا فعلتها سوف اغضب عليك وغضبي عليك يكون سبباً لهلاكك ودمارك فلا تطعه في شيء يأمرك به كان لك فيه شيء من لذة أو أنس أو مسرة ، ثم بعد ما عاهد الرجل ذلك الملك على ذلك جاءه ذلك العدو فخدعه وغره واغواه ففعل ما نهاه عنه ذلك الملك مراراً عديدة ، فهل يستحق الرأفة والرحمة من ذلك الملك بعد ان اعطاه العهود المؤكدة ان لا يقرب من العدو ولا يطيعه ؟ إذا عرفت ذلك فاعلم ان العبد إذا قال : (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فمعناه اني احترز وامتنع بالله الخالق القدير العزيز من ان يغويني الشيطان واطلب من الله ان يجيرني منه وان يبعده عني ولا يجعل له علي سلطة بأن يجعلني من المؤمنين الذين وصفهم بقوله : (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) .

وبعد هذا الطلب من الله عز وجل إذا طاوع الشيطان وارتكب بعض المحرمات أو ترك بعض الواجبات يكون حاله كحال ذلك الرجل لا يستحق من الملك إلا الطرد على اقل التقادير ، ولكن الله سبقت رحمته غضبه فاذا تاب العبد وناب وترك اطاعة الشيطان فالله هو التواب الرحيم ، فاذا قال العبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فليقل عن تدبر وتأمل ، ونية صادقة حتى يعرف معناها فيخاطب بها الله .

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

اتفقت الإمامية على ان البسملة آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته (١) .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : مالهم قاتلهم الله عمدوا إلى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة إذ اظهروها وهي (بسم الله الرحمن الرحيم) فعند الشيعة ان البسملة يجب الجهر بها في الصلاة ويستحب الجهر بها في الصلاة الاخفاتية :

وروي عن الرضا (ع) انه قال : البسملة اقرب إلى اسم الله الاعظم من سواد العين إلى بياضها :

وروي عن النبي (ص) انه قال : إذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم وقالها الصبي كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم

وعن ابن مسعود قال : من أراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها جنُّة من واحد منها :

---

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٢١ مطبعة العلمية قم .

قال العلامة المرحوم المراغي في تفسيره ج ١ ص ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يرى بعض الصحابة كابي هريرة وعلي وابن عباس وابن عمر وبعض التابعين كسعيد بن جبير وعطاء والزهري وابن المبارك وبعض فقهـاء مكة وقرائها ومنهم ابن كثير وبعض قراء الكوفة وفقهائها منهم عاصم والكسائي والشافعي واحمد ان البسملة آية من كل سورة من سور القرآن الكريم ومن ادلتهم على ذلك :

(١) اجماع الصحابة ومن بعدهم على اثباتهـا في المصحف اول كل سورة عدا سورة برائة مع الامر بتجريد القرآن من كل ما ليس منه ومن ثم لم يكتبوا (امين) في آخر الفاتحة .

(٢) ما ورد في ذلك من الاحاديث فقد اخرج مسلم في صحيحه عن انس (رض) انه قال : قال رسول الله (ص) : « انزلت علي انفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » وروى ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله كان لا يعرف انقضاء السورة حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وروى الدارقطني عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال : « إذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها » .

(٣) اجمع المسلمون على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والبسملة بينها فوجب جعلها منه انتهى .

هذا ما يتعلق بالبسملة واما بالنسبة إلى مجموع الفاتحة فانها مكية وقيل نزلت مرة ثانية بالمدينة واسماؤها :

الحمد ، الفاتحة أو فاتحة الكتاب ، أم الكتاب ، السبع المثاني ، الكافية ،

الشفاء وغير ذلك .

فضلها : ـ

من قرأها يعطى اجر من قرأ ثلثي القرآن ، وما قرئت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن .

وعن الباقر عليه السلام من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء .

وعن الصادق عليه السلام لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان عجباً .

قال سبحانه وتعالى (وانزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) مما ارشدنا اليه انا إذا أردنا عمل شيء ان نبدأ باسمه ليكون العمل مباركا ويتم على احسن الصور واكملها . والباء للاستعانة أي استعينوا على اكمال اعمالكم بالبدء باسمه تعالى .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر . ثم ان كلام الله كأنه على لسان عبده فيكون كلام العبد بعد البسملة هو الحمد لله تعالى على الخلق والرزق وتدبير الأمور وحفظهم من المهالك ومن شر الجن والشياطين .

« رب العالمين » يعني انه خالق لجميع الاصناف والانواع من الحيوان والنبات والجماد وغيرها . ونقل عن الراغب الاصفهاني انه قال : عند قوله تعالى الحمد لله رب العالمين ان الذي يحمد ويمدح ويعظم في الدنيا انما يكون كذلك بأحد وجوه أربعة :

١ ـ اما ان يكون كاملا في ذاته وصفاته منزهاً عن جميع النقائص والمعايب وان لم يكن منه احسان اليك .

٢ ـ واما لكونه محسناً اليك منعماً عليك .

٣ ـ واما لأنك ترجو فضل احسانه اليك في المستقبل من الزمان .

٤ ـ واما لأجل ان تكون خائفاً من قهره وقدرته وكمال سطوته :

فهذه الجهات الموجبة للتعظيم فكأنه تعالى يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان والتربية والانعام فاني انا رب العالمين وان كنتم تعظمون للطمع في المستقبل فانا الرحمن الرحيم ، وان كنتم تعظمون الخوف فانا مالك يوم الدين . ثم بعد ما يعترف العبد بهذه الصفات ويثبتها لله تعالى ويحمده على هذه النعم يلتفت من الغائب إلى المخاطب فيخاطبه بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » ويطلب منه الهداية والارشاد إلى الصراط المستقيم :

العبادة هي اعلى مراتب الخضوع والتذلل ولذا لا يستحقها إلا المولى لأعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعها ، وتقديم المفعول به لأجل حصر العبادة به ، وحيث انها لا تكون عبادة إلا إذا كانت خالصة من كل شائبة دنيوية يطلب العبد من الله اعانته على مثلها حتى تكون مقبولة لدى المعبود يستحق عليها الجزاء من المعبود ، وتكرار الضمير لبيان ان الاستعانة لا تكون إلا منه ، فلا يمكن الاستعانة بغيره ، وتقديم العبادة لكونها هي الوسيلة لطلب الحاجة من المعبود ، ولمناسبة تقديم مطلوبه على مطلوبهم وانما جاء بصيغة الجمع ، مع ان الأنسب في مقام التذلل الافراد اشعاراً بحقارة عبادة الفرد فجمعها مع غيرها يجعلها كبيع الصفقة ، اما ان يقبل الجميع أو يرد الجميع ، والله تعالى اكرم من ان يرد الجميع إذ لابد من وجود عبادة مقبولة فيها كعبادة امام الزمان ، فالانسب بالمتعبد ان يجعل عبادته في أول وقتها الذي يصلي فيه الامام لكي تصعد معها وتقبل بقبولها ، وذكروا في وجه الالتفات أيضاً ان المدح والثناء انما هو اظهار مزايا المحمود للغير ولذا جيء به بصيغة الغائب ، واما العبادة فينبغي اخفائها عن الغير لتكون خالصة لوجه المعبود فجيء بها بصيغة الخطاب ، وهذا ما اشار اليه الامام امير المؤمنين

عليه السلام : أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك :

وعن الصادق عليه السلام : لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون :

« اهدنا الصراط المستقيم »

بعد ان اعترف العبد بالعبودية الخالصة وطلب منه الاعانة عليها وعلى سائر الاشياء ، طلب منه الهداية وهي الدلالة والارشاد إلى الطريق الذي يوصله إلى الله ، ويجعله مقرباً لديه ، فان الطريق المستقيم هو طريق الحق ، وهو ملة الاسلام التي جاء بها النبي من عند الله ، من غير تبديل ولا تغيير البرغاني في تفسيره مفتاح الجنان في حل رموز القرآن ج ١ ص ٢٩

قال البهائي : هداية الله على اربعة انحاء :

اولها : الهداية إلى جلب المنافع ودفع المضار بافاضة المشاعر الظاهرة والمدارك واليه يشير قوله تعالى « واعطى كل شيء خلقه ثم هدى » :

وثانيها : نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل ، والصلاح والفساد واليه يشير قوله تعالى : « وهديناه النجدين » .

وثالثها : الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واليه يؤمى قوله تعالى « اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » .

ورابعها : الهداية إلى طريق حضائر القدس والسلوك إلى مقامات الانس بانطماس آثار التعلقات البدنية واندراس اكدار الجلابيب الجسمية والاستغراق في ملاحظة اسرار الكمال ومطالعة انوار الجمال وهذا النوع يختص به الاولياء ومن يحذو حذوهم فاذا تلا هذه الآية اصحاب المرتبة الثالثة أي أرادوا بالهداية المرتبة الرابعة وإذا تلاها اصحاب المرتبة الرابعة أرادوا الثبات على ما هم عليه من الهدى انتهى :

والصراط صراطان احدهما في الدنيا والاخر في الآخرة .

اما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعه من عرفه في الدنيا واقتدى به مر على الصراط الثـاني وهو جسر جهنم في الاخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم يقول الامام عليه السلام في تفسير اهدنا الصراط المستقيم أي أدِم لنا توفيقك الذي به اطعناك فيما مضى من ايامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمارنا .

وروي عن الصادق (ع) في تفسيرها قال : ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع هوانا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك .

« صراط الذين انعمت عليهم »

أي اهدنا صراط الذين انعمت عليهم ، يقول الامـام : وهم الذين ذكرهم الله بقوله « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الـذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » .

ثم قال عليه السلام ليس المراد بالمنعم عليهم هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وان كان كل هذا نعمة من الله ظـاهرة ألا ترون ان هؤلاء المنعم عليهم بالمال قد يكونون كفاراً وفساقاً فما ندبتم ان تطلبوا من الله بان ترشدوا إلى صراطهم وانما امرتم بالدعاء لأن ترشدوا الى صراط الـذين انعم عليهم بالايمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد (ص) وآله الطيبين .

قال بعض العلماء : ان نعم الله وان كانت لا تحصى ولا تعد ولكن انواعها ثمانية :

اما دنيوي موهبي روحاني كافاضة العقل ، واما دنيوي وهبي جسماني كخلق الاعضاء ، واما دنيوي كسبي روحـاني كتحلية النفس بالاخلاق الزكية ، واما دنيوي كسبي جسماني كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة ، واما اخروي موهبي روحاني كغفران ذنب من لم يتب ، واما اخروي موهبي

جسماني كانهار العسل ، واما اخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب ، واما اخروي كسبي جسماني كاللذات الجسمانية المستجلبة بالطاعات ، والمراد هنا الاربعة الأخيرة وما يكون وصلة اليها من الاربعة الاول لاشتراك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك :

« غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

روي عن الصـــادق (ع) قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم يا معلم الخير اعلمنا أي الاشياء اشد ؟

فقال : اشد الاشياء غضب الله عز وجل ، قالوا فيم يتقى غضب الله ؟ قال : ان لا تغضبوا ، قالوا : ومـــا بدء الغضب ؟ قال : الكبر والتجبر ومحقرة الناس .

وقد ذكر المفسرون ان المغضوب عليهم هم اليهود بقوله تعالى « منهم من لعنه الله وغضب عليه » وان الضالين هم النصارى لقوله تعـــالى فيهم « قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً » فيكون المقصود من المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وقال بعض المفسرين ان المقصود مطلق من اتصف بذلك من الكفار وغيرهم .

قال أمير المؤمنين (ع) في هذه الآية : ان الله امر عباده ان يستعيذوا به من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الـــذين قال الله فيهم « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه » وان يستفيدوا من طريق الضالين وهم الذين قال الله فيهم « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » وهم النصارى ، ثم قال عليـه السلام كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله .

روي عن النبي (ص) انه قال : انما اخاف على امتي من ثلاثاً شحاً

مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، وامامٌ ضالٌ ، والمقصود من الامام الضـــال هو كل رجل ضال عن طريق الحق ويدعو الناس إلى سلوك طريقه وهم يتبعونه ويسلكون طريقه فيكون على الامام وزره ووزر من اتبعه .

كما روي عن الصادق (ع) قال : كان رجل في الزمن الاول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها ، وطلبها من حرام فلم يقدر عليهـا ، فاتاه الشيطان ، فقال له : ياهذا انك طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها ، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها ، أفلا ادلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك قال : بلى ، قال : تبتدع ديناً وتدعو اليه الناس ، ففعل فاستجاب له الناس ، واطاعوه واصاب من الدنيا ثم انه فكر في نفسه وقال : اني ابتدعت ديناً ودعوت الناس اليه فما ارى لي توبة إلا آتي من دعوته اليه ، فارده عنه فجعل يأتي اصحابه الذين اجابوه فيقول : ان الـذي دعوتكم اليه باطل ، وانما ابتدعته من نفسي فجعلوا يقولون كذبت في قولك هذا وهو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه ، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه ، وقال : لا احلهـــا حتى يتوب الله عز وجل عليّ ، فاوحى الله إلى نبي من انبيائه قل لفلان وعزتي لو دعوتني حتى تتقطع اوصالك ما استجبت حتى ترد من مات على مـــا دعوته اليه فيرجع عنه .

وروي عن سماعة قال قلت لابي عبد الله (ع) : قول الله تبارك وتعالى « من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » فقال (ع) : من اخرجها من ضلال إلى هدى فقد احياها ومن اخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلهـا ، ويؤيد الخبر المروي عن الصادق (ع) ما روى عن النبي (ص) انه قال : ابى الله لصـــاحب البدعة بالتوبة وابى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة ، فقيل يارسول الله

وكيف ذلك ؟ قال : اما صاحب البدعة فقد اشرب قلبه حبها واما صاحب الخلق السيء فاذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم من الذنب الذي تاب منه .

وعن الحلبي قال قلت لابي عبد الله (ع) ما ادنى ما يكون به العبد كافراً ؟ قال : ان يبتدع شيئاً فيتولى عليه ويبرأ ممن خالفه . وانما تعرضنا للبدعة لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، فيكون صاحب البدعة من الضالين المضلين الذين نستعيذ بالله منهم في كل يوم وليلة عشر مرات في صلواتنا المفروضة بامر من الله . ومن ترك الاستعاذة منهم بترك الصلاة صار منهم ودخل في زمرتهم فيلزمنا الاستعاذة منه ايضاً .

فيا اخي المسلم احذر هذا الزمان واهله فان البدع قد كثرت فيه وتنوعت ، إذ ان هذه الاحزاب التى تدعو اليها جماعات المسلمين وكل فرقة تعتنق حزباً منها كلها بدع تدعو إلى الضلالة .

وان البدعة هي احداث امر في الشريعة لم يرد فيه نص ، فالدخول فيها والانتساب اليها دخول في الضلالة .

تنبيه : ـ

ومن شجون الحديث ما رواه الفريقان العامة والخاصة عن النبي (ص) حيث قال : « انى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » .

أخي المسلم : ـ تأمل في هذا الحديث فانه بلسان عربى مبين ليس فيه اجمال ولا تعقيد فانه صريح واضح بان من لم يتمسك بالثقلين فهو ضال ، اخي اقرأ سورة الفاتحة وتدبر في قوله تعالى الذي نقوله انت « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ثم بعد ما تقرأها تأمل في حديث الثقلين ثم انظر هل تنطبق الآية والحديث

نفسك أو ان كلامك بوادٍ وعملك بوادٍ اخر فلا يغرنك الشيطان ولا يخدعك عن نفسك فانها اعز الانفس عليك .

تتمة : -

روي عن النبي (ص) قال : قال الله عز وجل قسمت الحمد بيني وبين عبدي نصفين فنصف منها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم قال : الله عز وجل بدأ عبدي بأسمي حق علي ان أتمم له اموره وابارك له في امواله ، فاذا قال : « الحمد لله رب العالمين » قال الله عز وجل : حمدني عبدي وعلم ان النعم التي له من عندي وان البلايا التي اندفعت عنه فبطولي اشهدكم يامملائكتي اني اضيف له نعم الدنيا إلى نعيم الآخرة وادفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله عز وجل : شهد لي عبدي باني الرحمن الرحيم اشهدكم لاوفرن من رحمتي حظه ولاجزلن من عطائي نصيبه . وإذا قال « مالك يوم الدين » قال الله تعالى : اشهدكم كما اعترف باني الملك يوم الدين لاسهلن يوم الحساب عليه حسابه ولأثقلن حسناته ولأتجاوزن عن سيئاته فاذا قال العبد : « اياك نعبد » قال الله : صدق عبدي اياي يعبد اشهدكم لاثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي ، فاذا قال العبد : « واياك نستعين » قال الله عز وجل بي استعان عبدي وإلي التجأ اشهدكم لاعينه في شدائده ولآخذن بيده يوم نوائبه ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم ... الخ » قال الله عز وجل : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قد استجبت لعبدي واعطيته ما امّل وامنته مما منه وجل انتهى .

أيها المسلم : إذا قرأت الحمد بنية صادقة خالصة فإن الله قد تعهد لك ان يرشدك إلى الصراط المستقيم ، وقد فعل ذلك جلت عظمته حيث دلنا على الطريق وامرنا ان نسير فيه بخط مستقيم ، ولكن بعض العباد يميل

مرة إلى الغرب ومرة إلى الشرق وتارة يقطع نصف الطريق أو ثلثي الطريق ، ثم يرجع القهقرى ومرة اخرى يقطع هـذه المسافة ويقف في مكانه متحيراً وكلما يؤمر بالسير يمتنع ويصر على العصيان ، مع ان الوصول إلى الغاية لا يتم إلا بقطع الطريق إلى نهايته .

أيها المسلم : ـ سواء اكنت جليلا أو حقيراً او غنياً أو فقيراً أو تاجراً أو غير ذلك من سائر الاصناف حيث ان اغلب الناس قد خـالف القرآن والسنة فلو انك تعمل بسورة الفاتحة وحدها لهدتك إلى ما ينتظم به دينك ونياك ، نحن الآن في سنة ١٣٨٨ هجرية وان البلاد الاسلامية كلها في اضطراب وتشويش ونرى كل فرقة منها قد اعتنق مبدأ مخالفاً للدين فبين متظـاهر به وبين مختف مستتر به والله يخاطب نبيه بقوله : « ان الـذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء انما امرهم إلى الله ثم ينبئهم بمـا كانوا يعملون » (١) .

ايها المسلم ارجع إلى دينك وكتابك واعمل بما امرك به نبيك وسر على الطريق الذي امرك به الله « انما المؤمنون اخوة » وتنبهوا لما دسه العـدو الاجنبي الذي يريد استعماركم فانكم لا تحصلوا على شيء مـا لم تتقوا وتكونوا اخوة ، ايها المسلم المصلي سر على الطريق المستقيم الذي تطلبـه من الله في كل يوم عشر مرات ولا تخرج عنه مغرباً أو مشرقاً .

هذا آخر الكلام في سورة الفاتحة وقد ذكرنا في اول الامر ان المقصود هو التعرض للآيات التي تصف المؤمن وتذكر شروطه وانما ذكرنا الفـاتحة لأنها ام الكتاب وهي التي توجد حقيقة المؤمن فمن اتصف بمـا فيها من وصف فهو من سادات المؤمنين وهو الذي يلزم المؤمنين الاقتداء به ونسأله تعالى ان يجعلنا منهم .

---

(١) سورة الانعام آية ١٥٩ .

الكلام في سورة البقرة من الآية ١ إلى الاية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين »

لقد اختلف العلماء في معنى الحروف المقطعة التي تكون في اوائل السور وذكروا وجوهاً كثيرة ونحن نذكر قولا واحداً هو ان المراد منها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته ولم تقدروا على الاتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم ، فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا انه من فعل الله تعالى وتكرارها في مواضع عديدة تأكيداً للحجة والأولى ان نقول ان هذا من قسم المتشابه « الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » كما روى ذلك في اخبارنا الواردة عن الأئمة عليهم السلام .

قوله « ذلك الكتاب » اشارة إلى « الم » فيكون « الم » مبتدأ وذلك مبتدأ ثان والكتاب خبر للمبتدأ الثانى والجملة خبر للمبتدأ الأول « لا ريب فيه » قال الامام يعني ان القرآن الذي افتتح بـ « الم » هو ذلك الكتاب الذي اخبر به موسى ومن بعده من الانبياء وهم اخبروا بني اسرائيل انى سأنزله عليك يامحمد لاشك فيه لظهوره عندهم فهو خبر بمعنى الأمر أي لا ترتابوا فيه .

« هدى للمتقين » :

الهدى هو الارشاد والدلالة والبيان بما ينفعه ويوصله إلى الحق حتى يصل اليه والردع عما يضله وهو عام لكل احد ، وانما خص المتقين لانهم هم المنتفعون به قبل غيرهم ، والتقوى عبارة عن التحرز والتحفظ عما يضره فانها مأخوذة من الوقاية وهي في اللغة فرط الصيانة وفي العرف الشرعي صيانة النفس عما يضرها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ، والتقوى صفة جامعة لكل ابواب الخير وهي احسن صفة يتصف بها العبد لتقربه

إلى الله ، فقال تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » فقد اقتصر سبحانه على هذه الكلمة ولا شك انه تعالى اعلم بصلاح العبد من كل احد ، ورحمته ورأفته اجل من كل رحمة ورأفة ، فلو كان في عالم النصح والأرشاد كلمة أو خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير من هذه الخصلة لكانت أولى بالذكر واحرى بأن يوصي بها عباده ، وقد كرر الله ذكرها في القرآن وعلق عليها فوائد كثيرة عظيمة .

قال بعض العلماء : ان خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيه :-

١ - المدحة والثناء : قوله « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

٢ - الحفظ والحراسة : قوله « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » .

٣ - التأييد والنصر : قوله « ان الله مع الذين اتقوا » .

٤ - النجاة من الشدائد والرزق الحلال : قوله « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وحيث ان النبي (ص) والأئمة عليهم السلام قد ذكروا في بيان هذه الاية كثيراً من الأمور رأيت الانسب ذكر بعض ما ورد عنهم ، ثم نأتي على بقية ما ذكره هذا العارف ، قال في التفسير « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » من كل كرب في الدنيا والآخرة .

وعن النبي (ص) قال : يجعل له مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وقال امير المؤمنين (ع) يجعل له مخرجاً

من الفتن ونوراً من الظلم ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من وجه لم يخطر بباله ، وقال رسول الله (ص) في وصيته لابي ذر : لو ان الناس اخذوا بهذه الآية لكفتهم « ومن يتق الله » .

وقال الصادق (ع) في جواب رسالة النجاشي : ثم انى اوصيك بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، والاعتصام بحبله الى ان قال : واعلم ان الخلائق لم يوكلوا بشيء اعظم من التقوى ، فانه وصيتنا أهل البيت .

وقال الحسين بن علي (ع) في بعض مواعظه : « اوصيكم بتقوى الله فان الله قد ضمن لمن اتقاه ان يحوله عما يكره الى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب ، فاياك ان تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويامن العقوبة من ذنبه فان الله تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته ولا ينال ما عنده إلا بطاعته » . فلنرجع الى كلام من عدد فوائد التقوى قال :

٥ ـ صلاح العمل : قوله « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم » .

٦ ـ غفران الذنوب : قوله بعد قوله « يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » .

٧ ـ توجب محبة الله : قوله « ان الله يحب المتقين » ،

٨ ـ قبول الاعمال : قوله « انما يتقبل الله من المتقين » .

٩ ـ الاكرام والاعزاز : قوله « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

١٠ ـ البشارة عند الموت : قوله « ان الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . وقد فسرت البشارة في الحياة الدنيا بكونها عند الموت .

١١ ـ النجاة من النار : قوله « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

١٢ ـ الخلود في الجنة : قوله « اعدت للمتقين » :

فقد ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير ، انتهى .

ومما يتعلق بالتقوى قول النبي (ص) لبني هاشم : لا تقولوا ان محمداً منا فوالله ما اوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون .

ومن جملة كلام أمير المؤمنين (ع) لابى ذر : ولو ان السماوات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهـا مخرجاً ولا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل ،

وسئل الصادق عن تفسير التقوى فقال (ع) : « ان لا يفقدك الله حيث امرك ولا يراك حيث نهاك » .

وقال رجل لبعض الناسكين : صف لنا التقوى ، فقال : إذا دخلت ارضاً فيها شوك كيف كنت تعمل ؟ قال : اتوقى واتحرز ، قال : فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى .

وذكروا ان للتقوى مراتب ثلاث :

الأولى : وقاية النفس عن العذاب وهذا يحصل بالتوقي عن الشرك .

الثانية : التجنب عن كل ما فيه اثم ، من ترك الواجب وفعل الحرام وهو اجتناب المعاصي .

الثالثة : التوقي عن كل ما يشغل القلب عن الحق ويدخل في هـذه المرتبة اجتناب المكروهات بل اجتناب المباحات المشغلة للقلب ، فتحصّل مما ذكرنا ان المتقي هو الـذي اتقى انواع الكفر فتركها واتقى انواع الذنوب الموبقات فرفضها واجتنبها واتقى كل ما يلهيه عن ذكر الله فتباعد عنها .

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

هذه صفات المتقين التي وصفهم الله بهـا فان التقوى لما كانت من

صفات النفس الباطنة ولم يكن لها وجود خارجي دلنا الله على اثارهـا الخارجية التى تعرف بها فذكر لها خمس صفات :

الأولى : الايمان بالغيب وهو الشيء الغائب الذي لا يدرك بأحـد الحواس وذلك مثل التصديق بالبعث والنشور والصراط والجنة والنار وقيام المهدي (عجل) .

الثانية : اقامة الصلاة ، والمقصود ان يأتون بها تامة الأركان والشرائط وان يصونوها عما يفسدها أو ينقصها .

الثالثة : الانفاق مما رزقهم الله من الاموال والابدان والقوى والجاه والعلم فان الرزق هو كل ما يحتاج اليه الانسان فيشمل هـذه الامور كلها وقد اسند الله الرزق اليه تنبيهاً على ان الحرام منه ليس من عنـده وينهى عن اخذه وان المنفق منه لا يستحق المدح . والاشارة بـ (من التبعيضية) الى المنع عن التبذير وصرف جميع المال فيبقى صاحبه كلا على الناس والانفاق من المال يشمل الحقوق الواجبة وغيرها (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون) هذه الصفة الرابعة من صفات المتقين انهم يصدقون بما انزل اليك من القرآن ويعترفون انه من عند الله عز وجل وان شريعتك من عند الله ويؤمنون بان ما انزل من قبلك من الكتب كالتوراة والانجيل والزبور وغيرها انها من الله عز وجل .

الخامسة : من صفات المؤمنين انهم يوقنون بالاخرة وهي الدار التي تكون بعد الدار الدنيا فهم موقنون بها لا يشكون فيها ولا يعتريهم الريب والزيغ . فهذه الصفات الخمس هي علامات المتقين وهي :

١ ـ الايمان بالغيب .

٢ ـ اقامة الصلاة .

٣ ـ الانفاق من الرزق .

٤ ـ التصديق بانزال الكتب ؛

٥ ـ اليقين بالدار الاخرة ؛

وبعدما اعلمنا الله بصفاتهم اعلم الملأ وبشر المتقين انهم على صواب وعلى علم من اوامر ربهم بخلاف غيرهم ممن يجهل اوامره أو يشك فيها ثم بشرهم باعلام غيرهم ان هؤلاء القوم هم المفلحون والفلاح هو النجاح والفوز بما يؤمله الانسان من الجوائز والثواب الذي لا تخطر على بال احد فقد حث سبحانه سائر العباد على الالتحاق بهؤلاء القوم والاتصاف بصفاتهم حتى يعدوا من المتقين ويكونوا من المفلحين .

(آية ٢١ سورة البقرة)

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

لما ذكر الله الاية التي وصف بها المتقين عقبها بذكر غيرهم من الفرق واختلافهم في العبادة ثم التفت بهذه الاية اليهم وناداهم وخاطبهم جميعاً لتعلم كل فرقة بل كل فرد انه معني ومقصود بالخطاب وامرهم ارشاداً وهداية لهم ودلالة على ما ينفعهم فقال (اعبدوا ربكم) فان الرب الخالق والذي بيده جميع الامور من الرزق والموت والحياة هو الاولى بالعبادة والمستحق لها دون غيره الذي هو مخلوق له والمقصود من العبـادة ان يخضعوا له غاية الخضوع ويطيعوه في كل ما يأمرهم به ولا يشركوا به احداً ثم قال (لعلكم تتقون) فاذا عبـد الانسان خالقه لا يكون من المتقين حتما بل يمكن ان لا يكون من المتقين لسوء اختياره فاذا اتصف العابد بالصفات المتقدمة كان من المتقين فالمطلوب من الناس في الاية هي عبادة الله الخالصة لوجهه الكريم فاذا عبدوه كذلك راجين وصولهم الى درجة التقوى وفقهم الله لها .

« انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن اصحاب الجحيم »

آية ١١٩ سورة البقرة

ان في هذه الآية تسلية من الله لنبيه (ص) على مخالفة من خالفه وعدم قبولهم لما جاء به من عند الله إذ يقول له « انا ارسلناك» بالحق وهو القرآن ودين الاسلام المتكفل لمصالح الدنيا والاخرة ، « بشيراً ونذيراً » لتبشر المؤمنين الذين اتبعوك وصدقوك بالنعيم الدائم وتنذر الذين كذبوك وخالفوك بأن مصيرهم إلى الجحيم وانت غير مسؤول عنهم بعد ما أديت ما عليك من ابلاغ الرسالة ، فليس عليك اجبارهم على قبول ما جئتهم به من الله ولا تؤاخذ بذنبهم ، وهذه الاية وان لم يكن فيها بعض ما على المؤمن من التكليف لكنها مقدمة للاية التي بعدها وهي قوله تعالى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير » .

آية ١٢٠ سورة البقرة

كان اليهود والنصارى يطلبون من النبي (ص) الهدنة ويظهرون له انه ان هادنهم وامهلهم اتبعوه وكان هو (ص) يجتهد في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فاخبره الله انهم لا يسلمون أبداً وامره بترك ما يرضيهم والرجوع إلى جهادهم وأعلمه انهم لا يرضون إلا بمتابعتهم في دينهم وهذا من الرسول لا يمكن ان يصدر وانما هو اعلام لامته ، وأمره الله ان يقول لهم « ان هدى الله هو الهدى » أي قل لهم ان دين الاسلام المنزل في القرآن هو الهدى الحق وعليه الطريق المستقيم وهو الذي يرضى به الله وهو الموصل إلى الجنة حيث انه بدلالة من الله وهذا اعلام بعدم اسلام اليهود فليس معه امل أو احتمال في اسلامهم وعدم رضاهم عن المسلم إلا باتباعهم ثم بين سبحانه حكم من يتبعهم بقوله « ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم

ما لك من الله من ولي ولا نصير » اسمعوا ايها المسلمون وتأملوا جيداً في هذه الاية الشريفة فان من أراد منكم ان يرضي اليهود والنصارى باتباعهم فيما يهوونه بعد ما جاءكم من القرآن والسنة النبوية فليس لهم ولي يحفظهم من عقاب الله وليس لهم نصير يعينهم أو يدفع عنهم العقاب الذي يستحقوه جزاء لارضاء اعداء الله :

فيأيها المؤمنون : ياأيها المسلمون ، ياأولي الامر ، التزموا بكتاب الله وشريعته واحكموا بما انزل الله فقد قال تعالى في محكم كتابه :

« ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون »

« ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون »

« ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون »

ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم ، فيعمكم بعقاب من عنده ويجري عليكم سنته فيمحقكم محقاً .

ثم تأملوا جيداً في الاية فانه تعالى قال « ولئن اتبعت اهواءهم » أي ان الذي يدعونكم اليه اليهود والنصارى هو ناشيء عن اهوائهم غير مستند الى شريعة سماوية وان الذي انتم عليه معلوم لديكم انه نازل من الله فلا تتركوا ما تعلمون انه حق وتأخذوا بالذي هو ناشيء عن الهوى أي هوى اعدائكم واي انسان يفعل هذا الفعل أي يترك الحق المعلوم ويأخذ بهوى عدوه ، فهو في غاية من السفاهة والسقوط ، فكل رجل فقير مسلم أو زعيم مسلم إذا ترك حكم القرآن واخذ باحكام النصارى فقد ارتكب اموراً خطيرة كل واحد منها موجب لكفره :

١ ـ نبذه لاحكام القرآن :

٢ ـ اخذه واتباعه هوى اعداء الاسلام .

٣ ـ خيانة المسلمين من أهل شعبه .

٤ - ترجيح منفعة الكافر العدو على منفعة نفسه ومنفعة سائر المسلمين وهو يظن ان هؤلاء الأعداء ينفعونه ويغفل عن ان الامور كلها بيد الله وانه يتمكن على اهلاكه في اقل من طرفة عين كما جرى ذلك في التاريخ بالنسبة للطغاة والمارقين قال رسول الله (ص) : صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء : فالواجب على العلماء القول والواجب على الامراء التنفيذ .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »

آية ١٥١ سورة البقرة

قد ذكر الله في الايات السابقة على هذه الاية كيفية تحويل القبلة إلى الكعبة وعرف المسلمين انه قد انعم عليهم بأن جعل لهم البيت الذي بناه ابراهيم ودعا له بما دعا من الخيرات والبركات قبلة فهذه منة من الله عليهم ثم ذكر لهم منة اخرى وهي الامتنان عليهم بأن ارسل لهم رسولا يتلوا عليهم آياته ... الخ . فهذا الخطاب من الله الى العرب يعرفهم انه ارسل لهم رسولا منهم وهو محمد بن عبد الله (ص) فهذا شرف عظيم شرف الله به العرب فيكون ادعى لهم الى الايمان به واتباعه مضافاً الى المنافع الجليلة التي جاء بها وقد ذكرها بقوله « يتلوا عليكم آياته » وهي آيات القرآن المشتملة على الاداب والاحكام ونظام الدنيا والاخرة . « يزكيكم » أي يعرضكم لما تكونوا به ازكياء حيث يأمركم بطاعة الله واتباع مرضاته : « ويعلمكم الكتاب والحكمة » أي القرآن والوحي من السنة . « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » أي يعلمكم اشياء لا يمكن العلم بها إلا من طريق الوحي .

تنبيه : -

ان الله قد شرف العرب وفضلهم بهذه الايات بانواع من الفضل والكرامة ولو ان الخطاب في هذه الاية كان لامة اخرى غير العرب لكتبوها بالذهب ولعلقوها في المحافل والنوادي والطرق العامة افتخاراً بها امام العالم ومع كل الاسف ان العرب ما عرفوا هذا الشرف وما قدروه وما شكروا الله على هذه النعمة وما عملوا بمضامين الايات فكأن المخاطب غيرهم والمقصود سواهم ، ايها العربي المسلم التفت الى النعم وعددها

١ - ان الله انعم علينا بتحويل القبلة الى الكعبة حيث ان اليهود كانوا يعيرون النبي والمسلمين بأنهم اتبعوا قبلتهم فحول الله القبلة .

٢ - ان الله ارسل لكم رسولا منكم عربياً يكلمكم بلغتكم فتفهمون منه بلا واسطة .

٣ - ان هذا الرسول يتلو عليكم آيات الله وهي آيات القرآن المشتملة على اعلى درجات الفصاحة والبلاغة حيث اعجزت جميع البشر ان يأتوا بآية مثلها .

٤ - يعلمكم الكتاب والتعليم شيء آخر غير التلاوة فان التعليم عبارة عن تفسير كلماته وكشف غوامضه وغير ذلك مما يخفى على الناس .

٥ - ويزكيكم أي ينمي في علومكم ومعارفكم ويطهركم من الاعتقادات الفاسدة كالشرك والكفر ومن الاخلاق الرذيلة كالشح والكبر ومن الافعال القبيحة الشنيعة كالقتل والزنا وشرب الخمر والمقامرة .

٦ - يعلمكم الحكمة وهي ما أوحى اليه من السنة .

٧ - يعلمكم ما لم تعلمون وهو كل شيء لا يعلم إلا بالوحي .

٨ - وهو اعلاها واشرفها وافضلها وهو توجيه الخطاب اليكم ولو عقلتم علو هذا الشرف والفضل لتهافتم عليه تهافت الفراش على النور

اللامع فانه تعالى أراد سوقكم الى اقصى مراتب الكمال وافضل صفات الانسانية وانعم عليكم بنعمة ليس لها ثمن ولو طبقتم ماأمركم به النبي (ص) لارتفعتم الى اعلى مراتب العز والشرف في الدنيا والاخرة ولسدتم به العالم باجمعه ولكنكم رغبتم عن هذه الرتب العالية ولم تتق لها نفوسكم ثم انه سبحانه بعدما لفت نظركم الى هذه النعم الجسيمة والفضائل العظيمة التي فضلكم بها امركم بشيء واحد ووعدكم انكم إذا فعلتم هذا الشيء وداومتم سوف يبقي هذه النعم عليكم ولا ينقص منها شيئاً ، فقال عز وجل : « فاذكروني اذكركم » آية ١٥٢ سورة البقرة »

تكليف يسير ما أخفه وما اسهله وجزاء عظيم جزيل ما أنفعه وما افخمه ، ايها المسلم ان الله عز وجل يخاطبك بلا واسطة ويقول لك اذكرني اذكرك فاذا ذكرك الله الذي بيده الامور كلها قضى لك امورك كلها الدنيوية والاخروية والمقصود من الذكر في الاية الشريفة ليس الذكر باللسان بل هو الذكر الذي يقابله النسيان والغفلة .

قال رسول الله (ص) في وصيته لعلي (ع) ياعلي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة ، المواساة للأخ في ماله وانصاف الناس من نفسه وذكر الله على كل حال وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه . وقال (ص) يوماً لاصحابه ألا اخبركم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله كثيراً ، فيكون المقصود من الذكر هو التذكر بالقلب .

وقد روي عن الباقر (ع) قال ثلاث من اشد ما عمل العباد : انصاف المرء من نفسه ، ومواساة الأخ وذكر الله على كل حال ، وهو ان يذكر

الله عز وجل عند المعصية يهم بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية وهو قول الله عز وجل « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

وروي عن الصادق (ع) قال : ان الله تبارك وتعالى يقول : من شغل بذكري عن مسألتي اعطيه افضل ما اعطي من سألني .

وروي عن الصادق (ع) قال : قال الله تعالى ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي ، ابن آدم اذكرني في خلاء اذكرك في خلاء ، اذكرني في ملأ اذكرك في ملأ خير من مَلِئك .

وقال عليه السلام : ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلا ذكره الله في ملأ من الملائكة .

أيها المسلمون : فكروا جيداً وتأملوا في قول الله عز وجل « فاذكروني اذكركم » حتى تعرف ما ذكرك له وما ذكره لك ، اما ذكرك له بأن يكون قلبك ذاكراً له في كل الأحوال والازمان فاذا ذكرت لك اوامره فان قلبك ينشرح لها ويأنس بها ويقبلها حق قبولها .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن . فعلى هذا من يكون ذاكراً لله في كل وقت فهو مطيع له في جميع الأوامر والنواهي وان المعصية كما يفيده الحديث النبوى لا تصدر من العبد إلا بالغفلة عن ذكر الله فان العبد إذا أراد ارتكاب المعصية ثم التفت إلى اثرها السيء الموجب للبعد عن الله ارتدع منها وتركها « إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » اما ذاك يهم بالمعصية فيذكر بالله أو هو يذكره فلا يرتدع عن معصيته فهو طاغ جهول لا يعرف مقام ربه وعلو كبريائه واحاطته بمخلوقاته . فالقلب

الذاكر يكون صاحبه مطيعاً لله في كل الاحوال ما دام القلب ذاكراً وهذا هو الـذي امرنا به الله بقوله « اذكروني » فان الأمر مطلق من جميع الوجوه وهذا القلب هو اعلى القلوب مقاماً ورتبة .

قال الامام الصادق عليه السلام : اعراب القلوب على أربعة أنواع : رفع وفتح وخفض ووقف فرفع القلوب في ذكر الله ، وفتح القلب في الرضا عن الله وخفض القلب في الأشتغال بغير الله ووقف القلب في الغفلة

واما ذكره لك فقد قيل في تفسيره

١ ـ عن سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي ،

٢ ـ عن ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » .

٣ ـ عن بعضهم اذكروني على ظهر الارض اذكركم في بطنها :

٤ ـ ما قيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى :

٥ ـ اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء ، وفي الخبر تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

٦ ـ اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة ، قوله « ادعوني استجب لكم »

٧ ـ روي عن الباقر عليه السلام قال : قال النبي (ص) : ان الملك ينزل الصحيفة من أول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاملوا في أولها خيراً وفي اخرها خيراً فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذكركم . هذا ما قيل في تفسيرها وهناك اقوال غير ما ذكر ولكن إذا رجعنا إلى كلام الله نراه يقول « اذكروني اذكركم » بلا قيد أو شرط أو زمان أو مكان أو حال فقد وعدنا ان يذكرنا إذا ذكرناه فاذا كان العبد على ذكر من ربه في كل وقت ذكره الله كذلك ان الله لا يخلف الميعاد ثم ان ذكر الله لعبده يكون مطابقاً لذكر العبد لربه فان ذكر العبد ربه ذكر خضوع وخشوع وتذلل ذكره الله ذكر رحمة

ورأفة ، اما إذا ذكر ربه وهو مصر على معصيته ولم يردعه ذكر الله عن عصيانه فسوف يكون ذكر الله له ذكر مقت ولعن وطرد .

ارشاد : -

قد يكون العبد ذاكراً لربه وهو خاشع خـــاضع ذليل متضرع غير متلبس بمعصية في تلك الساعة ولكن مع ذلك لم يكن اهلا لأن يذكره الله ذلك الذكر الذي يدخله تحت عناية الله والذي يوجب له نعيم الابد الذي لا انقطاع له . ويدل على هذا ما ذكره في عدة الداعي عن النبي (ص) قال اوحى الله تعالى إلي ان يا أخا المرسلين ويا أخا المنذرين انذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند احدهم مظلمة فاني العنه ما دام قائما يصلي بين يدي حتى يرد تلك المظلمة . الخ .

فانكشف لنا من هذا الحديث ان الله انما تعهد ان يذكر عبده الذاكر له بقوله « اذكروني اذكركم » ان المقصود أو المتيقن هو العبد الذاكر لله في جميع حالاته بحيث لا يتعمد معصيته أما الذي ينهب مال الناس ويظلمهم ثم يأكل ويشرب ويلبس من هذا المال فيأتي إلى بيت الله فيقف وقوف الاتقياء ويصلي بخضوع وخشوع فهذا لا يذكره الله إلا باللعن فلا يخـدع الانسان نفسه « انما يتقبل الله من المتقين » ولكن لا يمنعـــه الله رزقه في الدنيا فان هذا الرزق منقطع لا دوام له ويعطيه الله للمؤمن والكافر .

وقد روي عن الصادق (ع) في قوله تعالى « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » قال اما والله ان كانت اعمالهم اشد بياضاً من القباطى ولكن كانوا إذا عرض لهم حرام لم يدعوه .

قوله « واشكروا لي ولا تكفرون »

لا ريب ان شكر المنعم ممـا يحكم العقل بوجوبه لا سيما إذا كانت النعمة من القوي المتمكن من سلبها ممن انعم بها عليـه وقد سمى الله غير

الشاكرين بالكافرين في آيات عديدة من القرآن فيكون الشكر واجباً شرعاً وعقلا ، وحيث ان الشكر موقوف على معرفة النعمة ومعرفة المنعم فقد عدد الله النعم التي تفضل بها علينا في الآية (١٥١) ثم امرنا بمعرفته بقوله « أذكروني » ثم عرفنا بأن شكره واجب علينا فقد نبهنا وعرفنا مقدمات الشكر وهذه أيضاً نعمة عظيمة يجب الشكر لها ، واما حقيقة الشكر فهي ان يعترف العبد بأن النعم من عنده ، وان من جرت على يده بعض المقدمات من البشر فهي أيضاً من الله فان هذه المعرفة هي أول مراحل الشكر ، وبعد ان يحصل العبد هذه المرحلة يظهرها إلى الخارج بواسطة لسانه ، فيشكر الله ويحمده فهذه المرحلة الثانية ، والمرحلة الأولى والثانية هما نعمتان من الله على عبده .

المرحلة الثالثة : ان يصرف النعمة التي حصل عليها في الوجه الذي أمره الله به ، ولا يصرفها فيما لا يرضي الله ، والهداية والتوفيق في هذه من الله أيضاً . فتبين من هذا ان حقيقة الشكر لا تحصل إلا باستعمال النعم في المحل الذي أمرنا الله به وهذا يشمل النعم العامة من الخَلق والخُلق والعقل والصحة وسلامة الاعضاء وغيرها مما لا تحصى ولا تعد فكل شيء من هذه النعم إذا استعملها العبد في غير ما أمر به فهو كفران للنعمة .

المرحلة الرابعة : امتثال أوامر الله كلها وترك نواهيه سواء كانت الأوامر واجبة أو مندوبة ، وسواء كانت النواهي محرمة أو مكروهة ، وهذه المرحلة الرابعة توضيحاً للثالثة إذ معنى صرف النعم فيما أمر الله به هو امتثال للاوامر والنواهي ولكن قد يتوهم البعض ان النعم هي ما يتنعم بها في الدنيا ويغفل عن نعم الاخرة التي هي النعم الحقيقية .

قال الامام الصادق (ع) : في كل نفس من انفاسك شكر لازم لك بل الف أو اكثر ، وادنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة

يتعلق القلب بها دون الله عز وجل ، والرضا بما اعطى ، وألا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته ، فكن لله عبداً شاكراً على كل حال تجد الله رباً كريماً على كل حال ، ولو كان عند الله تعالى عبادة تعبّد بها عباده المخلصين افضل من الشكر على كل حال ، لأطلق لفظة منهم من جميع الخلق بها ، فلما لم يكن افضل منها خصها من بين العبادات وخص اربابها فقال « وقليل من عبادي الشكور » وتمام الشكر الاعتراف بلسان السر خاضعاً لله بالعجز عن بلوغ ادنى شكره لأن التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي اعظم قدراً واعز وجوداً من النعمة التي من اجلها وفقت له فيلزمك على كل شكر شكراً اعظم منه إلى ما لا نهاية له مستغرقاً في نعمه قاصراً عاجزاً عن درك غاية شكره وانى يلحق العبد شكر نعمة الله ومتى يلحق صنيعه بصنيعه والعبد ضعيف لا قوة له أبداً إلا بالله عز وجل والله غني عن طاعة العبد قوي على مزيد النعم على الابد فكن لله عبـــداً شاكراً ترى العجب .

ايقاظ :

لما تبين ان حقيقة الشكر هي امتثال اوامر الله ونواهيه وصرف نعمة فيما يحبه والكفران عبارة عن صرف نعمة فيما يكرهه أو ترك الاوامر وارتكاب النواهي يلزم العبد الشاكر معرفة المحبوب عند الله وتمييزه عما سواه وتشخيص الافعال التى امر الله بها وكذا معرفة الامور التي نهى عنها وحيث ان المحبوب عنده والمبغوض لديه لا يمكن معرفته إلا من قبله اما مذكور في القرآن أو بأخبار النبي (ص) عن الله ولا مجال لمعرفة ذلك بغير الطريق المخبر عن الله عز وجل الطريق الموصل اليه بالنبي (ص) وبمن عنده علم النبي (ص) ولا يمكن معرفته بالقياس أو الاستحسان ولا يجوز الاخذ ممن يدعي العلم ما لم يسنـــد ذلك إلى القرآن أو النبي بطريق قطعي فلا فائدة بما يسلكه

بعض الناس من الطرق المخطئة فان اتعـابه تذهب سدى ولا يحصل على فائدة دنيوية ولا أخروية .

عقاب الأعمال عن الصادق قال عبد الله حبر من احبار بني اسرائيل حتى صار مثل الخلال فاوحى الله إلى نبي زمـانه قل له وعزتي وجلالي وجبروتي لو انك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر مـا قبلت منك حتى تأتني من الباب الذي امرتك به .

محصل البحث : -

لقد تحصل ممـا ذكرنا من تفسير الآيتين الشريفتين ما يأتي :

١ - ان الله خاطب العرب بما فضلهم به فعليهم ان يفخروا بهـذا الخطاب على سائر الامم .

٢ - انه ارسل لهم رسولا منهم فعليهم تصديق هذا الرسول ومتابعة ارشاده .

٣ - يلزمهم الأستماع لآي القرآن إذا تلي عليهم .

٤ عليهم ان يزكوا انفسهم بما زكاهم به النبي من نبذ الاخلاق الفاسدة الاعتقادية والعملية .

٥ - يلزمهم تعلم احكام الكتاب والحكمـة وهي السنة النبوية التي لم يكونوا يعلموها من قبل .

٦ - عليهم ان يكونوا دائما في ذكر الله ليذكرهم وينقذهم مما وقعوا فيه من الرجوع إلى الجاهلية .

٧ - يلزمهم شكر المنعم على جميع نعمه والا فهم عند الله من الكافرين

فاذا لم يمكنهم الاتصاف بهذه الصفات فقد ذكر الله لهم ما يعينهم ويساعدهم على رياضة انفسهم وكبح جماحها ، فقال عز وجل : -

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »
آية ١٥٢ سورة البقرة

قد وجه الله تبارك وتعالى النداء في هذه الآية إلى المؤمنين الذين صدقوا النبي (ص) فيما جاء به من الأوامر المذكورة في الايات المتقدمة وفيما يأتي من الامور بعد هذه الآية وحيث ان الاوامر هي من الامور العظام عرف الله المؤمنين وارشدهم إلى ان هـذه الامور إذا كانت شديدة عليهم وان نفوسهم لا تطيقها فليستعينوا على ثقلها بأمرين :

١ ـ الصبر . ٢ ـ الصلاة .

اما الصبر فهو حبس النفس وتوطينها على ما تنفر منه من الطاعات وعما ترغب اليه وتأنس به من المعاصي ، وقد وعـدهم انهم إذا وطنوا انفسهم على ذلك انه سيكون معهم أي يؤيدهم وينصرهم ويخفف عليهم ما يرونه ثقيلا من الطاعات ويبغض لهم ما يرونه مؤنساً من المعاصي فاذا صبروا ووطنوا انفسهم سهلت حينئذٍ عليهم الامور التي كلفوا بهـا في الآيات المتقدمة والآيات التي تأتي بعد هـذه الآية من جهـاد الكفار والتغلب عليهم .

واما الصلاة فحيث انها عبارة عن ذكر الله تعالى وقد وعـدهم الله تعـالى في الآية المتقدمة انه يذكرهم إذا ذكروه ، ففي هذه الآية يقول لهم إذا اكثرتم من ذكري فلا تستصعبوا شيئاً لاني اذكركم في جميع حالاتكم فاذا ذكرتكم خف عليكم كل شيء من العبادات والطاعات وجهاد الاعـداء وان كانوا اضعافكم فان النصر النهائي لكم .

ايقاظ : ـ

ايتها الامم المسلمة اما فيكم امة تتمسك بالاسلام تمسكاً حقيقياً تتدبر هذه الآية وتعمل بها ليكون الله معها فتخلص المسلمين اجمع من مخالب

المستعمرين وتنقذهم من تلاعب المفسدين فيكون النصر النهائي لها وحدها ، تذبهوا قليلا وتدبروا حال اليهود وما كانوا عليه من الذل والهوان ليس لهم مأوى وملجأ وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت ثم نظروا اطراف الدنيا فرأوا ان العرب لقمة سائغة فاغاروا على ارضهم واستلبوها ، وفي كل يوم نسمع من اذاعاتهم السخرية والاستهزاء بالعرب والله تعالى يخاطبكم ويقول لكم سيروا على الطريق الذي رسمته لكم وانا معكم ، فما بالكم وما هذا التخاذل ؟ اما ترون ان الله قادر على اكتساح اليهود من ارضكم ؟ اما تؤمنون بوعد الله ؟ اما تعتقدون بصدق القرآن ؟ بلى انكم تتصفون بالصبر دون الصلاة في قتل بعضكم بعضاً ففي كل يوم لكم مجزرة يقتل فيها طائفة منكم توهنون بذلك عضدكم وتقللون عددكم وتضعفون قوتكم ولكن صبركم هذا ليس الصبر الذي أمربه الله وانما هو أمر من الشيطان . آية واحدة من عشرات الالاف اما تعملون بها فيضمن لكم خير الدنيا والاخرة :

قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون » . آية ١٥٤ سورة البقرة

لما أمرنا الله بالاستعانة بالصبر والصلاة على اداء واجباتنا ومنها الجهاد في سبيل الله وحيث انه هو اشد الواجبات واعظمها على البشر نبهنا ان المقتول في الجهاد سوف تستمر حياته في عالم البرزخ فهو منعّم هناك فلا تسموه ميتاً وان كانت هذه الحياة لا تشعرون بها انتم .

وقد سئل الامام الصادق (ع) عن ارواح المؤمنين فقال : هي في الجنة على صور ابدانهم لو رأيته لقلت فلان . ومثله كثير من الأخبار وانما خص الشهداء في الآية لمزيد قربهم إلى الله وترغيباً للمؤمنين في الجهاد فان الحياة هناك خير من الحياة في الدنيا فان حياة الدنيا مشوبة بالأبتلاء بما ذكره الله في الآية اللاحقة .

فتنبهوا ياأهل هذا العصر واعلموا انكم إذا تبعتم هوى الكفار سوف يكون لكم بعد الموت كما يكون لهم من العذاب وإذا متم في جهادكم لدفعهم عن بلادكم فانكم تكونون احياء منعمين والسلام على من اتبع الهدى .

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » آية ١٥٥ سورة البقرة

لما اخبر الله عباده بانه تفضل عليهم بارسال رسول منهم وامرهم بتصديقه واستماع ما يتلوه عليهم وان يزكوا انفسهم بتقبل ما يأمرهم به من صفات الكمال ثم بين لهم بانكم إذا وجدتم انفسكم غير خاضعة لهذه الامور فاستعينوا على اخضاعها بالصبر والصلاة واخبرهم ان الصابر على حر الجلاد والمقتول في سبيل الله سيبقى حياً منعماً في البرزخ ولا ريب ان هذه التكاليف من الله هي ابتلاء واختبار حتى يتميز المطيع من العاصي وكذا الامور التي كلف بها عباده من واجبات ومحرمات كلها اختبار لهم إلا ان العباد لما كانوا مختلفين في الطاعة والمعصية فبعضهم يتقبل التكاليف من اول الامر بلا حاجة إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ولكن شعاره الصبر وقرة عينيه الصلاة وقسم منهم لا يمكنه اخضاع نفسه وتذليلها لا بالاستعانة بالصبر والصلاة وقسم ثالث وهو الاغلب لم تؤثر فيه هذه الامور كلها لا موعظة الله وارشاده ولا معجزة النبي (ص) بل بقي مصراً على العصيان والشقاء مع اقامة الحجة عليه كاملة فهذا القسم مستحق للعذاب ولكن رأفة الله ورحمته بعباده ليس لها حد ولذا اعلمنا انه سيبتلينا ويختبرنا بصورة اخرى من الاختبار فان ذاك اختبار كان بتوجيه الأمر والنهي فقط وهذا النوع ممزوج بشيء من الالام والاسقام والنقص في الانفس والثمرات ليكون تذكرة لعقاب الاخرة وهذا الابتلاء موجود في زماننا هذا سنة ١٣٨٨ هج فانك ترى اغلب الناس مبتلى باحد هذه الامور أو باكثر من واحد ولكن

العجب العجاب ان الناس لا يشعرون ولا يلتفتون بان هذا هو ابتلاء من الله فانهم ينسبون ذلك إلى اعدائهم أو سوء تصرفهم أو الصدف كما يعبرون وتراهم لا يقلعون عما هم عليه من الجرائم والمعاصي فاذا سنحت لهم الفرصة اشتغلوا بالموبقات كما كانوا ولهذا نرى ان الابتلاء مستمر ليس له امد وانقطاع ولعله يكون كاستمرار حياة الشهيد التي ذكرت في الآية السابقة

روي عن أمير المؤمنين كما في النهج قال : ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر .

وعن الصادق (ع) قال ان هذه علامات قدام القائم (عجل الله فرجه) تكون من الله للمؤمنين من الخوف من ملوك بني امية في اخر سلطانهم والجوع بغلاء اسعارهم ونقص من الاموال ، فساد التجارات وقلة الفضل ونقص من الأنفس ، الموت الذريع ونقص من الثمرات ، لقلة ريع ما يزرع « وبشر الصابرين » بقية كلام الصادق (ع) بشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم (ع) ثم قال هذا تأويله « وما يعلم تأويله إلا الله والرسخون في العلم » . ثم ان الصابرين الذين أمر الله النبي ببشارتهم لا يخلو امرهم اما ان يكونوا قد اتصفوا بملكة الصبر قبل ابتلاء الله الناس بهذه الأمور أو بعد الابتلاء فان كان اتصافهم بالصبر قبل الابتلاء فانهم لا يبتلون بهذه الأمور لأن الله معهم كما في الآية السابقة ومن كان الله معه لا يبتلى بما ذكر لانتهاء اختباره ونجاحه بالايمان الحقيقي والتأييد والنصر من الله ويؤيد هذا ما ذكر في سبب صبرهم وهو اعتقادهم الراسخ واظهار هذا الاعتقاد بالقول والاعتراف بانهم ملك لله تعالى « الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون * ١٥٦ * » المالك يفعل ما يشاء في ملكه ثم عقبه بقوله « اولئك عليهم صلوات من ربهم * ١٥٧ * . . الخ »

أي ان هذا الصنف من الناس تكون عليهم صلوات أي تزكيـة وغفران ولطف من ربهم « ورحمة » أي احسان من الله فتكون بشارتهم برفع هذا البلاء عنهم لأنهم قد رجعوا إلى الله وسلموا الأمر اليه « واولئك هم المهتدون إلى طريق الحق حيث عرفوه بدلالة الله اياهم .

تفسير المراغي ج ٢ ص ١٨

« كما ارسلنا رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا » أي ولاتم نعمتي عليـكم باستيلائكم على البيت الذي جعلته قبلة لكم وتطهيركم له من عبادة الاصنام كما اتمها عليكم بارسال رسول منكم وهو محمد (ص) فالقبلة في بلادكم والرسول من امتكم وهو يتلو عليكم اياتنا التي ترشدكم إلى الحق وتهديكم إلى سبيل الرشاد وهي تشمل ايات الكتاب الكريم وغيرها من الدلائل والبراهين التي تدل على وحدانية الله وعظيم قدرته وبديع تصرفه في السموات والارض .

ووجه المنة في ذلك انه يهديهم إلى الحق مصحوباً بالدليل والبرهان ، دون التقليد والتسليم بلا تبصر وفهم وبذا يكون العقل مستقلا والـدين له مرشداً وهادياً .

« ويزكيكم » أي يطهر نفوسكم من ادران الرذائل التي كانت فاشية في العرب من وأد البنات وقتل الاولاد تخلصاً من النفقة وسفك الـدماء لاوهن الاسباب : ويغرس فيها فاضل الاخلاق وحميد الاداب .

وبهذه الزكاة التي زكوا بها انفسهم فتحوا الممالك الكبرى وكانوا ائمة الامم التي كانت تحتقر هذا الجنس وعرفوا لهم فضلهم بعدلهم وسياستهم للامم سياسة حكيمة انستهم سياسة الامم التي قبلهم وجعلت لذلك الدين اثراً في نفوسهم فدانوا لحكمه خاضعين واهتدوا بهديه راشدين .

« ويعلمكم الكتاب » أي ويعلمكم القرآن الكريم ويبين لكم ما انطوى عليه من الحكم الالهية والاسرار الربانية التي لاجلها وصف بأنه هدى ونور

فالنبي (ص) كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه حتى يبقى مصوناً من التحريف والتصحيف ويرشدهم إلى ما فيه من اسرار وحكم ليهتدوا بهديه ويستضيئوا بنوره .

« والحكمة » وهي العلم المقترن باسرار الاحكام ومنافعها الباعث على العمل بها - ذاك ان سنة الرسول العملية وسيرته في بيته ومع اصحابه في السلم والحرب والسفر والاقامة في القلة والكثرة جاءت مفصلة لمجمل القرآن مبينة لمبهمه كاشفة لما في احكامه من الاسرار والمنافع .

ولولا هذا الارشاد العملي لما كان البيان القولي كافيا في انتقال الامة العربية من طور الشتات والفرقة والعداء والجهل إلى الائتلاف والاتحاد والتآخي والعلم وسياسة الامم .

فالنبي (ص) وقف اصحابه على فقه الدين ونفذ بهم إلى سره فكانوا حكماء علماء عدولا اذكياء حتى ان احدهم كان يحكم المملكة العظيمة ويقيم فيها العدل ويحسن السياسة وهو لم يحفظ من القرآن إلا بعضه لكنه فقه وعرف اسرار احكامه .

« ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » أي ويعلمكم مع الكتاب والحكمة ما ليس مصدر علمه النظر والفكر بل طريق معرفته الوحي كاخبار عالم الغيب وسير الانبياء واحوال الامم التي كانت مجهولة عندكم واكثرها كان مجهولا عند أهل الكتاب ايضاً وقد بلغوا في هذا النوع من العلم مبلغاً فاقوا به سائر الامم .

« فاذكروني اذكركم » أي اذكروني بالطاعة بالسنتكم بالحمد والتسبيح وقراءة كتابي الذي انزلته على عبدي : وبقلوبكم بالفكر والادلة التي نصبتها في الكون لتكون علامة على عظمتي وبرهانا على قدرتي ووحدانيتي : وبجوارحكم بالقيام بما امرتكم به واجتنابكم ما نهيتكم عنه اجازكم بالثواب

والاحسان وافاضة الخير وفتح ابواب السعادة ودوام النصر والسلطان :

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال: يقول الله عز وجل « انا عند ظن عبدي وانا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعاً » الحديث .

وهذه افضل تربية من الله لعباده إذا ذكروه ذكرهم بادامة النعم والفضل وإذا نسوه نسيهم وعاقبهم بمقتضى العدل .

وبعد ان اعلمهم ما يحفظ النعم ارشدهم إلى ما يوجب المزيد منها بمقتضى الجود والكرم فقال « واشكروا لي ولا تكفرون » أي واشكروا لي هذه النعم بالعمل بها وتوجيهها إلى ما وجدت لاجله ، والثناء علي بالقلب واللسان ، والاعتراف باحسانى اليكم ولا تكفروا هذه المنن التي اوليتكموها بصرفها في غير ما يبيحه الشرع والسنن الالهية .

وهذا تحذير من الله لهذه الامة حتى لا تقع فيما وقعت به الامم السابقة إذ كفرت بانعم الله فلم تستعمل العقل والحواس فيما خلقت لاجله فسلبها ما كان قد وهبها تأديباً لها ولغيرها .

وقد امتثل المسلمون هذه الاوامر حيناً من الدهر ثم تركوها بالتدريج فحل بهم ما ترى من النكال والوبال كما قال تعالى « وإذ تأذن ربكم لأن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » .

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ١٥٣ » « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ١٥٤ » « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ١٥٥ » « الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ١٥٦ » « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم

المهتدون ١٥٧ » .

تفسير المفردات

الصبر توطين النفس على احتمال المكاره ، والابتلاء الاختبار الامتحان والمراد بالاموال الانعام التي كانت معظم ما يتموله العرب ، والمصيبة كل ما يؤذي الانسان في نفس أو مال أو اهل قلّ أو كثر والصلاة من الله التعظيم واعلاء المنزلة عنده وعند الناس والرحمة واللطف بما يكون لهم من حسن العزاء والرضا بالقضاء .

المعنى الجملي

بعد ان ذكر سبحانه افتتان الناس بتحويل القبلة واقام الحجة على المشاغبين وبين فوائد التحويل للمؤمنين ومن اهمها البشارة ، وكون ذلك طريقاً للهداية لما في الفتن من تمييز الخبيث من الطيب والمسلم من المنافق ثم قفى على ذلك بالامر بذكره وشكره على هذه النعم ليستبين للناس ان تحويل القبلة الذي صوره السفهاء بصورة النعمة هو نعمة كبرى ومنة عظمى .

بيّن في هذه الايات ان هذه النعم التي يجب ذكرها وشكرها تقرن بضروب من البلاء والوان من المصائب . من اعظمها ما يلاقيه أهل الحق من مقارعة اشياع الباطل كما حدث ذلك حين كان المؤمنون في قلة من العَدد والعُدد تناوئهم الامم جمعاء وقد تألب عليهم المشركون حتى اخرجوهم من ديارهم واموالهم كما لاقوا من اهل الكتاب عنتاً وكيداً لهذا كله أمر عباده ان يستعينوا على مقاومة ذلك كله بالصبر والصلاة إذ في الصبر تربية ملكة الثبات وتعود تحمل المشاق ، فيهون على النفس احتمال ما تلاقيه من المكاره في سبيل تأييد الحق ونصر الفضيلة ، ويظهر اثر ذلك في ثبات الانسان على اثبات حق أو ازالة باطل ، أو الدعوة إلى عقيدة أو تأييد فضيلة ، ومصارعة الشدائد لاجل ذلك وعلى هذا جرى النبي صلى الله عليه

وآله وصحبه عليهم الرحمة والرضوان حتى فازوا بعاقبة الصبر ونصرهم الله نصراً مؤزراً على قلتهم وضعفهم عن جميع الامم التي حواليهم .

وفي الصلاة التوجه إلى الله ومناجاته وحضور القلب معه سبحانه واستشعار المصلي للهيبة والجلال وهو واقف بين يدي ربه كما جاء في الحديث « اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وهو بهذا الشعور المالك للبه المالئ لقلبه يستسهل في سبيله كل صعب ويستخف بكل كرب ويحتمل كل بلاء ويقاوم كل عناء فلا تتوق نفسه لما لا يرضى ربه الذي يلجأ اليه في الملمات ويركن اليه إذا افزعته النائبات .

وليست الصلاة التي عناها الكتاب الكريم هي مجرد القيام والركوع والسجود والتلاوة باللسان خاصة والتي نشاهد من معتاديها الاصرار على الفواحش والمنكرات واجتراح السيئات إذ لا اثر لها مما وصفه الله بقوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله « ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » ومن ثم نرى الذين يصلون هذه الصلاة اضعف الناس قلوباً واشدهم اضطراباً إذا عرض لهم شيء على غير ما يرون وما كان للمصلي ان يكون ضعيف القلب عادم الثقة بالله والله يبرئه من ذلك ويقول « إلا المصلين » .

الايضاح

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » أي استعينوا على اقامة دينكم والدفاع عنه وعلى سائر ما يشق عليكم من مصائب الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمال المكاره وبالصلاة التي تكبر بها الثقة بالله عز اسمه وتصغر بمناجاته فيها كل المشاق .

وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد الاعمال الظاهرة عليه ، إذ فيها خضوع واستسلام لله ،

وتوجه بالقلب اليه ، واستشعار لعظمة الخالق ، وقد روى انه صلى الله عليه وآله كان إذا حزنه أمر واشتد عليه فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية أي واستعينوا « ان الله مع الصابرين » أي ان الله ناصرهم ومجيب دعوتهم ومن كان الله ناصره فلا غالب له اما الجازع فقلبه لاهٍ عن ذكر الله والقلب اللاهي ممتلئ بهموم الدنيا واكدارها وان حاز الدنيا بحذافيرها .

وقد جرت سنة الله ان الاعمال العظيمة لا تنجح إلا بالثبات والدأب عليها ومدار ذلك كله الصبر فمن صبر فهو على سنة الله والله معه فيسهل له العسير من امره ويجعل له فرجاً من ضيقه ومن لم يصبر فليس الله معه لأنه تنكب عن سنته فلن يبلغ قصده وغايته .

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون » أي ولا تتحدثوا في شأنهم فتقولوا انهم اموات بل هم احياء في عالم غير عالمكم ولكن لا تشعرون بحياتهم إذ ليست في عالم الحس ، الذي يدرك بالمشاعر بل هي حياة غيبية تمتاز بها ارواح الشهداء بل سائر ارواح الناس ، وبها يرزقون وينعمون ولا نعرف حقيقة هذه الحياة ولا الرزق الذي يكون فيها ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب فنفوض امره إلى الله ، وقيل انها حياة روحانية محضة لا ندرك سرها .

وقد ابان سبحانه في هذه الاية جزاء ما يلاقيه المؤمن في تأييد الدعوة إلى دينه بما يصل به احياناً إلى القتل في التغلب على من يصد الناس عن الدعوة ويقاتل في الدفاع عن الباطل فذكر ما اعد له من النعيم المقيم والرزق المتواصل والحياة التي لا يعرف كنهها إلا علام الغيوب جزاء ما فعل لتأييد حجة الله البالغة والجهر بالحق والصدع بأمر ربه فكان له ما كان مما لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر .

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس

والثمرات » أي والله لنمتحننكم ببعض ضروب الخوف من الاعداء وبعض المصائب المعتادة في المعاش كالجوع ونقص الثمار إذ كان احدهم يؤمن فيفصل من اهله وعشيرته ويخرج صفر اليدين حتى لقد بلغ من جوعهم ان كانوا يتبلغون بتمرات يسيرات ولا سيما في غزوتي الاحزاب وتبوك وبنقص الانفس بالقتل والموت من اجتواء المدينة فقد كانت حين الهجرة بلد وباء وحمى ثم حسن مناخها .

وفي الاية ايماء إلى ان الانتساب إلى الايمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ وانتفاء المخاوف بل كل ذلك يجري بحسب السنن التي سنها الله لخلقه فتقع المصائب متى وجدت اسبابها وكامل الايمان يتأدب بمقاومة الشدائد ويتهذب بوقوع الكوارث :

« وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » أي وبشر الصابرين الذين يقولون هذه المقالة المعبرة عن الايمان بالقضاء والقدر بالظفر بحسن العاقبة في امورهم كلها بحسب ما وضع من السنن في الكون ، والصبر لا ينافي ما يحدث من الحزن حين حلول المصيبة فان ذلك من الرقة والرحمة الطبيعيين في الانسان ، وقد جاء في الصحيحين ان النبي (ص) بكى عندما حضر ولده ابراهيم الموت فقيل له اليس قد نهيتنا عن ذلك ؟ قال : انها الرحمة ، ثم قال : ان العين لتدمع وان القلب ليجزع ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون ،

والجزع المذموم هو الذي يدعو صاحبه إلى فعل ما يمجه العقل وينهى عنه الشرع مما نرى مثله عند الجماهير إذا حلت بهم المصائب ونزلت بهم الكوارث .

روى مسلم عن ام سلمة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله (ص) يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم

آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الا آجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها » واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال « من استرجع عند المصيبه جبر الله مصيبته واحسن عاقبته وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه » .

وفي قوله « انا لله » اقرار بالعبودية والملك ، وفي قوله « وانا اليه راجعون » اقرار بالفناء والبعث من القبور واليقين بان مرجع الامر كله لله تعالى .

« اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » أي اولئك الصابرون لهم من ربهم مغفرة ومدح على ما فعلوا ورحمة يجدون اثرها في برد القلوب عند نزول المصيبة ، وهذه الرحمة يحسد عليها الكافرون المؤمنين ، فان الكافر الذي حرم من هذه الرحمة اذا نزلت به المصيبة تضيق به الارض بما رحبت حتى لقد يقضي على نفسه بيده إذا لم يجد وسيلة للخلاص مما حل به .

« واولئك هم المهتدون » إلى الحق والصواب ومن ثم استسلموا للقضاء فلم يستحوذ الجزع على نفوسهم ففازوا بخير الدنيا والراحة فيها وسعادة الاخرة بتزكية النفس وتحليها بمكارم الاخلاق وصالح الاعمال انتهى كلام المراغي

كلام سيد قطب في ظلال القرآن ج ٢ ص ٢٨

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » والذي يلفت النظر هنا ان الاية تعيد بالنص دعوة ابراهيم التي سبقت في السورة وهو يرفع القواعد من البيت هو واسماعيل ، دعوته ان يبعث الله في بنيه من جيرة البيت رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ليذكر المسلمين ان بعثة هذا الرسول فيهم ووجودهم هم انفسهم مسلمين هو الاستجابة المباشرة الكاملة لدعوة ابيهم ابراهيم وفي هذا

ما فيه من ايحاء عميق بأن امرهم ليس مستحدثاً انما هو قديم ، وان قبلتهم ليست طارئة انما هي قبلة ابيهم ابراهيم وان نعمة الله عليهم سابغة فهي نعمة الله التي وعدها خليله وعاهده عليها منذ ذلك التاريخ البعيد .

ان نعمة الله توجيهكم إلى قبلتكم وتمييزكم بشخصيتكم هي احدى الالاء المطردة فيكم سبقتها نعمة ارسال رسول منكم .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم » فهو التكريم والفضل ان تكون الرسالة فيكم وان يختار الرسول الاخير منكم وقد كانت يهود تستفتح به عليكم .

« يتلو عليكم اياتنا »

فما يتلو عليكم هو الحق ، والايحاء الاخر هو الاشعار بعظمة التفضل في ان يخاطب الله العبيد بكلامه ، يتلوه عليهم رسوله وهو تفضل يرتعش القلب ازائه حين تتعمق حقيقته ، فمن هم هؤلاء الناس ، من هم وما هم حتى يخاطبهم الله سبحانه بكلماته ويتحدث اليهم بقوله ويمنحهم هذه الرعاية الجليلة من هم وما هم لولا ان الله يتفضل ولولا ان فضـــل الله يفيض ، ولولا انه سبحانه منذ المبدأ منحهم فضل النفحة من روحه ليكون فيهم ما يستأهل هذا الانعام وما يستقبل هذا الافضال .

« ويزكيكم »

ولولا الله ما زكى منهم من احد ، ولا تطهر ولا ارتفع ، ولكنه ارسل رسوله (ص) يطهرهم ، يطهر ارواحهم من لوثة الشرك ودنس الجاهلية ورجس التصورات التي تثقل الروح الانسانى وتطمره ، ويطهرهم من لوثة الشهوات والنزوات فلا ترتكس ارواحهم في الحمأة والذين لا يطهر الاسلام ارواحهم في جنبات الارض كلها قديماً وحديثاً يرتكسون في مستنقع آسن وبيء من الشهوات والنزوات تزرى بانسانيـــة الانسان وترفع فوقه الحيوان المحكوم بالفطرة وهي انظف كثيراً مما يهبط اليه الناس بدون الايمان ويطهر

جمعهم من الربا والسحت والغش والسلب والنهب وهي كلها دنس يلوث الارواح والمشاعر ويلطخ المجتمع والحياة ويطهر حياتهم من الظلم والبغي ، وينشر العدل النظيف الصريح الذي لم تستمتع به البشرية ، كما استمتعت في ظل الاسلام وحكم الاسلام ومنهج الاسلام ويطهرهم من سائر اللوثات التي تلطخ وجه الجاهلية في كل مكان من حولهم وفي كل مجتمع لا يزكيه الاسلام بروحه ومنهجه النظيف الطهور .

« ويعلمكم الكتاب والحكمة »

وفيها شمول ما سبق من تلاوة الايات وهي الكتاب وبيان للمادة الاصيلة فيه وهي الحكمة والحكمة ثمرة التعليم بهذا الكتاب وهي ملكة يأتي معها وضع الامور في مواضعها الصحيحة ووزن الامور بموازينها الصحيحة وادراك غايات الاوامر والتوجيهات وكذلك تحققت هذه الثمرة ناضجة لمن رباهم رسول الله وزكاهم بايات الله.

« ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »

وكان ذلك حقاً في واقع الجماعة المسلمة فقد التقطها الاسلام من البيئة العربية لا تعلم إلا اشياء قليلة متناثرة تصلح لحياة القبيلة في الصحراء أو في تلك المدن الصغيرة المنعزلة في باطن الصحراء فجعل منها امة تقود البشرية قيادة حكيمة راشدة خبيرة بصيرة عالمة ، وكان هذا القرآن مع توجيهات الرسول المستمدة كذلك من القرآن هو مادة التوجيه والتعليم وكان مسجد رسول الله الذي يتلى فيه القرآن والتوجيهات المستمدة من القرآن هو الجامعة الكبرى الذي تخرج فيها ذلك الجيل الذي قاد البشرية تلك القيادة الحكيمة الراشدة ، القيادة التي لم تعرف لها البشرية نظيرا من قبل ولا من بعد في تاريخ البشرية الطويل ، وما يزال هذا المنهج الذي خرج ذلك الجيل وتلك القيادة على استعداد لتخريج اجيال وقيادات على مدار الزمان لو رجعت الامة المسلمة إلى هذا المعين ولو آمنت حقاً بهذا القرآن ولو جعلته منهجاً

للحياة لا كلمات تتغنى باللسان لتطريب الآذان وفي آخر هذا الدرس يتفضل الله على المسلمين تفضلا آخر وهو يدعوهم إلى شكره ويحذرهم من كفره يتفضل عليهم فيضمن لهم ان يذكرهم إذا هم ذكروه .

« فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

ياللتفضل الجليل الودود ، الله جل جلاله يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مكافئاً لذكرهم له في عالمهم الصغير ان العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه في هذه الارض الصغيرة وهم اصغر من ارضهم الصغيرة والله حين يذكرهم يذكرهم في هذا الكون الكبير وهو الله العلي الكبير أي تفضل وأي كرم وأي فيض في السماحة والجود .

« فاذكروني اذكركم »

انه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله الذي لا خازن لخزائنه ولا حاسب لعطاياه ، الفضل الفائض من ذاته تعالى بلا سبب ولا موجب إلا انه هكذا هو سبحانه فياض العطاء وفي الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وفي الصحيح ايضاً قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل يابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة أو قال في ملأ خير منه وان دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وان دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة انه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ ولا يعبر عن شكره الحق إلا سجود القلب وذكر الله ليس لفظ باللسان انما هو انفعال القلب معه أو بدونه والشعور بالله ووجوده والتأثر بهذا الشعور تأثراً ينتهي إلى الطاعة في حده الادنى وإلى رؤية الله وحده ولا شيء غيره لمن يهبه الله الوصول ويذيقه حلاوة اللقاء .

« واشكروا لي ولا تكفرون »

والشكر لله درجات تبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته وتنتهي بالتجرد لشكره والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن وفي كل لفظة لسان وفي كل خفقة قلب وفي كل خطرة جنان .

والنهي عن الكفر هنا الماع إلى الغاية التي ينتهي اليهـا التقصير في الذكر والشكر وتحذير من النقطة البعيدة التي ينتهي اليها هذا الخط التعيس والعياذ بالله .

ومناسبة هذه التوجيهات والتحذيرات في موضوع القبلة واضحة وهي النقطة التي تنتهي عندها القلوب لعبادة الله والتميز بالانتساب اليه والاختصاص بهذا الانتساب .

وهي كذلك واضحة في مجال التحذير من كيد يهود ودسها وقد سبق ان الغاية الاخيرة لكل الجهود هي رد المؤمنين كفاراً وسلبهم هـذه النعمة التى انعم الله بها عليهم نعمة الايمان اكبر الالآء التى ينعم الله بها على فرد أو جماعة من الناس وهي بالقياس إلى العرب خاصة ، النعمة التى انشأت لهم وجوداً وجعلت لهم دوراً في التاريخ وقرنت اسمهم برسالة يؤدونها للبشرية وكانوا بدونها ضائعين ولولاها لظلوا ضائعين ، وهم بدونها أبداً ضائعون فما لهم من فكرة يؤدون بها دوراً في الارض غير الفكرة التى انبثقت منها وما تنقاد البشرية لقوم لا يحملون فكرة تقود الحياة وتنميها وفكرة الاسلام برنامج حياة كامل لا كلمة تقال باللسان بلا رصيد من العمل الايجابي المصدق لهذه الكلمة الطيبة الكبيرة ،

وتذكر هذه الحقيقة واجب على الامة المسلمة ليذكرها الله فلا ينساها ومن نسيه الله فهو مغمور ضايع لا ذكر له في الارض ولا ذكر له في الملأ الاعلى ، ومن ذكر الله ذكره ، ورفع من وجوده ، وذكر في هـذا الكون العريض .

ولقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ورفع ذكرهم ومكنهم من القيـادة الراشدة ثم نسوه فنسيهم فاذا هم همل ضايع وذيل تافه ذليل والوسيلة قائمة والله يدعوهم في قرآنه الكريم « فاذكرونى اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

« يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصـابرين ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احيـاء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »

بعد تقرير القبلة وافراد الامة المسلمة بشخصيتها المميزة التى تتفق مع حقيقة تصورها المميزة كذلك كان اول توجيه لهذه الامة ذات الشخصيـة الخاصة والكيان الخاص هذه الامة الوسط الشهيـدة على الناس كان اول توجيه لهذه الامة هو الاستعانه بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم والاستعداد لبذل التضحيات التى يتطلبها هذا الدور من استشهاد الشهـداء ونقص الاموال والانفس والثمرات والخوف والجوع ومكابدة اهوال الجهاد لاقرار منهج الله في الانفس واقراره في الارض بين الناس وربط قلوب هذه الامة بالله وتجردها له ، ورد الامور كلها اليه كل اولئك في مقابل رضى الله ورحمته وهدايته وهي وحدها جزاء ضخم للقلب المؤمن الـذي يدرك قيمة هذا الجزاء .

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً ذلك ان الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الارض بين شتى الصراعات والعقبات والذي يتطلب ان تبقى النفس مشدودة الاعصاب مجندة القوى يقضـة للمداخل

والمخارج ولابد من الصبر في هذا كله لابد من الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصى والصبر على جهاد المشاقين لله ، والصبر على الكيد بشتي صنوفه والصبر على بطؤ النصر والصبر على بعد الشقة والصبر على انتعاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، والصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقلة العناد ، ومظاظة الاعراض .

وحين يطول الامد ويشق الجهد قد يضعف الصبر أو ينفذ إذا لم يكن هناك زاد ومدد ، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر ، فهي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي لا ينفد ، المعين الذي يجدد الطاقة ، والزاد الذي يزود القلب فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين .

انه لابد للانسان الفاني الضعيف المحدود ان يتصل بالقوة الكبرى يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات واغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد ، وهي عنيفة حينما يطول به الطريق ، وتبعد به الشقة في عمره المحدود ثم ينظر فاذا هو لم يبلغ شيئاً ، وقد اوشك المغيب ولم ينل شيئاً ، وشمس العمر تميل للغروب حينما يجد الشر نافشاً ، والخير ضاوياً والاشعاع في الافق ولا معلم في الطريق .

هنا تبدو قيمة الصلاة ، انها الصلة المباشرة بين الانسان الفاني والقوة الباقية ، انها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يغيض ، انها مفتاح الكنز الذي يغنى ويقنى ويفيض ، انها الانطلاقة من حدود الواقع الارضي الصغير إلى مجال الواقع الكون الكبير انها الروح والندى والظلال في الهاجرة ، انها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ، ومن هنا كان

رسول الله اذا كان في الشدة قال : ارحنا بهـا يابلال ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله .

ان هذا المنهج الاسلامى منهج عبادة ، والعبادة فيه ذات اسرار ومن اسرارها انها زاد الطريق وانها مدد روح ، وانها جلاء القلب وانه حيث ما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هـذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر ، ان الله سبحانه حينما انتدب محمداً للـدور الكبير الشاق الثقيل قال له :

« ياايها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا » فكان الاعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ، انهـا العبادة التى تفتح القلب وتوثق الصلـة وتيسر الامر وتشرق بالنور وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان .

ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على ابواب المشقات العظـام إلى الصبر وإلى الصلاة ثم يجيء التعقيب بعد هذا التوجيه :

« ان الله مع الصابرين »

معهم يؤيدهم ويثبتهم ويقويهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة وقوتهم الضعيفة انما يمـدهم حين ينفذ زادهم ويجدد عزيمتهم حين يطول بهم الطريق وهو ينـاديهم في اول الآية ذلك النداء الحبيب « ياايها الذين امنوا » ويختم النداء بذلك التشجيع العجيب « ان الله مع الصابرين » .

والاحاديث في الصبر كثيرة نذكر بعضها لمناسبته للسياق القرآني هنا في اعداد الجماعة المسلمة لحمل عبئها والقيام بدورها .

عن خباب بن الارت قال : شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة

في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنـــا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه مـا يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنّ الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمـــه ولكنكم تستعجلون .

وعن ابن مسعود قال : كأني انظر إلى رسول الله يحكي نبياً من الانبياء عليهم السلام ضربه قومه فادموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

وعن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب النبي (ص) قال : قال رسول الله : المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم .

والان والجماعة المسلمة في المدينة مقبلة على جهاد شاق لاقرار منهج الله في الارض ولاداء دورها المقسوم لهـا في قدر الله ولتسلم الراية والسير بها في الطريق الشاق الطويل الان يأخذ القرآن في تعبئتها تعبئة روحية وفي تقويم تصورها لما يجري في اثناء هذا الجهاد من جذب ودفع ومن تضحيات وآلام وفي اعطائها الموازين الصحيحة التي تقدر بها القيم في هـــذه المعركة الطويلة تقديراً صحيحاً .

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احيـــاء ولكن لا تشعرون » :

ان هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق ، شهـداء في سبيل الله قتلى اعزاء احباء ، قتلى كراماً ازكيـــاء فالذين يخرجون في سبيل الله والذين يضحون بارواحهم في معركة الحق هم عـادة اكرم القلوب وازكى

الارواح واطهر النفوس هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا امواتاً انهم احياء فلا يجوز ان يقال عنهم اموات ، لا يجوز ان يعتبروا امواتاً في الحس والشعور ، ولا ان يقال عنهم اموات بالشفة واللسان انهم احياء بشهادة الله سبحانه فهم لابد احياء .

انهم قتلوا في ظاهر الامر وحسب ما ترى العين ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة ان سمة الحياة الاولى هي الفعالية والنمو والامتداد ، وسمة الموت الاولى هي السلبيـة والجمود والانقطاع وهؤلاء الذين يقتلون في سبل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من اجله فاعلية مؤثرة الفكرة التي من اجلها قتلوا ، ترتوي بدمائهم وتمتد وتؤثر الباقين من ورائهم باستشهادهم يقوى ويمتد فهم ما يزالون عنصراً فعالا دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها وهذه هي صفة الحياة الاولى فهم احياء اولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس .

ثم هم احياء عند ربهم ، اما بهذا الاعتبار واما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه وحسبنا اخبار الله تعالى به احياء ولكن لا تشعرون ، لأن كنه هذه الحياة فوق ادراكنا البشري القاصر المحدود ولكنهم احياء .

احياء ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى ويكفنون في ثيـابهم التي استشهدوا فيها فالغسل تطهير للجسد الميت ، وهم اطهار بما فيهم من حياة وثيابهم في الارض ثيابهم في القبر لأنهم بعد احياء .

احياء فلا يشق قتلهم على الاهل والاحباء والاصدقاء ، احياء يشاركون في حياة الاهل والاحباء والاصدقاء ، احياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم ولا يتعاظمها الامر ولا يهولها عظم الفداء .

ثم هم بعد كونهم احياء مكرمون عند الله مأجورون اكرم الاجر واوفاه .

في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في

الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون فقالوا يا ربنا واي شيء نبغي وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ، ثم عاد عليهم بمثل هـذا فلما رأوا انهم لا يتركون من ان يسئلوا قالوا نريد ان تردنا إلى دار الـدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة اخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله اني كتبت انهم اليها لا يرجعون .

في امالي الشيخ عن ابن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله فقال : ما يقول الناس في ارواح المؤمنين بعد موتهم ؟ قلت : يقولون في حواصل طيور خضر . فقال : سبحان الله المؤمن اكرم على الله من ذلك إذا كان ذلك اتاه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله عز وجل المقربون فان انطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد وللنبي بالنبوة والولاية لاهل البيت شهد على ذلك رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون معهم ، وان اعتقل لسانه خص الله نبيه بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله افضل السلام ومن حضر معهم من الملائكة فاذا قبضه الله اليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا .

وحكى عن المحاسن عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله قال ذكر الارواح ارواح المؤمنين فقال يلتقون ، قلت : يلتقون ؟ قال : نعم يتسائلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان .

وعن انس قال : قال رسول الله ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع إلى الدنيا وله ما على الارض من شيء إلا الشهيد ويتمنى ان يرجع إلى الدنيا

فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ولكن من هم هؤلاء الشهداء الاحياء انهم اولئك الذين يقتلون في سبيل الله ، في سبيل الله وحده دون شركة في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله ، في سبيل هذا الحق الذي انزله في سبيل هذا المنهج الذي شرعه ، في سبيل هذا الدين الذي اختاره ، في هذا السبيل وحده ، لا في أي سبيل آخر ، ولا تحت أي شعار آخر ، ولا شركة مع هدف أو شعار وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر غير الله .

وعن ابى موسى قال : سئل رسول الله (ص) عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وعن أبي هريرة ان رجلا قال : يارسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا ؟ فقال : لا اجر له ، فاعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول لا اجر له .

وعنه قال : قال رسول الله : تضمن الله تعالى لمن خرج في سبيل الله ، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وايمان بى ، وتصديق برسلي ، فهو علي ضامن ان ادخله الجنة أو ارجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من اجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله عز وجل أبداً ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق عليهم ان يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل .

فهؤلاء هم الشهداء هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله لا يخرجهم

إلا الجهاد في سبيله وايمان به وتصديق برسله .

ولقد كره رسول الله لفتى فارسي يجاهد ان يذكر فارسيتـــه ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد .

عن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبيه وكان مولى من اهل فارس قال شهدت مع النبي (ص) احداً ، فضربت رجلا من المشركين فقلت : خذها وانا الغلام الفارسي فالتفت إلي النبي (ص) فقال : هلا قلت وانا الغلام الانصاري ، ان ابن اخت القوم منهم وان مولى القوم منهم .

فقد كره (ص) ان يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي وان يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين وهذا هو الجهاد وفيه وحـده تكون الشهادة وتكون الحياة للشهداء .

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الاحـــداث ، وفي تقويم التصور لحقيقة الاحداث :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليـــه راجعون » .

ولابد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد وبالجوع ونقص الاموال والانفس والثمرات ، ولابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقـدار ما ادوا في سبيلها من تكاليف ، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدى اصحـابها تكاليفها ، لا يعز عليهم التخلي عنها ، عند الصدمة الاولى ، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس اهلهـــا ، قبل ان تعز في نفوس الاخرين ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من اجلها كانت اعز عليهم وكانوا اظن بها كـــذلك لن يدرك الاخرون قيمتها إلا حين يرون

ابتلاء اهلها بها ، وصبرهم على بلائها ، انهم عندئذٍ سيقولون في انفسهم لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيراً مما يبتلون به واكبر مـا قبلوا هذا البلاء ، ولا صبروا عليه وعندئذٍ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها مقدرين لها مندفعين اليها ، وعندئذٍ يجيء نصر الله والفتح ، ويدخل الناس في دين الله افواجاً ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود اصحاب العقيـدة ويقوى ، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطـارق الشدائد والقيم والموازين والتصورات مـا كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب .

واهم من هذا كله أو القاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الاسناد كلها وتتوارى الاوهام وهي شتى ويخلو القلب إلى الله وحـده لا يجد سنداً إلا سنده . وفي هذه اللحظة فقط تتجلى الغشاوات ، وتتفتح البصيرة ، وينجلي الافق على مد البصر لا شيء إلا الله لا قوة إلا قوته لا حول إلا حوله لا ارادة الا ارادته ، لا ملجأ إلا اليه وعندئذٍ تلتقى الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح .

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الافق .

« وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليـه راجعون » .

انا لله كلنا ، كل ما فينا كل كياننا وذاتيتنا لله ، واليه المرجع والمآب في كل امر ، وفي كل مصير ، التسـليم التسليم المطلق ، تسليم الالتجـاء الاخير المنبثق من الالتقاء وجهاً لوجه بالحقيقة الوحيدة وبالتصور الصحيح

هؤلاء هم الصابرون الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل ، وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل

« اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »

صلوات من ربهم يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيهم الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه وهو مقام كريم ورحمة وشهادة من الله بانهم هم المهتدون ، وكل امر من هذا هائل عظيم .

وبعد فلابد من وقفة امام هذه الخاتمة ، في تلك التعبئة للصف الاسلامى ، التعبئة في مواجهة المشقة والجهد والاستشهاد ، والقتل والجوع والخوف ونقص الاموال والانفس والثمرات التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التالكيف ، ان الله يضع هذا كله في كفة ، ويضع في الكفة الاخرى أمراً واحداً « صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » انه لا يعدهم هنا نصر ولا يعدهم هنا تمكين ولا يعدهم هنا مغانم ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته ، لقد كان الله يعد هذه الجماعة لامر اكبر من ذواتها ، واكبر من حياتها فكان من ثم يجردها من كل غاية ومن كل هدف ، ومن كل رغبة من الرغبات البشرية ، حتى الرغبة في انتصار العقيدة ، كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق لهم ولطاعته ولدعوته ، كان عليهم ان يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء ، إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بانهم مهتدون ، هذا هو الهدف وهذه هى الغاية ، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو اليها قلوبهم وحدها ، فاما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم انما هو لدعوة الله التي يحملونها .

ان لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء على التضحية بالاموال والانفس والثمرات وجزاء على الخوف والجوع والشدة ، وجزاء على القتل والشهادة ، ان الكفة ترجح بهذا العطاء فهو اثقل في الميزان من كل عطاء ارجح من النصر ، وارجح من التمكين ، وارجح من شفاء غيض الصدور

هذه هي التربية التي اخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الاعـداد العجيب وهذا هو المنهج الالهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر اجمعين انتهى ما في ظلال القرآن .

كلام ابن كثير تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٥ .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولاتكفرون » :

يذكر الله عباده المؤمنين ما انعم به عليهم من بعثة الرسول محمد (ص) اليهم يتلو عليهم ايات الله مبينات ، ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الاخلاق ودنس النفوس وافعال الجاهليـة ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول فانتقلوا ببركة رسـالته ويمن سفارته إلى حال الاولياء وسجايا العلماء فصاروا اعمق النـاس علما وابرهم قلوباً واقلهم تكلفاً واصدقهم لهجة ، وقال تعالى « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم » الآية وذم من لم يعرف هذه النعمة فقال تعالى « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار »

قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمد (ص) ولهـذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال « فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » .

قال مجـاهد في قوله « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم » يقول : كما فعلت فاذكروني .

قال عبد الله بن وهب عن هاشم بن سعيد عن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام قال يارب كيف اشكرك قال له ربه تذكرني ولا تنساني فاذا

ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وقال الحسن البصري وأبو العالية والسدى والربيع بن انس : ان الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ، ويعذب من كفره .

وقال بعض السلف في قوله تعالى « اتقوا الله حق تقاته » قال : هو ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

وقال ابن ابى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا عمارة الصيدلاني اخبرنا مكحول الازدي قال قلت لابن عمر : ارأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله تعالى ؟ وقد قال الله تعالى فاذكروني اذكركم قال : إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت .

وقال الحسن البصري في قوله فاذكروني اذكركم ، قال اذكروني فيما افترضت عليكم اذكركم فيما اوجبت لكم على نفسي .

وعن سعيد بن جبير : اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتى وفي رواية برحمتي

وعن ابن عباس في قوله اذكروني اذكركم قال : ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه .

وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى من ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرنى في ملأ ذكرته في ملأ خير منه .

قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل يابن ادم ان ذكرتني في لفساك ذكرتك في نفسي ، وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة أو قال في ملأ خير منه وان دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً ، وان دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً ، وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة صحيح الاسناد اخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة : الله اقرب

بالرحمة ، وقوله « واشكروا لي ولا تكفرون » امر الله تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضاله رجل من قيس حدثنا أبو رجاء العطاردي قال : خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من انعم الله عليه نعمة فان الله يحب ان يرى اثر نعمته على خلقه وقال روح مرة على عبده .

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون »

لما فرغ تعالى من بيان الامر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد والاستعانة بالصبر والصلاة ، فان العبد اما ان يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ان اصابته سراء فشكر كان خيراً له وان اصابته ضراء فصبر كان خيراً له ، وبين تعالى ان اجود ما يستعان به على المصائب الصبر والصلاة كما تقدم في قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين » .

وفي الحديث ان رسول الله (ص) كان إذا حزبه امر صلى .

والصبر على انواع : فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات ، والثاني اكثر ثواباً لانه المقصود .

واما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب فذاك أيضا واجب كالاستغفار من المعائب كما قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : الصبر في بابين ، الصبر لله بما احب وان ثقل على الانفس والابدان والصبر لله عما

كره فهو من الصابرين الذي يسلم عليهم انشاء الله .

وقال علي بن الحسين زين العابدين (ع) اذا جمع الله الاولين والآخرين ينادي مناد اين الصابرون ليدخلون الجنة قبل الحساب قال : فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين يابنى آدم فيقولون الى الجنة فيقولون قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن انتم قالوا نحن الصابرون قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله قالوا انتم كما قلتم ادخلوا الجنه فنعم اجر العاملين قلت : ويشهد لهذا قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) (١) وقال سعيد ابن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما اصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر وقوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء) (٢) :

يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم احياء يرزقون ، كما جاء في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنـــة حيث شاءت .

روى ابن ماجة في السنن عن ابى بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن امه عن فاطمة بنت الحسين عن ابنها وقد رواه اسمعيل ابن عليـــه ويزيد بن هارون عن هشام بن زياد عن ابيه كذا عن فاطمة عن ابيها وقال الامام احمد انا يحيى بن اسحق السيليجبنى انا حماد بن سلمة عن ابي سنان قال دفنت ابناً لي فاني لفي القبر اذ اخذ بيدي ابو طلحة يعنى الخولاني فاخرجنى وقال لي الا ابشرك قلت بلى قال حدثنى الضحاك ابن عبد الرحمن بن عوزب عن ابي موسى قال قال رســول الله قال الله

---

(١) سورة الزمر آية : ١٠ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٥٤ .

يامك الموت قبضت ولد عبدي قبضت قرة عينيه وثمرة فؤاده قال نعم قال فما قال قال حمدك واسترجع قال ابن له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ، ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره وهكذا رواه الترمذى عن سويد بن نافع ابن المبارك به وقال حسن غريب واسم ابي سنان عيسى بن سنان انتهى كلام ابن كثير :

الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٣٤٧ كلام العلامة الطباطبائي « يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ١٥٣ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ١٥٤ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ١٥٥ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ١٥٦ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » ١٥٧) :

بيان

خمس آيات متحدة السياق متسقة الجمل ملتئمة المعاني يسوق اولها الى آخرها ويرجع آخرها الى أولها وهذا يكشف عن كونها نازلة دفعة غير متفرقة وسياقها ينادي بانها نزلت قبيل الأمر بالقتال وتشريع حكم الجهاد ففيه ذكر من بلاء سيقبل على المؤمنين ومصيبة ستصيبهم ولا كل بلاء ومصيبة بل البلاء العمومى الذي ليس بعادي الوقوع مستمر الحدوث فان نوع الانسان كسائر الانواع الموجودة في هذه النشأة الطبيعية لا يخلو في افراده من حوادث جزئية يختل بها نظام الفرد في حياته الشخصية من موت ومرض وخوف وجوع وغم وحرمان ، سنة الله التي جرت في عباده وخلقه

فالدار دار التزاحم والنشأة نشأة التبدل والتحول ولن تجد لسنة الله تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والبلاء الفردي وإن كان شاقاً على الشخص المبتلى بذلك مكروها لكن ليس مهولا مهيباً تلك المهابة التي تترائى بها البلايا والمحن العامة فان الفرد يستمد في قوة تعقله وعزمه وثبات نفسه من قوة سائر الافراد .

واما البلايا العامة الشاملة فانها تسلب الشعور العمومي وحملة الرأي والحزم والتدبير من الهيئة المجتمعة ويختل به نظام الحياة منهم فيتضاعف الخوف وتتراكم الوحشة ويضطرب عندها العقل والشعور وتبطل العزيمة والثبات والبلاء العام والمحنة الشاملة أشق وأمر وهو الذي تلوح به الآيات ولا كل بلاء عام كالوباء والقحط بل بلاء عام قربتهم منها انفسهم فانهم اخذوا دين التوحيد واجابوا دعوة الحق وتخالفهم فيه الدنيا وخاصة قومهم وما لهؤلاء هم الا إطفاء نور الله واستيصال كلمة العدل وابطال دعوة الحق ، ولا وسيلة تحسم مادة النزاع وتقطع الخلاف غير القتال فسائر الوسائل كاقامة الحجة وبث الفتنة والقاء الوسوسة والريبة وغيرها صارت بعد عميقة غير منتجة فالحجة مع النبي (ص) والوسوسة والفتنة والدسيسة ما كانت تؤثر اثراً تطمئن اليه أعداء الدين فلم يكن عندهم وسيلة إلا القتال والإستعانة به على سد سبيل الحق وإطفاء نور الدين اللامع المشرق هذا من جانب الكفر والأمر من جانب الدين اوضح فلم يكن الى نشر كلمة التوحيد وبث دين الحق وحكم العدل وقطع دابر الباطل وسيلة الا القتال فان التجارب الممتدة من لدن كان الإنسان نازلا في هذه الدار يعطي ان الحق إنما يؤثر اذا اميط الباطل ولن يماط الا بضرب من أعمال القدرة والقوة .

وبالجملة ففي الآيات تلويح الى إقبال هذه المحنة بذكر القتل في سبيل الله وتوصيفه بوصف لا يبقى فيه معه جهة مكروهة ولا صفة سوء وهو

انه ليس بموت بل حياة واي حياة فالآيات تستنهض المؤمنين على القتال وتخبرهم ان امامهم بلاء ومحنة لن ينالوا مدارج المعالي وصلاة ربهم ورحمته والاهتداء بهدايته الا بالصبر عليها وتحمل مشاقها ويعلمهم مايستعينون به عليها وهو الصبر والصلاة :

اما الصبر فهو وحده الوقاية من الجزع واختلال امر التدبير وأما الصلاة فهي توجه الى الرب وانقطاع الى من بيده الأمر وان القوة لله جميعا :

قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » الآية قد تقدم جملة من الكلام في الصبر والصلاة في تفسير قوله « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » البقرة ٤٥ والصبر من أعظم الملكات والاحوال التي يمدحها القرآن ويكرر الأمر به حتى بلغ قريباً من سبعين موضعاً من القرآن حتى قيل فيه « ان ذلك من عزم الامور» لقمن ١٧ او قيل « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » ٣٥ وقيل : « إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » الزمر ١٠ :

والصلاة من أعظم العبادات التي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » العنكبوت ٤٠ ، وما أوصى الله في كتابه بوصايا إلا كانت الصلاة رأسها وأولها ثم وصف سبحانه الصبر بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر ، وإنما لم يصف الصلاة كما في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة » الآية لأن المقام في هذه الآيات مقام ملاقات الأهوال ومقارعة الأبطال فالإهتمام بامر الصبر اسب بخلاف الآية السابقة ، فلذلك قيل : « ان الله مع الصابرين ٥١ » وهذه المعية غير المعية التي يدل عليه قوله تعالى « وهو معكم اينما كنتم » الحديد ٤ فانها معية الاحاطة والقيومة بخلاف المعية مع الصابرين فانها معية اعانة

فالصبر مفتاح الفرج قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » الآية .

ربما يقال ان الخطاب مع المومنين الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر وأذعنوا بالحياة الآخرة ولا يتصور منهم القول ببطلان الانسان بالموت بعدما أجابوا دعوة الحق وسمعوا شيئاً كثيراً من الآيات الناطقة بالمعـاد مضافا الى ان الآية إنما تثبت الحياة بعد الموت في جماعة مخصوصين وهم الشهداء المقتولين في سبيل الله في مقابل غيرهم من المؤمنين وجميع الكفار مع ان حكم الحياة بعد الموت عام شامل للجميع ، فالمراد بالحياة بقاء الاسم والذكر الجميل على مر الدهور وبذلك فسره جمع من المفسرين .

ويرده اولا ان كون هذه حياة انما هو في الوهم فقط دون الخارج فهي حياة تخيلية ليس لها في الحقيقة إلا الاسم - ومثل هذا الموضوع الوهمي لا يليق بكلامه وهو تعالى يدعو الى الحق ويقول : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » يونس ٣٢ وأما الذي سأله ابراهيم في قوله « واجعل لي لسان صدق في الاخرين » الشعراء - ٨٤ فانما يريد به بقاء دعوته الحقة ولسانه الصادق بعده لأحسن ثنائه وجميل ذكره بعده فحسب .

نعم هذا القول الباطل والوهم الكاذب إنما يليق بحال الماديين واصحاب الطبيعة فانهم اعتقدوا مادية النفوس وبطلانها بالموت ونفوا الحياة الآخرة ثم احسوا باحتياج الانسان بالفطرة إلى القول ببقاء النفوس وتأثرها بالسعادة والشقاء بعد موتها في معالي امور لا تخلو من الارتقاء اليها من التفديـة والتضحية لا سيما عظائم العزائم التي يموت ويقتل فيها اقوام ليحيى ويعيش آخرون ، ولو كان كل من مات فقد فات لم يكن داع للانسان (وخاصة اذا اعتقد بالموت والفوت) ان يبطل ذاته ليبقى ذات آخرين ولا باعث له ان يحرم على نفسه لذة الاستمتاع من جميع مايقدر عليه بالجور ليتمتع

آخرون بالعدل والعاقل لا يعطي شيئاً إلا ويأخذ بدله واما الاعطاء من غير بدل والترك من غير اخذ كالموت في سبيل حياة الغير والامان في طريق تمتع الغير فالفطرة الإنسانية تأباه فلما استشعروا بذلك دعاهم جبر هذا النقص إلى وضع هذه الاوهام الكاذبة التي ليس لها موطن إلا عرصة الخيال وحظيرة الوهم ، وقالوا ان الإنسان الحر من رق الاوهام والخرافات يجب عليه أن يفدى بنفسه وطنه أو كل مافيه شرفه لينال الحياة الدائمة بحسن وجميل الثناء ويجب عليه أن يحرم على نفسه بعض تمتعاته في الإجتماع ليناله الآخرون ليستقيم أمر الإجتماع والحضارة ويتم العدل الإجتماعي فينال بذلك حياة الشرف والعلاء .

وليت شعري اذا لم يكن إنسان وبطل هذا التركيب المادي وبطل بذلك جميع خواصه ومن جملتها الحياة والشعور فمن هو الذي ينال هذه الحياة وهذا الشرف ومن الذي يدركه ويلتذ به فهل هذا إلا خرافة .

وثانياً : إن دليل الآية وهو قوله تعالى : « ولكن لا تشعرون » ٥١ لا يناسب هذا المعنى بل كان المناسب له أن يقال بل أحياء ببقاء ذكرهم الجميل وثناء الناس عليهم بعدهم لأنه المناسب لمقام التسلية وتطييب النفس .

وثالثاً : إن نظيرة هذه الآية وهي تفسيرها وصف حياتهم بعد القتل بما ينافي هذا المعنى قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران ـ ١٦٩ الى آخر الآيات ، ومعلوم أن هذه الحياة حياة خارجية حقيقية ليست بتقديرية .

ورابعاً ان الجهل بهذه الحياة التي بعد الموت ليس بكل البعيد من بعض المسلمين في أواسط عهد رسول الله (ص) فان الذي هو نص غير قابل للتأويل انما هو البعث للقيامة وأما مابين الموت إلى الحشر وهي الحياة البرزخية فهي وإن كانت من جملة مابينه القرآن من المعارف الحقة لكنها

ليست من ضروريات القرآن والمسلمون غير مجمعين عليه بل ينكره بعضهم حتى اليوم فمن يعتقد كون النفس غير مجردة عن المادة وان الانسان يبطل وجوده بالموت وانحلال التركيب ثم يبعثه الله إلى القضاء يوم القيامة فيمكن أن يكون المراد ببيان حياة الشهداء في البرزخ لمكان جهل بعض المؤمنين بذلك وان علم به آخرون .

وبالجملة المراد بالحياة في الآية الحياة الحقيقية دون التقديرية وقد عدّ الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبواراً في مواضع من كلامه كقوله تعالى . « واحلوا قومهم دار البوار » ابراهيم - ٢٨ إلى غير ذلك من الآيات فالحياة حياة السعادة والاحياء بهذه الحياة المؤمنون خاصة كما قال « وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت - ٦٤ ، وإنما لم يعلموا لأن حواسهم مقصورة على إدراك خواص الحياة في المادة الدنيوية .

وأما ماورائها فاذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه وبين الفناء فتوهموه فناءاً وما توهمه الوهم مشترك بين المؤمن والكافر في الدنيا فلذلك قال في هذه الآية : « بل أحياء ولكن لا تشعرون » أي بحواسكم كما قال في الآية الأخرى : « لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » أي باليقين كما قال تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم » التكاثر - ٦ .

فمعنى الآية « الله اعلم ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات » ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم ومقابلته مع الحياة وكما يعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به .

والقاء هذا القول على المؤمنين مع انهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الإنسان بعد الموت وعدم بطلان ذاته - انما هو لإيقاظهم وتنبيههم بما هو معلوم عندهم يرتفع بالالتفات اليه الحرج عن صدورهم والاضطراب

والقلق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبة القتل فانه لايبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل إلا مفارقة في ايام قلائل في الدنيا وهـو هين في قبال مرضات الله سبحانه وما ناله القتيل من الحياة الطيبة والنعمة المقيمة ورضوان من الله أكبر .

وهذا نظير خطاب النبي (ص) بمثل قوله تعالى : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » الآية مع انه أول الموقنين بآيات ربه ولكنه كلام كنى به عن وضوح المطلب وظهوره بحيث لا يقبل أى خطور نفسانى لخلافه .

نشأة البرزخ

فالآية تدل دلالة واضحة على حياة الانسان البرزخية كالآية النظيرة لها وهي قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران ١٦٩ والآيات في ذلك كثيرة .

ومن اعجب الأمر ماذكره بعض الناس في الآية أنها نزلت في شهداء بدر فهي مخصوصة بهم فقط لا تتعداهم إلى غيرهم هذا وقد أحسن بعض المحققين من المفسرين في تفسير قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » الآية اذ سئل الله تعالى الصبر على تحمل مثل هذه الاقاويل .

وليت شعرى ماذا يقصده هؤلاء بقولهم هذا وعلى أي صفة يتصورون حياة شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم بانعدام الإنسان بعد الموت والقتل وانحلال تركيبه وبطلانه أهو على سبيل الاعجاز ، باختصاصهم من الله بكرامة لم يكرم بها النبي الاكرم (ص) وسائر الانبياء والمرسلين والاولياء المقربين إذ خصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام فليس ذلك باعجاز بل محال

ضرورى الاستحالة ولا اعجاز في محال ولو جاز عند العقل ، ابطال هذا الحكم على بداهتها لم يستقم حكم ضرورى ، فما دونه أم على نحو الاستثناء في حكم الحس بان يكون الحس مخطئاً في أمر هؤلاء الشهداء فهم أحياء يرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتعات ، وهم غائبون عن الحس وما ناله الحس من امرهم بالقتل وقطع الاعضاء وسقوط الحس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس فلو جاز على الحس أمثال هـذه الاغلاط فيصيب في شيء ويغلط في آخر من غير مخصص بطل الوثوق به على الإطلاق .

ولو كان المخصص هو الارادة الآلهية احتاج تعلقها الى مخلوق آخر والاشكال وهو عدم الوثوق بالادراك على حاله فكان من الجائز ان نجد ماليس بواقع واقعاً والواقع ليس بواقع وكيف يرضى عاقل أن يتفوه بمثل ذلك وهل هو الا سفسطة .

وقد سلك هؤلاء في قولهم هذا مسلك العامة من المحدثين حيث يرون ان الأمور الغائبة عن حواسنا مما يدل عليه الظواهر الدينية من الكتـاب والسنة ، كالملائكة وارواح المؤمنين وسائر ماهو من هذا القبيل موجودات مادية طبيعية وأجسام لطيفة تقبل الحلول والنفوذ في الاجسام الكثيفة على صورة الانسان ونحوه يفعل جميع الافعال الانسانية مثلا ، ولها أمثال القوى التي لنا غير أنها ليست محكومة باحكام الطبيعة من التغير والتبدل والتركيب وانحلاله والحياة والموت الطبيعيين فاذا شاء الله ظهورها ظهرت لحواسنـا وإذا لم يشأ أو شاء ان لا تظهر لم تظهر مشيّة خالصة من غير مخصص في ناحية الحواس أو تلك الاشياء .

وهذا القول منهم مبني على انكار العلية والمعلولية بين الاشياء ، ولو صحت هذه الأمنية الكاذبة بطلت جميع الحقايق العقلية والاحكام العلمية فضلا عن المعارف الدينية ، ولم تصل النوبة إلى اجسامهم اللطيفة المكرمة التي لا

تصل اليها يد التأثير ، والتأثير المادى الطبيعي وهو ظاهر .

فقد تبين بما مر ان الآية دالة على الحياة البرزخية وهي المسماة بعالم القبر ، عالم متوسط بين الموت والقيامة ينعم فيه الميت أو يعـذب حتى تقوم القيامة .

ومن الآيات الدالة عليه وهى نظير لهذه الآية الشريفة قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا ربهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين » (١) قد مر تقريب دلالة الآية على المطلوب ولو تدبر القائل باختصاص هذه الآيات بشهداء بدر في متن الآيات لوجدان سياقها يفيد اشتراك سائر المؤمنين معهم في الحياة والتنعم بعد الموت .

ومن الآيات قوله تعالى : « حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعونى لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (٢) والآية ظاهرة الدلالة على ان هناك حياة متوسطة بين حياتهم الدنيوية وحياتهم بعد البعث وسيجيء تمام الكلام في الآية انشاء الله .

ومن الآيات قوله تعالى . « وقال الذين لا يرجون لقائنا لو لا نزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتواً كبيرا يوم يرون الملائكة » (٣) ومن المعلوم ان المراد به أول مايرونهم وهو يوم الموت كما تدل عليه آيات أخر : « لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجورا وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا اصحاب الجنة يومئذ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧١ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠١ .

(٣) سورة الفرقان آية ٢١ .

خير مستقرا واحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام » (١) وهو يوم القيامة « ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا » (٢) ودلالتها ظاهرة وسيأتي تفصيل القول فيها في محله انشاء الله .

ومن الآيات قوله تعالى : « قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » (٣) فهنا إلى يوم البعث وهو يوم قولهم هذا اماتتان واحياتتان ، ولن يستقيم المعنى إلا باثبات البرزخ فيكون اماتة واحياء في البرزخ واحياء في يوم القيامة ولو كان احد الاحيائين في الدنيا والآخرة ، في الآخرة لم تكن هناك الا اماتة واحدة من غير ثانية وقد مر كلام يتعلق بالمقام في قوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم » (٤) .

ومن الآيات قوله تعالى : « وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » اذ من المعلوم ان يوم القيامة لا بكرة فيه ولا عشى فهو يوم غير اليوم .

والآيات التي تستفاد منها هذه الحقيقة القرآنية او تومى اليها كثيرة كقوله تعالى : « تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم » (٦) « يا ايها الناس كلوا مما في الارض

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان آية . ٢٦ .

(٣) سورة المؤمن آية : ١١ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨ .

(٥) سورة المؤمن آية : ٤٦ .

(٦) سورة النحل اية : ٦٣ .

حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (١) :

لا ريب ان المآكل الموجودة في الارض منها حلال ومنها حرام ، وحيث ان الشيطان يدعو الى العصيان فهو يدعو إلى ترك الحلال واكل الحرام ، وان الله امرنا في هذه الآية بالأكل من الحلال المبين تفصيله في الكتاب والسنة وكذا نهانا عن اكل الحرام ونبهنا ان الشيطان يدعونا الى خلاف ذلك ، ونهانا عن اتباعه لأنه عدو لنا متظاهر ومجاهر بالعداوة لنا وان العاقل لابد وان يتباعد عن عدوه المعلن بالعداء له والا فهو جاهل سفيه ليس له من العقل شيء ابدا لأنه اذا اتبع عدوه اوقعه في المهالك وذو العقل لا يقدم على القاء نفسه في المهالك :

روى عن النبي (ص) قال : من اكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة اربعين ليلة ولم يستجب له دعوة اربعين صباحاً ، وكل لحم ينبته الحرام فالنار اولى به : وان اللقمة الواحدة تنبت اللحم .

وروى اصحاب التفاسير عن النبي (ص) انه قال : المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء : وقد كثرت كلمات الفريقين في معنى الخبر واحسن ماقيل فيه هو ان المؤمن لا يأكل إلا من الحلال ويجتنب الحرام والشبهة ، والكافر لا يبالى بما أكل وكيف أكل ومن اين أكل فيكون مأكل الكافر اكثر من مأكل المؤمن لكثرة موارده عنده وإنما خصها بالسبعة كما خص السبعين في قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة » : وعن تاريخ البلاذري انه انفذ للنبي (ص) ابن عباس الى معاوية ليكتب له فقال انه يأكل ثم بعث اليه ولم يفرغ من اكله فقال النبي (ص) لا اشبع الله بطنه :

وروى عن النبي (ص) قال من اكل الحلال اربعين يوماً نور الله

---

(١) سورة البقرة اية : ١٦٨ :

قلبه ، وقال ان لله ملكاً ينادى على بيت المقدس كل ليلة : - من اكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا . الصرف النافلة ، والعدل الفريضة . وعنه (ص) : - العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل وأمـا الطيب فقيل انه الحلال وكرر لاختلاف اللفظ ويدل عليه ماروى في امالي الصدوق في تفسير قوله تعالى : « قل لا يستوى الخبيث والطيب » عن النبي (ص) من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفورا وقيل هو مااستلذ من الطعام وقيل هو الخالي عن الشبهة .

« انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون (١) : بعدما امرنا الله في الآية السابقة ان يكون مأكلنا من الحلال الطيب لتنمو ابداننا عليه فلا يكون فيها نصيب للنار ونهانا عن اتباع خطوات الشيطان حيث ان خطواته خلاف الحق فهي تباعد المتبع لها عن طريق الهدى الذى أوضحه الله لنا ففي هذه الآية بيّن ان أوامر الشيطان منحصرة بالسـوء والفحشاء وانه لا يوسوس ولا ينفث في قلب الانسان شيئاً الا السوء والفحشاء والسوء هو كل امر تكون عاقبته سيئة بحكم العقل والشرع ، فالانسان إذا اتبع الشيطان في أول خطوة فقد بعد عن الحق وعن طريق الهدى فيأمره الشيطان بالسوء ثم يأمره بالفحشاء فاذا أطاعه فقد زاد بعده عن الحق فاذا اتبع الشيطان في الخطوة الثالثة يأمره حينئذ ان يظهر العـداء الى الله بان يقول على الله مالا يعلم من اتخاذ الانداد ونسبة الاولاد وتحليل الحرام وتحريم الحلال والافتراء على الله والقضاء والفتوى بغير علم فالذى أمر الله به المؤمنين في هاتين الآيتين : -

١ - ان يكون مأكلهم من الحلال الطيب :

٢ - ترك مايأمرهم به الشيطان من الأكل من سائر المحرمـات التي

---

(١) سورة البقرة اية : ١٦٩ .

حرمها الله عليهم .

٣ ـ عدم اتباع الشيطان في غير المأكول من سائر المحرمات فان الدخول فيها يجرهم إلى أكل المحرمات .

٤ ـ الاعتقاد بأن كل مايأمر به الشيطان ويدعو اليه هو سوء وفحشاء ويجرهم الى القول على الله بما لا يعلمون .

٥ ـ الاعتقاد بان الشيطان بالنسبة الى الإنسان عدو مبين .

وبعد ماامر الله عموم الناس بهذه الاوامر وحيث ان النـــاس منهم المطيع ومنهم العاصي وصف الله العصاة بالكفر وعدم العقل وعدم الاهتداء ، ثم وجه نداء خاصاً الى المؤمنين الذين أظهروا الايمان بالسنتهم وأمرهم بما يكون اختباراً لهم ومميزا للصادق من الكاذب فقال تعالى : ـ « يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » (١) .

لقد أمر الله المؤمنين بالاكل اي أباح لهم الاكل من الطيبات وهي الحلال الذي جعله الله رزقاً لهم فلا رخصة في اكلهم من الحرام ، اذ ان الله لم يجعله لهم رزقاً وامرهم ان يشكروا لله على رزقه ونبههم بانكم إذا عرفتم ان الله هو الخالق لكم فعبدتموه فانه أيضاً هو رازقكم فيلزمكم ان تشكروه على هذه النعم التي خلقها وجعلها رزقاً لكم وان لم يتحقق منكم الشكر كانت عبادتكم ناقصة غير كاملة .

روي عن النبي (ص) قال : ـ يقول الله اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى ارزق ويشكر غيري .

« انما حرم عليكم الميتـــة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله » (٢) قد ذكر الله في هذه الآية بعض المحرمات وليس المقصود من الحصر انه

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٣ .

لا يحرم غيرها وانما المقصود الرد على المشركين الذين حرموا على انفسهم بعض الاشياء فرد الله عليهم بان الحرام هو مايحرمه الله وهو في هذا الموضع : -

١ - الميتة : - فانها محرمة أكلها وسائر الانتفاعات بها والميتة هي غير المذكات تذكية شرعية .

٢ - الدم : - بجميع انواعه الا ماخرج بدليل شرعي وهو المتخلف في اللحم .

٣ - لحم الخنزير : - وانما خص اللحم بالذكر لان المقام في ذكر المأكل ولا يؤكل من الخنزير الا اللحم والا فسائر الانتفاعات فيه محرمة .

٤ - ماأهل به لغير الله : - والمقصود منه مايذبحه المشركون لآلهتهم كالاصنام وغيرها ، فقد حرم الله الذبائح التي تذبح لغير الله أو أن المقصود من ذلك مايذبح ولم يذكر عليه اسم الله فكان المباح اكله يشترط فيه امران : -

الأول : - ان لا يكون لغير الله .

والثاني : - ان يذكر عليه اسم الله والاهلال هو رفع الصوت عند الذبح للصنم .

قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم (١) .

بعد ماذكر حرمة هذه الامور على الناس بيّن لنا ان رحمته لا تفارقنا طرفة عين وان هذه الحرمة لغير المضطر . أما المضطر الى اكلها فان الله لا يعاقبه عليه بشرط ان لا يكون باغ ولا عاد ومعنى الباغي والعاد فقد قيل فيه اقوال : -

١ - الباغ : - هو الذي يبغي اللذة في الاكل والعاد هو الذى يتعدى حد الضرورة من سد الرمق .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٣ .

٢ – الباغ : – هو الذي يبغي على الامام والعاد هو الذي يقطع الطريق وهو مروى عن الصادق عليه السلام .

٣ – مافي رواية اخرى ان الباغي : الظالم والعادى الغاصب : عن الصادق (ع) ايضاً الباغي : باغي الصيد ، والعادى السارق .

وانما عددنا هذه الآية من صفات المؤمنين لما ورد عن الصادق (ع) قال : – من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتى يموت وهو كافر .

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) (١) .

يلزمنا هنا ذكر مقدمات ليتضح للمسلم الطالب للحقيقة معنى الآية فيتصف بالصفات الموصلة اليها : –

الاولى : – ان البر بالكسر قد ذكر له عدة معانى منها العطف والاحسان ومنها الصدق ومنها الفعل المرضى ومنها الايمان والتقوى والذي يناسب المقام هو المعنى الثالث أي الفعل المرضي او الرابع اي الايمان والتقوى .

الثانية : – ان الله لما حول القبلة الى الكعبة كثر الخصام وطالت المشاجرات وازداد الخوض في امر القبلة من اهل الكتاب وغيرهم وادعت كل طائفة ان البر وهو الايمان والتقوى منحصر في التوجه الى قبلتها فقبلة النصارى المشرق وقبلة اليهود المغرب وقبلة الاسلام الكعبة فانزل الله هذه الآية لقطع الخصام وحسم الجدال ورد على اهل الكتاب زعمهم ان البر في

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

التوجه الى قبلتهم :

الثالثة : — ان المقصود من الآية ليس اخراج التوجه إلى القبلة والصلاة من البر مطلقاً وإنما المقصود عدم انحصار البر في التوجه وبهذا يبطل قول أهل الكتاب ان غير التوجه إلى قبلتهم فليس من الدين في شيء ولا ايمان له وأشاعوا في الناس بان التوجه للصلاة له تتحقق اطاعة الله والايمان والتقوى وقد نبهنا الله الى ان الصلاة انما هى واحدة من الامور التي يطاع الله بها وليست هي الكل بالكل وانها وجبت لكونها تدعو الى الصلاح وتصرف عن الفساد وذلك يختلف بحسب الازمان والاحوال :

فبعد ماعرفنا هذه المقدمات ينبغي ان يعرف المسلمون مالذي يريده الله منهم في هذا العصر وهو القرن الرابع عشر عند المسلمين أما الذين ولوا وجوههم وقلوبهم قبل المشرق والمغرب فيطلقون عليه قرن العشرين ان الله تعالى يقول لكم ليس الاسلام والايمان هو توجهكم نحو القبلة واقامة الصلاة فحسب مع كونكم وليتم وجوهكم وقلوبكم قبل المشرق والمغرب فان هذا الذي انتم عليه ليس باسلام ولا ايمان حتى تتصفوا بالصفات التالية وكأني بأحد المؤمنين المتقين يقول ياليت المسلمين يقيمون الصلاة ويولون وجوههم نحو القبلة ولو أقاموا الصلاة لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكن أكثر المسلمين قد تركوا الصلاة ونبذوها ولم يعرفوا منها شيئاً مع انها عمود الدين فاذا جهلوها فكيف يعرفون غيرها من القوانين وعلى اى حال فان الله قد اعتبر في البر والايمان اموراً ان اتصف بها الشخص عد من الابرار عند الله وهي التي ذكرها في الآية واليك تفصيلها :

١ — قوله تعالى : (من آمن . . .) : —

الايمان بالله وهذا يشمل جميع ما لا يتم معرفة الله إلا به كمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه

ومعرفة عدله وحكمته وإلا يهدم ايمانه باتباع الهوى والشيطان في مخالفة اوامر الله ونواهيه وقد ورد عن اهل البيت (عليهم السلام) في تعريف الايمان انه عقد في القلب واقرار باللسان وعمل بالأركان :

وعن جابر الجعفي قال سألت أبا عبد الله عن الايمان فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى . وقال الامام الصادق (ع) من جملة كلام طويل خاطب به معاوية بن وهب (ان أفضل الفرائض واوجبها على الانسان معرفة الرب والاقرار له بالعبودية وحدّ المعرفة ان يعرف انه لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير وان يعرف انه قديم مثبت موجود غير فقيد موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وروى عن ابي عبد الله قال خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه فقال ايها الناس ان الله جل ذكره ماخلق العباد الا ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه .

وروى عن النبي (ص) من جملة خطبة خطبها وهى آخر خطبة كانت قبل وفاته بايام قال : ايها الناس اله من لقى الله عزوجل يشهد أن لا إله الا الله مخلصاً لم يخلط معها غيرها دخل الجنة ، فقام علي بن ابى طالب (ع) فقال يارسول الله بابى أنت وامى كيف يقولها مخلصاً لم يخلط معها غيرها فسّر لنا هذا حتى نعرفه فقال : نعم حرصاً على الدنيا وجمعها من غير حلها ورضى بها وأقوام يقولون اقاويل الأخيار ويعملون عمل الجبابرة فمن لقى الله وليس فيه شيء من هذه الخصال وهو يقول لا إله الا الله فله الجنة فان اخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار .

٢ ـ قوله تعالى : (واليوم الآخر) هذا هو الامر الثاني مما يعتبر في صدق البر والايمان الحقيقي وهو الأيمان والتصديق بيوم القيامة ، ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والصراط والجنة والنار

وحقيقة الايمان به ان يظهر أثره على أفعاله وأقواله وأخلاقه .

٣ – قوله تعالى : (والملائكة) هذا الأمر الثالث بما يعتبر في صدق البر والايمان هو التصديق بوجود الملائكة وانهم عباد الله المكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون .

قال الله تعالى : (جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء) (١) . روى عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق فيما سأل ابا عبد الله عليه السلام فقال ماعلة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم والله عالم السر وما هو اخفى فقال:(ع) استعبدهم بذلك وجعلهم شهودا على خلقه ليكون العباد لملازمتهم اياهم اشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته اشد انقباضا ، وكم من عبد يهم بمعصيته فذكر مكانها فارعوى وكف فيقول ربي يراني وحفظتي علي بذلك تشهد وان الله برأفته ولطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبون عنهم مردة الشياطين وهوام الارض وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله الى أن يجيء امر الله عزوجل .

٤ – قوله تعالى : (والكتاب) هذا الأمر الرابع مما يعتبر في البر والايمان وهو التصديق بالكتاب وهو القران ويلزمه الايمان بما ذكر فيه من الكتب الالهية وتحليل حلاله وتحريم حرامه واقامة احكامه .

حكى عن تفسير العياشي عن الامام الصادق عن ابائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (ص) ايها الناس انكم في زمان هدنة وانتم على ظهر السفر والسير بكم سريع فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المفاز فقام المقداد فقال يارسول الله مادار الهدنة قال دار بلى والقطاع فاذا التبست

(١) سورة فاطر آية : ٢ .

عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار ، وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن فظاهره حكمة وباطنه علم ، ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل علي المعروف لمن عرفه .

وعن كنز الكراجكي جاء في الحديث ان رسول الله (ص) قال ماآمن بالقران من استحل محارمه (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (١) . وعن عبد الرحمن السلمي قال حدثنا من كان يقرينا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله (ص) عشر آيات فلا يأخذون في العشر الآخر حتى يعلموا مافي هذه من العلم والعمل ، وروى ان رجلا تعلم من النبى (ص) القرآن فلما انتهى الى قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال تكفيني هذه وانصرف فقال رسول الله (ص) انصرف الرجل وهو فقيه .

فقد تبين مما ذكرنا أن المقصود من الايمان بالكتاب هو العمل بأحكامه وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، ولا يكفي في ذلك الاعتراف بانه منزل من الله على رسوله مع مخالفة أحكامه كما يتجلى لك ذلك من قول الرسول الاعظم (ص) (ماآمن بالقرآن من استحل محارمه) .

وقال بعض العلماء ان العهد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٥ .

منهم . وكذا لا يكفي في تحقق الايمان به تلاوته في الليل والنهار مع مخالفة التالي او الآمر له بالتلاوة لأحكامه ومضامينه كما يدل على ذلك قول الرسول (ص) كم من قاريء للقران والقرآن يلعنه فان اللعنة انما تكـــون بسبب المخالفة وعدم العمل وإلا اذا كان القاريء عاملا بأحكامه فلا موجب للعنة فهؤلاء الذين يقرأون القرآن في أى مكان وفي أية مناسبة ينبغي لهم العمـــل على طبق القرآن وإلا فالقرآن يلعنهم ، وسوف تأتي الآيات التي تحث على العمل بالقرآن مفصلة مرتبة . وان المخالف له فاسق او كافر .

٥ – قوله : (والنبيين) هذا هو الشرط الخامس من الشروط المعتبرة في الايمان وهو التصديق بالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون صادقون فيما أدوه الى الخلق وان سيدهم وخاتمهم هو محمد بن عبد الله (ص) وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع وان التمسك بها والعمل عليها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيامة .

٦ – قوله تعالى :(وآتى المال على حبه) هذا هو الشرط السادس من شروط الايمان وهو ايتاء المال على حبه ، والضمير في كلمة حبه اما ان يرجع الى المال فيكون المعنى ان اعطاء المال المحقق للايمان اذا كان في وقت حبه للمال وهو وقت الصحة والأمل بالحياة والحاجة الى المال لا وقت انقطاع الأمل ودنو الأجل الذي لا ينتفع بالمال فيه فحينئذ يقول اعطوا لفلان كذا ولفلان كذا . وأما أن يكون الضمير في (حبه) راجعاً الى الأيتاء اي يعطي المال بطيب نفس وسخاء سروراً بهذا العطاء وأمـــا أن يكون الضمير راجعاً الى الله تعالى أى يعطى المال على حب الله وخالصاً لوجهه وهذا الوجه هو أحسن الوجوه لأن اعطاء المال مع حب المال او حب العطاء اذا لم يكن خالصاً لوجه الله ولم يقصد به التقرب الى الله لم يستحق المعطي الثواب وانما يترتب الثواب اذا قصد به التقرب الى الله .

ثم ذكر الله من يدفع له هذا المال فقال تعالى (ذوي القربى) فاما أن يكون قرابة المعطي كما روي عن النبي (ص) لما سئل عن أفضل الصدقة فقال (ص) جهد المقل على ذي الرحم الكاشح . وأما أن يكون المراد قرابة النبي (ص) كما في قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (١) وهذا هو المروي عن الباقر والصادق (ع) هذا هو الصنف الأول ممن يدفع له المال .

الصنف الثاني : — قوله تعالى : (واليتامى) أى واعطاء المال إلى اليتيم وهو الصغير الفقير الذى فقد أباه حتى لا يبقى في حاجة إلى النفقة .

الصنف الثالث : — قوله تعالى : (والمساكين) وهم أهل الحاجة الذين ليس لهم نفقة تقومهم .

الصنف الرابع : — قوله تعالى : (وابن السبيل) وهو من انقطع به الطريق ونفذت نفقته .

الصنف الخامس : — قوله تعالى : (والسائلين) وهم الذين الجأهم الفقر الى السؤال .

الصنف السادس : — قوله تعالى : (وفي الرقاب) وقيل فيه أمران الأول ان يشتري الانسان المماليك من العبيد والاماء ويعتقهم .

الثاني ان يساعد المكاتبين بالاموال اذا عجزوا عن سد ماكاتبوا عليه ولا مانع من الجمع بين الأمرين بان يكون المراد من الآية كلا الأمرين .

ثم أن المال الذي أمر الله بدفعه إلى هؤلاء الأصناف هل المراد منه الزكاة المفروضة أو غيرها ؟ لأنها قد ذكرت بعد ذلك ويؤيد كونه غير الزكاة بناء على القول بان القربى هم قربى النبي لأنهم لا يحل لهم الأخذ من الزكاة واذا قلنا ان المال هو الزكاة المفروضة يكون المقصود هنا ذكر أصناف

---

(١) سورة الشورى آية : ٢٣ .

المستحقين ويكون ذكرها بعد ذلك للتأكيد والحث .

٧ – قوله تعالى : (واقام الصلاة) : – هذا هو الشرط السابع من شروط الايمان وهو اقامة الصلاة بحدودها وشروطها وأركانهـا بأن يؤديها في ميقاتها فقد روى عن النبي (ص) انه قال ليس مني من استخف بالصلاة لا يرد عليّ الحوض لا والله ، وقال من ترك صلاة فريضة متعمداً فان ذمة الله منه بريئة .

٨ – قوله تعالى : – (وآتى الزكوة) أي أعطى زكاة ماله والتفصيل مذكور في كتب الفقه ، فقد تكاثرت الأخبار في ذم تارك الزكاة وعقابه . روى عن الصادق (ع) قال من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة ، وان مانع الزكاة أحد من كفر من هذه الأمة وهو البخيل حق البخيل .

وقال الصادق (ع) من منع الزكاة في حياته طلب الكرة بعد موته وقال : من منع قيراطا من الزكاة فليمت انشاء يهودياً وان شاء نصرانيا وعن محمد بن مسلم قال سألت ابا عبد الله عن قول الله عزوجل : (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) فقال يامحمد مامن أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ، ثم قال هو قول الله (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) يعني مابخلوا به من الزكاة .

٩ – قوله تعالى : (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) (١) هذا هو الشرط التاسع من شروط الايمان : اي يشترط في المؤمن ان يكون موفياً بعهده الذي يعاهد عليه سواء أكان العهد بينه وبين الله وهو شامل لفعل الواجبات وترك المحرمات والوفاء بالنذر واليمين ، او كان بينه وبين الناس

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٦ .

وهو كل شيء عاهد عليه أحداً من الناس ففي كل ذلك يلزم الوفاء : فقد روى عن النبي (ص) انه قال لا دين لمن لا عهد له : وعن ابى مالك قال قلت : لعلي بن الحسين (ع) اخبرني بجميع شرائع الدين قال قول الحق ، والحاكم بالعدل والوفاء بالعهد :

١٠ — قوله تعالى : (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (١) هذا هو الشرط العاشر من شروط الايمان أى يشترط في المؤمن الحقيقي ان يكون صابراً في البأساء وهو الفقر ، والضراء وهو العلل والأوجاع والأسقام والأمراض والخوف والجوع والعطش ، وحين البأس : وهو وقت القتال وجهاد العدو فقد روي عن علي (ع) انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله (ص) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه :

فان هذا الشرط وان كان وارداً مورد المدح والثناء وهو السبب في نصبه ولكنه وصف وشرط للايمان اذ من لم يكن متصفاً بالصبر في هذه المواطن كان ناقص الايمان .

روى عن الامام السجاد (ع) قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له ، وقال أمير المؤمنين (ع) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال بعضهم : —

اني رأيت وللأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وكل من جد في أمر يطالبه فاستصحب الصبر الافازبالظفر

قوله تعالى : (اولئك الذين صدقوا) الاشارة في قوله اولئك الى الذين اتصفوا بالصفات المذكورة بانهم صدقوا مع الله فيما التزموا به من القول والعمل حيث لم يعصوا الله في شيء من اوامره ونواهيه وفيه تعريض واشارة الى ان من يأتي بهذه الامور ويتصف بهذه الصفات ظاهراً لاراءة

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ :

الناس وهو غير صادق باطناً فهذا ليس من الايمان في شيء (واولئك هم المتقون) أى ان الذين اتصفوا بالصفات المذكورة هم الذين اتقوا عذاب الله بتركهم الكفر وسائر الجرائم والمحرمات ، ويمكن ان تكون اشارة وتعريضاً لمن يتصف بهذه الصفات ومع ذلك يرتكب المحرمات فان هذا ليس من البر ومن الايمان بشيء وانما المؤمن الحقيقي الكامل من اتصف بالصفات المتقدمة وهو يتقي من جميع المحرمات ولا يتقرب الى شيء منها فيكون هذان الوصفان وهما الصدق والتقوى شرطان اساسيان لمن أتصف بالصفات المتقدمة وإلا فلا فائدة فيها .

محصل البحث :

تحصل لنا من هذه الآية الشريفة ان البر وما يرضى الله من افعالنا والايمان الصحيح الحقيقي هو هذه المجموعة من الصفات الاعتقادية والعملية وهي كمايلي :

١ – الايمان بالله عزوجل .

٢ – الايمان باليوم الآخر وهما المبدأ والمعاد .

٣ – الايمان بالملائكة .

٤ – الايمان بالكتاب .

٥ – الايمان بالنبيين .

٦ – ايتاء المال خالصاً لوجه الله .

أ – لذوي القربى ، ب لليتامى ، ج للمساكين ، د لابن السبيل ه للسائلين ، و في الرقاب .

٧ – من محتويات الآية إقامة الصلاة .

٨ – ايتاء الزكاة .

٩ – الوفاء بالعهد .

١٠ – الصبر : أ - في البأساء ، ب - في الضراء ، ج - حين البأس اى في القتال .

١١ – الصدق في جميع هذه الامور اعتقاداً وعملا بان تكون هذه الامور عن نية خالصة لله تعالى .

١٢ – ان تكون عند المستجمع لهذه الامور ملكة التقوى اى لا يرتكب شيئاً من المحرمات خوفاً من عقاب الله .

تنبيه : – ينبغي للانسان العاقل ان يتنبه ويلتفت بان الله تعالى انما امرنا بهذه الخصال الحميدة لأنه يحب لعباده المؤمنين ان يتصفوا بجميع خصال الكمال وان يتنزهوا من جميع الرذائل الموجبة لسقوط الانسان فامرهم بكل مايحكم به العقل من الاعتراف بالمبدأ وانه واحد بلا شريك وانه لزيه عن العبث ، ويلزم ذلك الاعتراف بالمعاد وأمرهم ببذل المال ليتصفوا بالكرم والسخاء ، وامرهم بالصبر عند القتال ليتصفوا بالشجاعة فاذا اتصفوا بهذه الخصال كانوا من المقربين لديه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم (١) :

لما بين الله في الآية السابقة بان حقيقة البر والعمل الذى يرضاه الله هو العمل باوامره ونواهيه بين لنا في هذه الآية أهم الامور التي يحتاجها الناس وهو الحكم في الدماء والنفوس وذكر لنا قانوناً ان عملنا نحن به يقل قتل النفوس واراقة للدماء فلا يقدم احد مع تنفيذ هذا القانون على قتل احد إلا ان يكون مجنوناً وحيث ان المسلمين لا تتكافأ ولا تتساوى دمائهم

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ :

من حيث الحرية وعدمها والذكورة والانوثة قال تعالى : (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) (١) وكذا لا تكافؤ بين الاسلام والكفر وقد ذكر ذلك في سورة النساء : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (٢) وهذه الفروع أى قتل الحر بالعبد والرجل بالمرأة وأمثالها انما هى من مسائل الفقه فليرجع بها اليه وانما المهم الذى هو من موضوع بحثنا قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب) (٣) :

مما لا ريب فيه ان قتل النفس المسلمة بلا ذنب يوجب لها القتل هو من أكبر الجرائم في الشريعة الاسلامية بل فيما تقدمها من الشرائع كلها وقد ذكر الله في القرآن في قصة ولدى آدم عظم جرم القتل فقال : (من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً) (٤) ولاجل خطر هذه الجريمة قد سن الله حكماً للناس يمنعهم عن ارتكاب جريمة القتل حيث جعل عقاب القاتل للقتل فقال : (كتب عليكم القصاص في القتلى) فالشخص الذى آمن بالله وبرسوله وبكتابه اذا عرف انه متى قتل مسلما بلا جناية يجب عليه ان يسلم نفسه الى اولياء القتيل ليقتصوا منه فيتخلص من عذاب الآخرة كانت معرفته بهذا العقاب الصارم رادعة له من الاقدام على قتل احد من الناس وان هو لم يسلم نفسه لذوى القتيل يلزم على ذوى الامر وذوى السلطة ان تقبض عليه وتسلمه الى اولياء القتيل فيقتصون منه :

ثم اخبرنا الله عزوجل بان هذا النوع من القصاص سوف يضمن لكم الحياة ويقلل وقوع القتل بينكم إذ أن المرأ لا يقدم على قتل احد

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(٢) سورة النساء آية ١٤٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٩ ،

(٤) سورة المائدة آية ٣٥ :

بعد علمه بالقصاص ، ولكن مع كل الاسف أن الحكومات الاسلامية بعد اطلاعهم على نظام الحكومات الكافرة الاجنبية وانهم لا يقتلون القاتل بل يحكمونه بالسجن الا اذا كان المقتول رجلا عظيما وكانت السلطة تحاذر من اوليائه . اخذ المسلمون هذا الحكم من قانون الكافرين ورجحوه على حكم القصاص زعما منهم ان القصاص وقتل القاتل يقلل من نفوس البشر وهذا خلاف المصلحة المطلوبة من حفظ النفوس ، كل ذلك تقليداً للأجـانب وغفلة عن الآية الشريفة ، واهمالا لكتاب الله ورفضاً لأحكام الله واساءة لانفسهم وللمجتمع الانساني حتى حدث من القتل واتلاف النفوس مالا يحصى عدده غير الله .

وقد تقدم في الآية السابقة على هذه الآية من جملة شروط الايمان والبر هو الايمان بالكتاب وان من خالف حكما من أحكام الكتاب فهو غير مؤمن به فلو انهم عملوا بموجب هذه الآية وجعلوا القانون المتبع هو قتل من يقتل نفساً بلا ذنب لما كانت هذه الكثرة من قتل النفوس البريئة فكل حكومة اسلامية رفضت العمل بالحكم السماوى فقد سببت كثرة القتل وذلك لعدم خوف المجرمين من السجن وأملهم الاكيد بالخروج منه قبل اكمال المدة فيكون الوزر في ازهاق هذه النفوس كلها على صاحب السلطة الذى سن هذا القانون كما قال رسول الله (ص) من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

فقد تحصل من الآية ١ - ان القاتل عليه ان يخضع وينقاد ويوطن نفسه على القتل لئلا تبطل حدود الله .

٢ - ان هذا القصاص سبب لحفظ نفوس كثيرة من القتل ، كما كان يفعله اهل الجاهلية من قتل غير القاتل وكذا اولياء القتيل الثاني يقتلون غير قاتله فتكثر القتلى بين الفريقين ، ويكون ايضاً سبباً لحفظ كل أحد يهم بقتل

اذا علم انه يقتص منه فيكف عن القتل فيسلم غيره وتسلم نفسه ، وهذا يحتاج إلى فكر وتدبر ومعرفة بالعواقب وكل ذلك موقوف على العقل الكامل كما وجه الله تعالى الخطاب لأهل العقول حيث قال: (ولكم في القصاص حياة ياأولى الألباب) فكل من ترك القصاص في القتل واخذ بغيره فهو ليس بذى لب ولا عقل او معاند لكتاب الله .

قوله تعالى : « فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » (١) . هذه الآية متقدمة في القرآن على الآية التي ذكرناها قبلها ولكن السبب في تقديم تلك في التفسير هو ان نعلم ان جرم القتل عظيم جداً وانه مبغوض عند الله غاية البغض ، ولذا جعل عقابه المقابلة بالمثل لئلا يقدم عليه احد ولكنه تعالى لم يحتم على ولي المقتول هذا العمل بل جعل الخيار له اذا تاب القاتل وندم على فعله وسلم نفسه لولي القتيل ورجع الى الاخاء مع المسلمين ، وحينئذ اذا شاء ولي القتيل ان يعفو عن القاتل ويقبل بالدية فالله يأمره ان يتبع ذلك بالمعروف وهو الصبر على تسلم المال حتى يهيؤه القاتل وامر القاتل ايضاً ان يؤديه باحسان اى بلا مطل فاذا رضى ولي القتيل بالدية او عفى او صالح فليس له ان يعدل عن هذا القرار ويعود إلى ارتكاب القتل ، فاذا عاد فقتل فله عذاب اليم كل ذلك لمبغوضية القتل عند الله فلا يريد وقوعه على وجه الارض من احد من الناس .

قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين)(٢) :ان الله سبحانه بحثنا في هذه الآية على ان الانسان اذا تبين له دنو أجله من مرض او

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة اية : ١٨٠ .

كبر او امارة أخرى وكان ذا مال ان يوصي بشيء من المال لأقاربه وأرحامه بأن يدفع لهم بعد موته وقد قيد الله هذه الوصية أن تكون وصيته بالمعروف والمقصود منه : —

١ — أن لا يكون فيها جور وحيف على الورثة :

٢ — أن لا يكون الموصى به شيئاً حقيراً كالوصية لأحد بدرهم .

٣ — أن لا تكون الوصية لشخص غني وترك الفقير المحتاج فان هذا غير معروف بل هو منكر ثم قال الله في آخر الآية (حقاً على المتقين) أي من أراد أن يكون من المتقين فعليه أن يتصف بصفاتهم ومن جملتها العمل بهذا الامر وهو الوصية للاقربين ببعض المال بعد وفاته فان هذا أحق على المتقين :

قوله تعالى « فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم (١) :

هذا وعيد من الله لكل من يبدل أو يغير هذه الوصية التي يوصي بها الميت لأقربائه سواء أكان المبدل قريباً أو بعيداً وارثاً أو غير وارث فيكون اثم التبديل عليه سواء أكان التبديل بإخفاء الوصية أو بعدم الشهادة أو بالشهادة على نوع آخر من الوصية فان الله قد سمع قول الموصي وعلم بتبديل المبدل فليرتدع المبدل عما قصده ولما كان من جملة انواع التبديل نهى الموصي عن الوصية واقناعه في العدول عنها ذكر الله بأن هذا النوع ليس من التبديل المحرم مطلقاً بل يكون في بعض أقسامه ماهو مباح ومأجور عليه صاحبه وقد بين ذلك بقوله تعالى : —

---

(١) سورة البقرة اية : ١٨١ .

« فمن خاف من موص جنفاً أو إثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم (١) :

أى إذا كان الموصى قد وقع في الباطل خطأ وهو الجنف أو وقع فيه عمداً وهو الاثم بان اوصى باكثر من الثلث والورثة لا يرضون بذلك وحينئذ يقع النزاع والجدال بين الطرفين فيتدخل في الأمر من يريد اصلاحهم ويكلم الموصي ويقنعه ليعدل عن هذه الوصية فهذا التبديل ليس فيه اثم بل رخص الله فيه لكونه اصلاحاً :

قوله تعالى : « يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٢) :

نزلت هذه الآية الشريفة لبيان فريضة الصوم باتفاق جميع فرق المسلمين فمن أنكر وجوبه عدّ من الكافرين ، ومن اعترف بالوجوب ولم يعمل به خرج من جماعة المؤمنين ودخل في زمرة الفاسقين فقد فرضه الله تعالى على امة خاتم الرسل كما فرضه على من تقدمه من الانبياء وعلى امهم وقد اعلمنا الله بانا إذا أدينا هذه الفريضة بصدق لية واخلاص فسوف يكون عملنا سبباً للانتفاء عن جميع المحرمات وحينئذ تؤهل انفسنا للاتصاف بالتقوى وجعلها من زمرة المتقين الذين يحبهم الله وتكون لهم المنزلة الرفيعة لديه وحيث ان الله عزوجل قد ذكر في القرآن فوائد عديدة للتقوى دنيوية واخروية فهي التي تنتظم بها امور الدنيا والآخرة وقد ذكرنا بعض فوائدها في أول آية من سورة البقرة فاعلم ان الله فرض علينا الصوم وجعله من أقوى الأسباب للحصول على ملكة التقوى فقد ساقنا برحمته الى التقوى سوقاً عنيفاً بايجابه فريضة الصوم علينا التي تكون حاجزاً بين النفس وشهواتها

---

(١) سورة البقرة اية : ١٨٢ .

(٢) سورة البقرة اية : ١٨٣ .

من مأكل ومشرب ومنكح ، فاذا منعت عما تشتهي يكون فيها شيء من الصفاء والنظافة وتزول عنها الكدورة ، فاذا كان الشخص راغباً بالوصول الى التقوى الموجبة للقرب الى الله الحائزة على حب الله له كان الصوم سبباً كافياً له في ذلك ، إذ أنه يصوم هذه الأيام برغبة وشوق راجياً من وراء ذلك الوصول الى اعلى مرقاة من التقوى ويجعل صومه من القسم الذي اشار اليه النبي (ص) من غض البصر عن كل مايحرم النظر اليه او يكره وحفظ اللسان عن جميع آفاته ، وكف السمع عن كل مايحرم عليه او يكره ، وكف سائر الجوارح عن المحارم والمكاره وان لا يشغل القلب عن ذكر الله تعالى وان لا يتدارك مافاته من الأكل نهاراً وقت الافطار او يزيد عليه فان كثرة الأكل والتنوع فيه مما يهيج الشهوة ويقوى رغبتها ويضاعف قوتها ويبعث من الشهوات ماكانت راكدة لو تركت على عادتها فينعكس المطلوب ولا ينتفع بصومه .

فاذا كان صومه من القسم الذى وصفه النبي محمد (ص) اوصله الى الغاية المتوخاة وهو الذى يرجو لنفسه ان يكون من المتقين كما أهله الله بقوله : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وفي هذه الآية انواع من الألطاف الآلهية والتسلية للعباد : —

اللطف الأول : — النداء الموجه اليهم من الله كما قال الامام الصادق عليه السلام لذة النداء ازال تعب العبادة والعناء ، حيث أن في هذا النداء تشريفاً لهم وتفضيلا على غيرهم مع ان الحكم يعم كل من أقر بالدعوة ظاهراً حتى الضلال والمنافقين .

اللطف الثاني : — قوله تعالى كُتِبَ بصيغة المجهول فان التكليف وان كان منه والكتابة بأمره ولكن لم يجعله بصيغة المعلوم وما قال الله : الخ ، حيث ان الكتابة اذا كانت بواسطة غيره كانت قابلة للتبديل والتغيير كما

اذا كانت بواسطة القلم مثل « ن والقلم وما يسطرون » فانها قابلة للتبديل كما في قوله « يمحو الله مايشاء ويثبت » .

٢ – كما اذا كانت بواسطة السَفَرة التي تنزل بالكتب والصحف كقوله تعالى : « في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام برره » فانها قد تبدل كما في قوله : (واذا بدلنا آية مكان آية) .

٣ – كما اذا كانت الواسطة الحفظة كقوله : (وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين) فانها قابلة للتبديل كقوله : (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .

٤ – ان يكون هو الكاتب بلا واسطة كقوله : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) فانها غير قابلة للتبديل كقوله تعالى : (لا مبدل لكلماته) وقوله تعالى : (مايبدل القول لدى) . هكذا عامل الله عباده باللطف فانه في اغلب الموارد اذا وجه اليهم تكليفاً وكان فيه مشقة يأتي بصيغة المجهول واذا انذرهم بشيء من العذاب يأتي أيضا بصيغة المجهول اما اذا بشرهم بالرحمة والنعيم اتى بصيغة المعلوم ونسبه الى نفسه ، مثلا بالنسبة الى شراب أهل النعيم يقول تعالى : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) وبالنسبة لأهل العذاب يقول تعالى : (وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) وكذا قوله : (اما الذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) (يُصبُ من فوق رؤوسهم الحميم ولهم مقامع من حديد) وتارة ينسب الفعل الذي يعذبهم به إلى انفسهم كقوله تعالى : (ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منه البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) .

اللطف الثالث : – قوله : (كما كتب على الذين من قبلكم) :

هذه تسلية من الله للمؤمنين الذين كتب عليهم الصيام حيث ان فيه شيئاً من الجوع والعطش والمشقة فقد اخبرهم الله ان هذا التكليف ليس

مختصا بكم وانما كان على من قبلكم من الانبياء وامهم من لدن آدم حتى الخاتم ، فاذا علموا انه تكليف عام هان عليهم وسهل وامتثلوه بالشراح صدر وسرور وطيب نفس ، ثم التشبيه اما ان يكون في اصل الصوم فقط واما ان يكون في العدد والوقت كما روى ان صوم رمضان كتب على النصارى فصادف وقوعه في حر أو برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله :

اللطف الرابع : ـ قوله تعالى : (لعلكم تتقون) اشار بهذه الكلمة الى ان الصوم الذى امركم الله به انما يعود نفعه لنفس الصائم اذ يكون بتركه الأكل والشرب والجماع متشبهاً بالملائكة في عدم فعل شيء من تلك الأمور ومميزاً نفسه عن سائر الحيوانات في استرسالها باستيفاء لذائذ الجسم ، فاذا ميز نفسه عن الحيوانات وتشبه بالملائكة فقد اهلّها للارتقاء الى مرقاة الكمال والروحانية ، واذا قدر على منع نفسه عن الأشياء المباحة في نهار رمضان كان اقدر على منعها عن الاشياء المحرمة في غير رمضان فيكون الصوم سبباً قويا لأتقاء المحرمات فتكون الغاية القصوى من الصوم هي الحصول على التقوى وبالحصول عليها تصح جميع الأعمال من الصوم وغيره ، وقد روى عن النبي (ص) انه قال (الصوم جُنة من النار) وانما يكون جُنة من النار لأن الصائم يترك المحرمات فيصل بتركه الى التقوى فاذا صار من المتقين يكون من اهل الجنة وحرمت عليه النار :

اللطف الخامس : ـ قوله تعالى : (اياما معدودات) اذا سمع المكلف الجملة الاولى من الآية الشريفة وهي قوله : (كتب عليكم الصيام) قد يتبادر الى ذهنه وجوب الصيام مدة العمر وحتى الممات فيثقل عليه الأمر وينفر من هذا التكليف الشاق وقد ينفث فى روعه الشيطان انك لا تقدر على امتثال هذا التكليف فيجزم بالعصيان من أول الامر ولذا من لطف الله

تعالى على عباده أعلمهم ان هذا الصوم انما هو ايام معدودة اي محصورة قليلة فتبين للمكلف بهذه الكلمة ان التكليف خفيف يسير لا مشقة فيه ولا ثقل .

اللطف السادس : - قوله تعالى : (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر) (١) حيث ان الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وان كان الصيام يعسر او يتعذر على المريض ويشق ويصعب على المسافر امرهم بالافطار في حالة المرض والسفر مع حفظ مدة الايام التي يفطرون بها ليقضوها بعد ذلك وهذا تخفيف من الله ولطف بعباده ليسهل عليهم اداء هذا الواجب العظيم الموصل الى التقوى .

اللطف السابع : - قوله تعالى : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) .

لما كان بعض المكلفين يؤثر بهم الصوم الراً شاقاً كالشيخ الهرم والشيخة وكالحامل المقرب والمرضع بحيث يبذلون غاية طاقتهم في الصوم لطف الله بهم وخيرهم بين الصوم وبين الفدية وهي اطعام مسكين في كل يوم ثم قال تعالى : (فمن تطوع خيراً فهو خير له) اى من زاد على الفدية تطوعاً منه لا فرضا عليه فهذا التطوع خير له .

ثم قال : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) لما خير الله بعض الناس بين الصوم والفدية اعلمهم ان تحمل المشقة الشديدة في الصوم هو خير لهم من الفدية حتى لو ضم معها التطوع بالخير فانكم لو كنتم من اهل العلم وتوصلتم بسببه الى مافي الصيام من فضائل ومنافع لاخترتم الصيام على الفدية وان تحملتم المشاق فقد تبين من هذه الجملة ان الصوم وان كان فيه مشقة وجوع شديد وعطش شديد وموجب للضعف المتناهي فهو خير

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

من الفدية لمن تكلفي الفدية في حقه مالم يصل الى حد المرض فانه لا يجوز له الصوم ، لان الله امرنا بصريح القول بان المريض والمسافر يلزمـــه ان يفطر وان يحفظ الايام التي مرض او سافر فيها ويصوم بمقدار ذلك العدد بعد شهر رمضان وقد ثبت وجوب الافطار من قوله تعالى : (فعدة من ايام اخر) حيث حتم علينا والزمنا بصيام ايام عدتها مطابقة لعدة ايام المرض او السفر وهذا الالزام انما هو للزوم الافطار فلا معنى للقول بان الافطار رخصة لا عزيمة بتقدير كلمة فافطر فيكون التقدير (فمن كان مريضا او على سفر) فافطر (فعدة من ايام اخر) فما الداعي الى تقدير هذه الكلمة مع وضوح الامر وصراحة العبارة وعدم الاضطرار الى تقدير وقد اختار جماعة من اصحاب النبي (ص) وجوب الافطار في السفر وهـو المروي عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) واختار عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعبد الله بن العباس وعبد الرحمن بن عوف وابو هريرة وعروة بن الزبير .

ويروى ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروى عن يوسف بن حكيم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تغضب ؟ فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم ، وروى عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله (ص) الصائم في السفر كالمفطر في الحضر . وروى عن ابن عباس انه قال : الافطار في السفر عزيمة . وروى عن الامام الصادق (ع) انه قال : الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر ، وعنه (ع) قال لو ان رجلا مات صائما في سفر لما صليت عليه . ويناسب هنا بعض ماورد من الاخبار في ثواب الصوم ليتضح للقاريء معنى الآية الشريفة : —

« وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » (١) منها قول النبي (ص)

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

الصوم جنة من النار ، وعنه (ص) قال الله : الصوم لي وانا اجزى به ، وعنه (ص) ان في الجنة بابا يقال لها الريان لا يدخل منها الا الصائمون فاذا دخل آخرهم اغلق ذلك الباب . وفي الحديث القدسي ياموسى لخلوف فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك . وعن النبي (ص) قال لأصحابه ألا اخبركم بشيء ان أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب قالوا بلى قال : الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره والاستغفار يقطع وتينه ، ولكل شيء زكاة وزكاة الابدان الصيام ، وروى عن الصادق (ع) قال : من صام يوما في الحر فاصابه ظمأ وكل الله الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله عزوجل ماأطيب ريحك وروحك يامائكتي اشهدوا اني قد غفرت له . وقال النبي (ص) نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح ، وغيرها كثير . وروى عن الامام الثاني الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) قال جاء نفر من اليهود الى رسول الله (ص) فسأله اعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله ان قال له لأي شيء فرض الله الصوم على امتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض عل الامم أكثر من ذلك ؟ فقال النبي (ص) ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته الجوع والعطش والذى يأكلونه بالليل تفضل من الله عزوجل عليهم وكذلك كان على آدم ففرض الله ذلك على امتي ثم تلا هذه الآية (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . ايام معدودات)(١) قال اليهودى صدقت يامحمد فما جزاء من صامها ؟ فقال النبي (ص) مامن مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا إلا اوجب الله عزوجل له سبع خصال : -

اولها : - يذوب الحرام في جسده :

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ .

والثانية : — لا يبعد من رحمة الله تعالى :

والثالثة : — يكون قد كفّر خطيئة ابيه آدم .

والرابعة : — يهون الله عليه سكرات الموت :

والخامسة : — امان من الجوع والعطش يوم القيامة :

والسادسة : — يعطيه الله براءة من النار :

والسابعة : — يطعمه الله من طيبات الجنة .

قال اليهودى صدقت يامحمد :

اللطف الثامن . — قوله تعالى في آخر الآيات : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (١) خاطب الله عباده المؤمنين في هذه الجملة واعلمهم بان كل تكليف يعسر عليكم الاتيان به فانه يعذركم فيه انه يريد بكم اليسر ولا يكلفكم بالعسير من الافعال :

وبعد هذا فانظر وتأمل ايها المؤمن العاقل وفكر جيداً فان الله كلفك بتكليف واحد تعود مصلحته عليك ويرجع نفعه اليك فقدم لك من ألطافه وعناياته ثمانية امور جعلها كالاعتذار منك حيث ان التكليف فيه ادنى مشقة وانت في كل يوم تعصيه عشرات المرات او اكثر فلا تقدم له عذراً واحداً :

هذا مايتعلق بوجوب الصوم حيث انه من صفات المؤمنين ويدخل في موضوع بحثنا وأما بقية الآيات المتعلقة بالصوم فانها تذكر في كتب الفقه ، نعم ينبغي ذكر آية واحدة مذكورة في ضمن آيات الصوم فانها تتعلق بغرضنا وهي قوله تعالى :

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (٢) : لقد كثرت كلمات

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

المفسرين حول هذه الآية من جهات عديدة فمرة يبحثون عن المسؤول عنه هل هو ذاته تعالى ؟ او افعاله او صفاته وقد ذكر كل واحد مايوافق رأيه وعقيدته او ان المسؤول عنه هو كيفية الطلب منه كما روى انها نزلت حين سألوا النبي (ص) اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وتارة يبحثون عن معنى القريب وان القرب في المكان محال في حقه تعالى ومجمل القول ان قوله تعالى : (فاني قريب) يصلح ان يكون جوابا على كل تقدير سواء كان المسؤول عنه ذاته او افعاله او صفاته او كيفية السؤال منه ، ومعنى القرب احاطته بالاشياء علما وقدرة وتارة اخرى يقع الكلام في عدم الاجابة من الله حيث لم يحصل المطلوب وهنا كل منهم يفسر الاية بما يتخلص به عن خلف الوعد حيث انه قال (أُجيب دعوة الداع اذا دعان) (١) ونرى كثيرا من الدعوات لا تجاب وقد تكلموا في جهات اخرى غير هذه الجهات وينبغي ان نعرف اولا مقدار العبودية التي يعرفها العبد الداعي ويثبتها لخالقه هل ان هذا الداعي يستحق الاجابة وهل يشمله قوله : (اجيب دعوة الداع) او انه بعيد عن العبودية وعن الدعاء المطلوبين لله عزوجل ومن المعلوم ان اطلاق لفظ العبد على معناه الحقيقي انما يتحقق بالايجاد وهذا لا يكون الا لله تعالى قال جلت عظمته : (ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا) (٢) . قال الامام علي بن الحسين (ع) في بعض دعواته (يامن حاز كل شيء ملكوتا وقهر كل شيء جبروتا . الخ) وهذا المعنى من العبودية متحقق بالقهر على جميع العباد ولكن الناس يختلفون فيما يتصفون به من العبودية وما يفهمونه من معناها فهم في ذلك على طبقات كثيرة وقد ذكر الفرق بينهم في الكتاب والأخبار الواردة عن اهل البيت

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٢) سورة مريم آية ٩٤ .

عليهم السلام فمنهم من يكون في اكمل المراتب وهم الذين يئس منهم ابليس ولم يطمع في اغوائهم كما حكى الله ذلك في قوله : (وعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (١) ومنهم من وصفهم الله بقوله : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (٢) والذى يظهر من الآيات ان الله في مقام تفضيل العبد وتكريمه يوجه الخطاب اليه بلا واسطة ويضيفه الى نفسه مثل قوله : (واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه . . . الخ) (واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى (٣) والابصار) وروى عن الامام الباقـــر (ع) قال ان لله عباداً ميامين مياسير يعيشون ويعيش الناس في اكنافهم وهم في عباده مثل القطر ويظهر هذا المعنى جلياً في قوله تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنـــة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتي) (٤) فانه قدم دخولها في عباده على دخولها الجنة ثم ان صاحب هذه الرتبة اي الكامل في العبودية يلزمه ان يكون كاملا في العلم والا فكثرة العباد بلا علم وفقه ليس فيها فائدة .

وهو ماشار اليه امير المؤمنين علي (ع) بقوله : المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح وركعتـان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل لان العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه وتأتي الجاهل فتنسفـــه نسفا وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشك والشبهة .

---

(١) سورة الحجر آية ٤٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣ .

(٣) سورة النور آية ٣٢ .

(٤) سورة الفجر آية ٢٩ .

فالذى يتعبد على غير علم يكون كالعابد الذى تمنى الجبار لربه ويلزم كمال العبودية الكمال في العقل ايضا وإلا إذا لم يكن كامل العقل ولا يعرف مايطلب ومتى يطلب يكون حاله كحال الرجل الذى وعده الله بواسطة موسى بن عمران (ع) ان يقضي له ثلاث حوائج فضيعها في مطالب تافهة ولم يحصل منها على فائدة ، فاذا كان الشخص بهذه الصفة من العبودية والعلم والعقل فهو الذي ينطبق عليه قول الامام الصادق (ع) اذا دعوت فظن حاجتك بالباب وهو المصداق الحقيقي لقوله تعالى : (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) (١) فان مثل هؤلاء القوم لا يدعون بشيء الا وهم مستجمعون لجميع الشروط المعتبرة في الدعاء من طيب المأكل والمشرب والملبس وتقديم التوبة بعد الاعتراف بالذنب وتقديم الثناء على الله والصلاة على النبي وآله وغيرها من الشروط الواردة في الأخبار عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) وهم الموفون بعهد الله الذي جعله الله شرطاً للوفاء لهم بقوله : (اوفوا بعهدي اوف بعهدكم) فهذه الطبقة من الناس تكون اجابة الله لهم مقرونة بدعائهم كما هو مذكور في الأخبار والآثار والسير وتراجم الرجال ، ثم بعد هذه الطبقة يكون الناس على موجب منزلتهم من العبودية فمنهم من هو فاقد لبعض الشروط ومنهم الفاقد لمعظم الشروط ، ومنهم الفاقد للجميع ، ومنهم من لا يعرف من العبودية شيئاً ابدا يقول الامام الباقر (ع) في كلام تقدم بعضه (ولله عباد ملاعين مناكيد لا يعيشون ولا يعيش الناس في اكنافهم وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء الا اتوا عليه) وبعد هذا يتضح ان العبودية القهرية المسببة عن الإيجاد والخلق هي عامة لجميع المخلوقات فانهم عباد مقهرون سواء ارضوا بها ام لم يرضوا وأما العبودية الاختيارية التي تكون باعتراف العهد وتتحقق بتعبده فهي أصناف

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

كثيرة لا تعد ولا تحصى وهي بجميع اصنافها واقسامها لاقصة غير كاملة فاذا دققنا النظر في قوله تعالى : (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) (١) نراه منطبقاً على أهل المرتبة العليا التي ذكرت فهم أحد مصاديقها اما غيرهم ممن عبوديتهم لاقصة اذا امتثلوا امـر الله واطاعوا قوله (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) يلتحق باستجابتهم وايمانهم باهل تلك المرتبة ويكونوا عباداً مخلصين بلا قيد او شرط فيشملهم قوله تعالى : (اجيب دعوة الداع) ولعل اكثر الداعين من قبيل من ذكره الله في قوله : (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون) . (٢) او من قبيل من ذكره في قوله تعالى : (دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) (٣) :

قوله تعالى : « ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (٤) .

لقد اختلف المفسرون تارة في معنى السلم الذي أمر الله المؤمنين بالدخول فيه واخرى في قوله (كافة) هل انها حال من الضمير العائد للمؤمنين أو أنها حال من السلم ولا ريب في ظهور كون الخطاب للمؤمنين الحائزين لشروط الايمان من فعل الواجبات وترك المحرمات وان هذا الشرط هو شرط لتلك الشروط المعتبرة في المؤمن وان المؤمن مهما فعل من العبادة والطاعة

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ :

(٢) سورة يونس آية ١٢ :

(٣) سورة يونس آية ٢٢ :

(٤) سورة البقرة اية ٢٠٧ :

وبذل المال والزهد في الدنيا فانه ان خالف هذا الامر ولم يدخل في السلم فانه زال عن طريق الايمان متبع للشيطان مستحق للعقاب من الله كما يظهر ذلك من الآية التي بعدها فينبغي :

١ – ان نعرف معنى السلم حتى ندخل فيه ويعرف المتخلف نفسه انه متبع لخطوات الشيطان فنقول ان السلم في اللغة هو ضد الحرب ، وحيث انه لم يكن بين المؤمن حرب حين نزول الآية يكون المقصود منه المداومة على ماهم فيه والملائمة والانقياد والطاعة في كل وقت وفي كل امر وعدم احداث مايوجب الحرب فالمطلوب من المؤمنين بعد استجماعهم لجميع شروط الايمان هو الطاعة والانقياد في كل امر وفي كل حين ، وهـذا موقوف على امور .

الأول : – وجود شخص معين من قبل الله او الرسول حتى تكون الطاعة له والانقياد اليه هو المحقق للدخول في السلم ولا ريب في كونه هو النبي (ص) ايام وجوده في الدنيا فمن اطاع النبي في كل اوامره فقد دخل في السلم حال وجوده وبعد ارتحاله فانه (ص) قد بين لهم ودلهم على من يلزمهم طاعته والانقياد اليه بعده لقولـه مامن شيء يقربكم الى الله او الى الجنة الا وقد امرتكم به وما من شيء يباعدكم عن الله اوعن الجنة ويقربكم الى النار الا وقد نهيتكم عنه وهذا صريح جلي لانه (ص) قد دلنا على من نلزمنا اطاعته والانقياد اليه من بعده فان رسول الله (ص) تركنا متبعين لخطوات الشيطان وحاشا نبي الله ان يترك امته على هذه الحالة حاشـا نبي الرحمة ان يبهم علينا الامر الذى اراده الله منا وامرنا به فتكون امته كلها متبعة لخطوات الشيطان الا بعض من كان في زمان حياته حاشا خاتم النبيين وسيدهم ان يترك اهم الامور الذي به يتحقق الايمان فلم يوضحه لامتـه فتكون الامة كلها كافرة بمقتضى هذه الآية وهل يجرأ احد ان يقول ان

النبي ترك امته سدى في امر يرجعون بتركه واهماله كفاراً ولا يقول هذا الا من يظهر الاسلام ويبطن الكفر ويريد ان يرجع المسلمون كلهم الى الكفر

الامر الثاني : — يلزم ان يكون هذا الشخص الذي امرنا الله بطاعته والانقياد اليه عالماً بكل حكم من الاحكام التى يرضى بها الله وهي الاحكام الواقعية سواء أكانت دنيوية أو اخروية وان لا يكون في الناس من هو اعلم منه ولو في مسألة واحدة وهذا يعلم من جعل الله آدم خليفة في الارض حيث علمه الاسماء كلها فلا يحتاج في شيء من الامور الى الرجوع لغيره وهذا الامر ثابت بالنسبة الى النبي (ص) لا نزاع فيه لأحد وكذا يلزم فيمن يقوم مقامه من بعده لانه لو لم يكن كذلك لاحتاج الى غيره ولا يحصل الغرض منه بدون ذلك حتى يكون جميع المؤمنين ملزمين بحب هذه الاية بالطاعة له والانقياد اليه كما كانوا ملزمين بالطاعة للنبي (ص) وان الذى يترك الانقياد له وينقاد لغيره فهو ممن اتبع خطوات الشيطان وان لم يتحقق وجود مثل هذا الشخص فلا يمكن امتثال الامر الموجه الينا وهو الدخول في السلم والا فمن الذي يقودنا ويكون حكما في تمييز الحق من الباطل لقطع الخصومات .

الامر الثالث : — ان الذى يقوم مقام النبي (ص) من بعده ويلزم المسلمون بالانقياد اليه والطاعة له يلزم ان يكون معصوما كالعصمة التي نعتبرها في النبي وكل شيء يدل على اعتبار العصمة في النبي يجري في من يقوم مقامه والمراد من العصمة استحالة صدور الخطأ والنسيان والسهو والكذب أو أي ذنب عليه في كل مقام ومقال والغاية من لزوم العصمة هي حصول اليقين بان مايأتي به هو من عند الله ورسوله والا فيتطرق الشك في كل مايخبر به وهذا خلاف الغاية المقصودة من بعثة النبي ونصب الامام .

وأما قوله تعالى : (كافة) فقد اختار اكثر المفسرين انها حال من

السلم لا من الضمير في (ادخلوا) فيكون المعنى امر من الله تعالى لكل من آمن بالله ورسوله بالدخول في السلم أي في جميع شرائع الاسلام واحكامه التي بينها لهم النبي (ص) ليعملوا بها في حياته وبعد وفاته اى ابلغوا في الاسلام الى حيث تنتهي شرائعه فتكفوا عن التعداد ولا تقولوا ان النبي(ص) ترك بعض اركان الدين ولم ينبه عليه امته فان هذا الامـــر لا يليق ان ينسب للنبي مع ان الله يقول : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (١) فاذا اتفقت امة محمد (ص) بأن الله اكمل لهم الدين وان النبي بين الدين الكامل لهم بجميع اصوله وفروعه ثم يأمرنا الله بالدخول في السلم اى بالطاعة والانقياد للقائد العام ولسلم كلنا ان القائد هو النبي ايام حياته فمن يكون قائداً بعد وفاتـه حتى ندخل في طاعته وننقاد اليه ولا يمكن القول بان النبي اهمل هذا الامر المسبب لاختلاف امته هذا الاختلاف الواسع بحيث صارت الامة فرقاً واحزابا وان اغلب هذه الفرق قد ضلت عن الطريق وانقلبت على الاعقاب كما هو صريح الآية .

ولكن بعد التحقيق والتدقيق والفحص عن اقـوال النبي (ص) نرى انه صلى الله عليه وآله وسلم قد أرشدنا ودلنا على القائد بقوله المتكرر منه في مقامات عديدة (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وقـــد كرر هذا الحديث بعبارات مختلفة ولكن المعنى واحد حتى سمعه منه جميع اصحابه .

وانما اشرك العترة مع الكتاب في حال كون الكتاب هو المشتمل على جميع الاحكام وذلك لأن الناس لا يمكنهم تحصيل جميع احكامهم من الكتاب فلا بد لهم من مفسر ومؤول للكتاب عارف بجميع احكامه وقد دلت الأحاديث الصحيحة ان النبي قد علم عليا جميع احكام الآيات وهـــو سيد العترة

---

(١) سورة المائدة اية ٤ .

فاشركه مع الكتاب ليكون مفسراً له ويكفي دليلا على معرفة علي بالأحكام قوله (ص) : (انا مدينة العلم وعلي بابها) وللتأكيد للذكـــر لكم الخبر الآخر المسلم لدى جميع الأصحاب قول علي (ع) : (علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) وبعد ملاحظـة ما ذكرنا والتأمل فيه يقرأ المؤمن الآية الشريفة ويتضح له معناها : (ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (١) :

ثم ان الذين كتبوا في تفسير القرآن على كثرتهم أما من جماعة الامامية الذين يعتقدون بان النبي نص على الخلفاء الذين يكونون بعـــده باسمائهم الصريحة وأما من اخوانهم أهل السنة :

أما الفرقة الامامية فيقولون بأن الذى يجب الدخول في طاعته والانقياد له هو الخليفة الذى عينه النبي (ص) وهو علي بن ابي طالب (ع) :

وأما المفسرون من أهل السنة فلم يذكر هذا الركن في تفسير الآية وان كان ذكرهم لخبر الثقلين يلزمهم بالاتفاق مع الاماميـــة ، ولكن في تفسير الآية لم يذكروا شيئاً ومن جملة المفسرين في عصرنا الحـــاضر سيد قطب فانه لم يذكر شيئاً في ظلال القرآن فانه تكلم في هذه الآية ومايتعلق بها من الآيات التي قبلها وبعدها نحو من سبع وعشرين صحيفة ذكـر فيها الواجبات والمندوبات وذكر محاسن الشريعة الاسلامية ورغب الناس بالتمسك بها ، ثم ذكر صفات المؤمن الخالص الايمان وذكر صفات المنافق المخادع ثم قال في ص (١٣٤) من الجزء الثاني بعد ذكر الآيات ماهذا نصه : (وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع مايريد الله بهم وما يقودهم اليه

---

(١) سورة البقرة اية ٢٠٨ .

لبيهم ودينهم في غير ماللجلج ولا تردد ولا تلفت النهى :

فلم يذكر من الذي يقودهم بعد النبي (ص) تفسير المراغى ج ٢ ص ١١٣ كلام المراغى :

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ٢٠٨ فان زللتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم ٢٠٩ هـل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر والى الله ترجع الأمور ٢١٠) :

تفسير المفردات

أصل السلم : التسليم والانقياد فيطلق على الصلح والسلام وعلى دين الاسلام : والخطوات واحدها خطوة بالضم مابين قدمي من يخطو : والزلل في الأصل عثرة القدم ، ثم استعمل في الانحراف عن الحق : والبينات . الحجج والأدلة التي يرشد الى ان مادعيتم اليه هو الحق عقليـة كانت أو نقلية : والعزيز : الغالب الذى لا يعجزه الانتقام . والحكيم . الذى يعاقب المسيء ويكافيء المحسن : ينظرون أي ينتظرون : يأتيهم الله : اى يأتيهم عذابه . والظلل واحدها ظلة بالضم وهي ماأظلك : والغمام . السحـاب الأبيض الرقيق وقضى الأمر : اى تم امر اهلاكهم وفرغ منه :

المعنى الجملي

بعد أن بين سبحانه فيما سلف من الآيات ان الناس في الصلاح والفساد فريقان فريق يسعى في الارض بالفساد ويهلك الحرث والنسل وفريق يبغي بعمله رضوان الله وطاعته ـ ارشدنا الى ان شأن المؤمنين الاتفاق والاتحاد لا التفريق والانقسام :

الايضاح

(يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة) كافة أي في أحكامه كلها

التي اساسها الاستسلام والخضوع لله والاخلاص له ومن اصوله الوفاق والمسالمة بين الناس وترك الحروب بين المهتدين بهديه والامر بالدخول فيه . أمر بالثبات والدوام كقوله تعالى : (يا ايها النبي اتق الله) .

المعنى — يا ايها الذين آمنوا بالألسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما تستأنفون من ايامكم ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه بل خذوا الاسلام بجملته وتفهموا المراد منه بان تنظروا في كل مسألة الى النصوص القولية والسنة المتبعة فيها وتعملوا بذلك . لا ان يأخذ كل واحد بكلمة وسنة يجعلها حجة على الآخر . وان أدى الى ترك مايخالفها من النصوص والسنن وبهذا يرتفع الشقاق والتنازع ويعتصم المسلمون بحبل الوحدة الاسلامية التي امرنا الله باتباعها في قوله :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ونهانا عن ضدها في قوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا) وقوله صلى الله عليه وآله : (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم اعناق بعض) .

ولكن المسلمين قد خالفوا هذا فتفرقوا وتنازعوا وشاق بعضهم بعضا واتخذوا مذاهب متفرقة كل فريق يتعصب لمذهب ويعادي سائر اخوانه المسلمين زعماً منه انه ينصر الدين وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين فهذا سني يقاتل شيعيا وهذا شافعي يغرى التتار بالحنفية وهؤلاء مقلدة الخلف يحادون من اتبع طريق السلف .

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تتبعوا سبله في التفرق في الدين او في الخلاف والتنازع اذ هي سبله التي يزينها للناس ويسول لهم فيها المنافع والمصالح فقد كانت اليهود امة واحدة مجتمعة على كتاب واحد فوسوس لهم الشيطان فتفرقوا وجعلوا لهم مذاهب وشيعا واضافوا الى الكتاب ماأضافوا وحرفوا من حكمه ماحرفوا فسلط الله عليهم اعدائهم فمزقوهم

كل ممزق وهكذا فعل غيرهم من أهل الاديان كأنهم رأوا دينهم ناقصا فكملوه وقليلا فكثروه فثقل عليهم بذلك فوضعوه فذهب الله بوحدتهم ولم تغن عنهم كثرتهم اذ سلط عليهم الأعداء وانزل بهم البلاء .

ثم ذكر السبب في النهي عن اتباع خطوات الشيطان فقال :

(انه لكم عدو مبين) اي انه ظاهر العداوة لكم فان جميع مايدعو اليه ظاهر البطلان بيّن الضرر لمن تأمل فيه وتفكر ومن لم يدرك ذلك في مبدأ الخطوات ادركه في الغايات حين يذوق مرارة العاقبة فلا عذر لمن بقى على ضلالته بعد تذكير الله وهداية عباده الى سبل الخير وتحذيره اياهم عن سلوك طرق الشر .

ثم توعدهم اذا هم حادوا عن النهج السوي والطريق المستقيم فقال .

(فان زللتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم)(١) اي فان حدتم عن صراط الله وهو السلم وسرتم في طـريق الشيطان وهي الخلاف والافتراق بعد ان بين لكم عداوته ونهاكم عن اتباع طرقه وخطواته فاعلموا ان الله يأخذكم اخذ عزيز مقتدر فهو عزيز لا يغلب على أمره حكيم لا يهمل شأن خلقه وحكمته قد وضع تلك السنن في الخليقة فجعل لكل ذنب عقوبة وجعل العقوبة على ذنوب الامم ضربة لازب في الدنيـا ولم يؤخرها حتى تحل بها في الحياة الاخرى .

ولا تقوم للامم قائمة الا اذا اقامت العدل بين أفرادها وكانت صالحة لعمارة الأرض كما قال تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) (٢) وهكذا الأفراد اذا لم ينهجوا النهج السوى ويتحلوا بفاضل الأخلاق فلن يوفقوا في دنياهم ولا في اخراهم ثم

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٩ .

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٥ .

زاد في التهديد والوعيد فقال :

(هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (١)

أى ها هي ذى قد قامت الحجج ودلت البراهين على صدق محمد (ص) فهل ينتظر المكذبون إلا ان يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب في ظلل من الغمام عند خراب العالم وقيام الساعة وتأتي الملائكة وتنفذ ماقضاه الله يومئذ والحكمة في نزول العذاب في الغمام انزاله فجأة من غير تمهيد ينذر به ولا توطئة توطن النفوس على احتماله ، الى ان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان افظع وأشد هولاً والخوف اذا جاء من موضع الأمن كان خطبه اعظم .

ونحو الآية قوله : (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)(٢) وفى الآية عبرة للمؤمن ترغبه في المبادرة الى التوبة لئلا يفاجئه وعد الله وهو غافل فاذا لم يفاجئه قيام الساعة العامة وهلاك هذا العالم كله فاجئه قيام قيامته بموته بغتة فان لم يمت بغتة جاءه المرض بغتة فلا يقدر على العمل وتدارك الزلل .

(وقضي الأمر) أى كيف ينتظرون غير ذلك وهو أمر قضاه الله وابرمه فلا مفر منه وحينئذ يثاب الطائع ويعاقب العاصى ثم بالغ في التهديد والزجر قال :

(والى الله ترجع الامور) فيضع كل شيء في موضعه الذى قضاه فهو الأول ومنه بدأت الخلائق وهو الآخر واليه ترجع الامور وتصير فعلى من زل عن الصراط السوي واتبع خطوات الشيطان ان يبادر بالتوبة ويرجع إلى الحق قبل ان يحيق به زلله ويجازى على عمله : انتهى

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠ :

(٢) سورة الفرقان ٢٥ :

(كل امرء بما كسب رهين) :

رسل بني اسرائيل : (كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجائته فان الله شديد العقاب) (١) :

تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٧ كلام ابن كثير :

(ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم) (٢) :

يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله ان يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه والعمل بجميع اوامره وترك جميع زواجره مااستطاعوا من ذلك . قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله (ادخلوا في السلم) يعني الاسلام وقال الضحاك عن ابن عباس وابو العالية والربيع بن انس (ادخلوا في السلم) يعني الطاعة وقال قتادة ايضا الموادعة وقوله (كافة) قال ابن عباس ومجاهد وابو العالية وعكرمة والربيع بن انس والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة والضحاك جميعا : وقال مجاهد اي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر .

وزعم عكرمة انها نزلت في نفر ممن اسلم من اليهود وغيرهم كعبد الله بن سلام واسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله (ص) في ان يسبتوا وان يقوموا بالتوراة ليلا فامرهم الله باقامة شعائر الاسلام والاشتغال بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر اذا يبعدان يستأذن في اقامة السبت وهو مع تمام ايمانه يتحقق نسخه ورفعه وبطلانه والتعويض عنه باعباء الاسلام ومن المفسرين من يحمل قوله (كافة) حالا من الداخلين

---

(١) سورة البقرة ٢١١ :

(٢) سورة البقرة ٢٠٩ :

أي ادخلوا في الاسلام كلكم والصحيح الأول وهو انهم امروا كلهم ان يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جداً مااستطاعوا منها كما قال ابن ابي حاتم اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن الصباح اخبرني الهيثم بن يمان حدثنا اسمعيل ابن زكريا حدثني محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب فانهم كانوا مع الايمان بالله مستمسكين ببعض امور التوراة والشرائع التي انزلت فيهم فقال الله : (ادخلوا في السلم كافة) يقول ادخلوا في شرائع دين محمد (ص) ولا تدعوا منها شيئاً وحسبكم الايمان بالتوراة وما فيها . وقوله : (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي إعملوا بالطاعات وأجتنبوا مايأمركم به الشيطان : فـ (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون) و (انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) ولهذا قال (انه لكم عدو مبين) وقال مطرف ، اغش عباد الله لعبيد الله الشيطان وقوله : (فان زللتم من بعد ماجائتكم البينات) أى عدلتم عن الحق بعد ماقامت عليكم الحجج فاعلموا ان الله عزيز اى في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في احكامه ولقضه وابرامه ولهذا قال ابو العالية وقتادة والربيع بن انس عزيز في نقمته حكيم في امره وقال محمد بن اسحق . العزيز في نصره ممن كفر به اذا شاء الحكيم في عذره وحجته الى عباده . انتهى

الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٠٣ كلام العلامة الطباطبائى .

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (٢٠٨) فان زللتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم (٢٠٩) هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الامور (٢١٠)) :

بيان

هذه الآيات وهي قوله . : يا ايها الذين آمنوا إلى قوله : : الا ان نصر الله قريب الآية : سبع آيات كاملة تبين طريق التحفظ على الوحدة الدينية في الجامعة الانسانية وهو الدخول في السلم والقصر على ماذكره الله من القول وما أراه من طريق العمل وانه لم تنفصم وحدة الدين ولا ارتحلت سعادة الدارين ولا حلت الهلكة دار قوم إلا بالخروج عن السلم والتصرف في آيات الله تعالى بتغييرها ووضعها في غير موضعها شوهد ذلك في بني اسرائيل وغيرهم من الامم الغابرة وسيجرى نظيرها في هذه الامة لكن الله يعدهم بالنصر (الا ان نصر الله قريب) :

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) السلم والاسلام والتسليم واحدة وكافة كلمة تأكيد بمعنى جميعاً ولما كان الخطاب للمؤمنين وقد امروا بالدخول في السلم كافة - فهو امر متعلق بالمجموع وبكل واحد من اجزائه فيجب ذلك على كل مؤمن ويجب على الجميع ايضا ان لا يختلفوا في ذلك ويسلموا الأمر لله ولرسوله (ص) وأيضا الخطاب للمؤمنين خاصة فالسلم المدعو اليه هو التسليم لله سبحانه بعد الايمان به فيجب على المؤمنين ان يسلموا الأمر اليه ولا يذعنوا لانفسهم صلاحا باستبداد من الرأي ولا يضعوا لانفسهم من عند انفسهم طريقا يسلكونه من دون ان يبينه الله ورسوله فما هلك قوم إلا باتباع الهوى والقول بغير العلم ولم يسلب حق الحيـاة وسعادة الجد عن قوم الا عن اختلاف ومن هنا ظهر ان المراد من اتباع خطوات الشيطان ليس اتباعه في جميع مايدعو اليه من الباطل بل اتباعـه

فيما يدعو اليه من أمر الدين بان يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق ويسمى ماليس من الدين باسم الدين فيأخذ به الإنسان من غير علم وعلامة ذلك عدم ذكر الله ورسوله اياه في ضمن التعاليم الدينية انتهى محل الحاجة منه.

الكشاف ج ١ ص ١٢٧ كلام الزمخشري .

(السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه (كافة) لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون (كافة) حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال :

السلم تأخذ منها مارضيت بـــه والحرب يكفيك من انفاسها جرع

على ان المؤمنين امروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وان لا يخلّوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله (ص) ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل ؛ . وكافـــة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم (فان زللتم) عن الدخول في السلم (من بعد ماجائتكم البينات) أي الحجج والشواهد على مادعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يعجـــزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بحق انتهى موضع الحاجة :

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (١) ؛

خاطب الله المؤمنين في هذه الآية الشريفة وامرهم ان ينفقوا مما رزقهم فانه هو الذى أعطاهم هذا المال وها هو يدعوهم ان ينفقوا منـــه ويشير

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤ .

الى ان الممتثل لهذا الأمر والمنفق من مال الله سوف يعقد صفقة تجارية بينه وبين الله تعالى وسوف تكون بينه وبين الله خلة بمعنى ان يكون خليلا لله وسوف يكون ممن يأذن الله لرسوله ان يشفع يوم القيامة بين يدي الله وان الذى لا ينفق مما رزقه الله في الدنيا ويبخل بالمال عن العطاء سوف يأتيه يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فاذا لم يكن في ذلك اليوم بيع فلا يمكنكم تدارك مافاتكم بابتياع ماتنفقونه او تفتدون به من العذاب ، واذا لم يكن فيه خلة وهي الحب الخالص فلا يكون لكم اخلاء حتى يسامحوكم في ذلك اليوم واذا لم يشفع هناك أحد الا باذن من الرحمن فلا يمكنكم ان تتكلوا على أحد يشفع لكم في حط مافي ذممكم .

والظاهر ان المقصود من الانفاق هو اعطاء الزكاة الواجبة وان التارك لها والممتنع من اعطائها يكون ظالماً لنفسه حيث ترك واجبا ويكون ظالما للفقراء حيث منعهم حقهم ولذا يقول الله للمؤمنين ان الكافر هو الظالم وانتم بما انكم مؤمنون لا ينبغي ان تكونوا ظالمين ، فاذا اتصفتم بالظلم كنتم من زمرة الكافرين فتحصل لنا من الآية الشريفة ان جملة الصفات المعتبرة في المؤمنين هي صفة السخاء بان ينفق ماامره الله بانفاقه لأن عقيدة المؤمن بان الرزاق هو الله وقد وعده بالزيادة اذا انفق وأما الممسك فانه غير مصدق بوعد الله فيرجع إلى عقيدة الكافر ، نسأله تعالى ان يثبتنا على الايمان .

قوله تعالى : —

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (١) :

حيث ان موضوع الكتاب هو صفات المؤمن المأخوذة من القرآن فان هذه الآية الشريفة قد قارنت بين الرشد والغي وهما ضدان لا يجتمعان ومن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ :

عرف احدهما عرف الآخر اذا كان رشيدا او طالبا للرشد .

أما الذي يقول أو يعمل أو يكتب على ماتشتهيه نفسه أو على غير بصيرة وتدبر أما لتقصير أو قصور أو تعصب أعمى فهو منغمس في الغي إلى أم رأسه فلا يمكن ان يعرف شيئاً من الرشد وقد فسر الغي بانه سلوك الطريق المسبب للعطب والهلاك فيكون الرشد في سلوك الطريق الموصل للغاية المحبوبة المحمودة ، الرشد هو اصابة حقيقة الأمر واصابة الطريق المؤدي اليه والحجة التي توصل صاحبها إلى مايرضاه الله ويكون عذرا له يوم يوقف للحساب بين يدى الله وانما يكون رشداً اذا كانت مقدماته كلها من الطريق التي نصبها الله لعباده اما اذا كانت المقدمات من امور غير مرضيـــة لله فانها تكون موصلة إلى الغى حتما فالمقصود من الرشد في الآية هو الايمان والضلال والايمان هو الموصل إلى رضا الله وبدلالته فاما مايختاره العبد من ذات نفسه فلا يكون مرضيا لله وان صام وصلى ليلا ونهارا وسماه اصحابه مؤمنا فكل شيء يقع في طريق الوصول إلى الرشد وهو الايمان يلـزم ان يكون بدلالة من الله سواء أكان هو نفس العقيدة او العبادة او كيفيتها أو اجزأها قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج ٧ ص ١٦ كلام الرازي

أما قوله : (قد تبين الرشد من الغى) ففيه مسألتان :

المسألة الاولى : — يقال بان الشيء واستبان وتبين اذا ظهر ووضح ومنه المثل (قد تبين الصبح لذى عينين) وعندي ان الايضاح والتعريف انما سمى بيانا لانه يوقع الفصل والبينونة بين المقصود وغيره . والرشد في اللغة معناه اصابة الخير وفيه لغتان رشد ورشد والرشاد مصدر ايضا كالرشد والغي نقيض الرشد يقال : غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك غير طـريق الرشد :

المسألة الثانية : — (تبين الرشد من الغي) اى تميز الحق من الباطل

والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة قال القاضي ومعنى : (قد تبين الرشد) أى الله قد اتضح وانجلى بالادلة لا ان كل مكلف تلبه لان المعلوم خلاف ذلك واقول قد ذكرنا ان معنى (تبين) انفصل وامتاز فكان المراد انه حصلت الهيئوئة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين انتهى كلام الرازي :

تفسير المراغي طبعة ٣ ج ٣ ص ١٧ كلام المراغي : (قد تبين الرشد من الغي) أى ظهر أن في هذا الدين الرشد والفلاح وان ماخالفه من الملل الأخرى غي وضلال . ثم فصل ذلك فقال (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (١) أى فمن يكفر بما تكون عبادته والايمان به سبباً في الطغيان والخروج عن الحق من عبادة مخلوق انساناً كان او شيطاناً أو وثناً أو صنما أو تقليد رئيس أو طاعة هوى ويؤمن بالله فلا يعبد إلا إياه ولا يرجو شيئاً من أحد سواه ويعترف بان له رسلا ارسلهم للناس مبشرين ومنذرين باوامره ونواهيه التى فيها مصلحة للناس كافة فقد تحرى باعتقاده وعمله ان يكون ممسكا باوثق عرى النجاة وامتن وسائل الحق وانما يكون ذلك بالإستقامة على الطريق القويم الذي لا يضل سالكه فمثله كمثل الممسك بعروة الحبل المحكم المأمون الانقطاع لدى حمل جسيم كبير ثقيل :

ثم أتى بما يفيد الترغيب والترهيب فقال (والله سميع عليم) اى والله سميع لاقوال من يدعي الكفر بالطاغوت والايمان بالله عليم بما يكن قلبه مما يصدق هذا أو يكذبه فمن اعتقد ان جميع الأشياء مسيرة بقدرة الله لا تأثير فيها لأحد سواه فهو المومن حقاً وله الجزاء الأوفى ومن انطوى قلبه على شيء من نزعات الوثنية ونسب ماجهل سره من عجائب الخلق إلى قوة غير

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ :

طبيعية يتقرب بها إلى الله زلفى فقد حق عليه العذاب وكان جزاء الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين انتهى كلام المراغى :

الدر المنثور ج ١ ص ٣٣٠ كلام السيوطي واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان في صورة الانسان يتحاكمون اليه وهو صاحب امرهم :

في ظلال القرآن طبعة ٢ ج ٣ ص ٢٩ كلام سيد قطب (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (١) ان قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية اقتناع بعد البيان والادراك وليست قضية اكراه وغصب واجبار ولقد جاء هذا الدين يخاطب الادراك البشري بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان المتعقل كما يخاطب الفطرة المستكنة يخاطب الكيان البشري كله والادراك البشري بكل جوانبه في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجأ مشاهدها إلجاء الى الاذعان ولكن وعيه لا يتدبرها وادراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والادراك .

واذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة فهو من باب اولى لا يواجهه بالقوة والاكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والاكراه بلا بيان ولا اقناع ولا اقتناع ، وكانت المسيحية آخر الديانات قبل الاسلام قد فرضت فرضا بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع التي زاولتها الدولة الرومانية بمجرد دخول الامبراطور

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

قسطنطين في المسيحية بنفس الوحشية والقسوة التي زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحيين ، القلائل من رعايا الذين اعتنقوا المسيحية إقتناعا وحبا ولم تقتصر وسائل القمع والقهر على الذين لم يدخلوا في المسيحية بل انها ظلت تتناول في ضراوة المسيحيين انفسهم الذين لم يدخلوا في مذاهب الدولة وخالفوها في بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح .

فلما جاء الإسلام عقب ذلك جاء يعلن في اول مايعلن هذا المبدأ العظيم الكبير :

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) الى آخر ماذكره من الكلام على قوله لا إكراه في الدين ثم يقول في ص ٣٠ (قد تبين الرشد من الغي) :

فالايمان هو الرشد الذي ينبغي للانسان ان يتوخاه ويحرص عليه والكفر هو الغي الذي ينبغي للانسان ان ينفر منه ويتقي ان يوصم به والأمر كذلك فعلا فما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان وما تمنحه للادراك البشري من تصور ناصع واضح وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر لطيفة وما تحققه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة مايتدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو حتى يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه الا سفيه ، يترك الرشد إلى الغي ويدع الهدى إلى الضلال ، ويؤثر التخبط والقلق والهبوط والضالة على الطمأنينة والسلام والرفق والاستعلاء ثم يزيد حقيقة الايمان ايضاحا وتحديدا وبيانا (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انصام لها) ان الكفر ينبغي ان يوجه الى مايستحق الكفر وهو الطاغوت ، وان الايمان يجب ان يتجه الى من يجدر الايمان به وهو (الله) :

والطاغوت صيغة من الطغيان تفيد كل مايطغى على الوعي ويجور على

الحق ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابطا من العقيدة في الله ومن الشريعة التي يسنها الله ومن كل منهج غير مستمـــد من الله وكل تصور او وضع أو ادب او تقليد لا يستمد من الله فمن يكفر بهذا كله فى كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحـده فقد نجا وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها :

وهنا تجدنا امام صورة حسية لحقيقة شعورية ولحقيقة معنوية : : ان الايمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم ابداً : : انها متينة لا تنقطع ولا يضل الممسك بها طريق النجاة : : انها موصولة بمالك الهلاك والنجاة ، والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هـذا الوجود حقيقة الله ، واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنه الله لهذا الوجود وقام به هذا الوجود والذي يمسك بعروته يمضى على هدى الى ربه فلا يظلم ولا يتخلف ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الشذوذ والضلال :

(والله سميع عليم) :

يسمع منطق الألسنة ويعلم مكنون القلوب فالمؤمن الموصول بـــه لا يبخس ولا يظلم ولا يخيب ثم يمضي السياق يصور في مشهـد حسي حي متحرك طريق الهدى وطريق الضلال وكيف يكون الهدى وكيف يكـون الضلال ، يصور كيف يأخذ الله ولي الذين آمنوا بايديهم فيخرجهم من الظلمات إلى النور ، بينما الطواغيت اولياء الذين كفروا تأخذ بايديهم فتخرجهم من النور إلى الظلمات :

انه مشهد عجيب حي موح والخيال يتبع هؤلاء وهؤلاء جيئة من هنا وذهابا من هناك بدلا من التعبير الذهنى المجرد الذي لا يحـرك خيالا ولا يلمس حسا ولا يستجيش وجدانا ولا يخاطب الا الذهن بالمعانى والألفاظ :

فاذا اردنا ان ندرك فضل طريقة التصوير القرآنية فلنحاول ان نضع

في مكان هذا المشهد الحي تعبيراً ذهنياً اياً كان لنقل مثلا : الله ولي الذين آمنوا يهديهم إلى الإيمان والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يقودونهم الى الكفران ، ان التعبير يموت بين ايدينا ويفقد مافيه من حرارة وحركة وايقاع

وإلى جانب التعبير المصور الحي الموحي للتقي بدقة التعبير عن الحقيقة :

(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) :

ان الايمان نور ، نور واحد في طبيعته وحقيقته ، وان الكفر ظلمات ظلمات متعددة متنوعة ولكنها كلها ظلمات ، وما من حقيقة اصدق ولا ادق من التعبير عن الايمان بالنور والتعبير عن الكفر بالظلمة :

ان الايمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ماينبثق في ضميره تشرق به روحه فتشف وتصفو وتشع من حولها نوراً ووضاءة ووضوحا نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غش بينة بغير لبس مستقرة في مواضعها بغير ارجحة فيأخذ منها ما يأخذ ويدع منها مايدع فى هوادة وطمأنينة وثقة وقرار لا ارجحة فيه ، نور يكشف الطريق إلى الناموس الكونى من حوله ومن خلاله فيطابق المؤمن بين حركته وحركة الناموس الكوني من حوله ومن خلاله ويمضي في طريقه الى الله هينا لينا لا يعتسف ولا يصطدم بالنتوءات ولا يخبط هـنا وهناك فالطريق في فطرته مكشوف معروف .

وهو نور واحد يهدى إلى طريق واحد ، فاما ضلال الكفر فظلمات شتى منوعة ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتيه ، وظلمة الكبر والطغيان وظلمة الضعف والذلة ، وظلمة الرياء والنفاق ، وظلمة الطمع والسعر ، وظلمة الشك والقلق ، وظلمات شتى يأخذها الحصر لتجمع كلها عند الشرود عن طريق الله والتلقي من غير الله والاحتكام لغير منهج الله وما يترك الانسان نور

الله الواحد الذى لا يتعدد نور الحق الواحد الذى لا يتلبس حتى يدخل في الظلمات من شتى الأنواع وشتى الأصناف وكلها ظلمات ، والعاقبة هي اللائقة باصحاب الظلمات (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) واذا لم يهتدوا بالنور فليخلدوا اذن في النار – ان الحق واحد لا يتعدد والضلال الوان وانماط (فماذا بعد الحق الا الضلال) انتهى كلام صاحب (في ظلال القرآن) وان هذا المؤمن الذى وصفه بقوله : (ان الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن الخ) .

من صفات الكمال :

هو من اعلى طبقات المؤمنين ومن خاصتهم لا من عامتهم فان عامة من يدعى الإيمان لا يتصف ولا ببعض هذه الأوصاف وان من يتصف بهذه الأوصاف مضافاً اليها غيرها انما هم ادلة الناس ومرشدوهم وقادتهم الى الله وهم الذين قال النبي (ص) مخبراً عنهم (المؤمن ينظر بنـــور الله) وهم تراجمة القرآن العالمون بتأويله الذين قربهم الله بنفسه في قوله : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) (١) فينبغي لطالب الرشد والايمان ان يفحص عنهم ليعرفهم باسمائهم وصفاتهم ويقتدي بهم فان الله ماذكرهم في كتابه إلا لوجودهم في هذا العالم وما اوجدهم في عالم الدنيا الا لينفعوا الناس بما اعطاهم من العلوم وليرجع الناس اليهم فيما يحتاجون اليه من العلم وان أول هؤلاء الرجال هو الرسول الأعظم ومن بعده هم من قربهم الرسول بالقرآن وجعلهم عدلا له وامر الامة بالتمسك بهم كما في الحديث الـذي يرويه جميع الأصحاب وهو قوله : (اني تارك فيكم ماان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) هذا هو الرشد الذي بينه لنا الله في كتابه واوضحه لنا

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

الرسول الأكرم :

ثم ان جميع المفسرين اذا وصلوا الى هذه الآية وهي قوله : (لا اكراه في الدين) يتعرض الى فريضة الجهاد حيث ان الله أمر النبي (ص) والمؤمنين بجهاد الكافرين فهل ان آية الجهاد ناسخة لهذه الآية او انها لا تنافي هذه الآية ويمكن العمل بها معا وقد اختار كل واحد من المفسرين احد هذين القولين :

أما سيد قطب فقد اختار في تفسيره (في ظلال القرآن) عدم المنافات بين الآيتين فانه بعد ما ابطل قول بعض المعرضين الذين يريدون تشويه الإسلام وايقاع الفتنة بين المسلمين قال في ج ٣ ص ٣٤ لقد انتضى الإسلام السيف وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحداً على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد :

جاهد الاسلام اولا ليدفع عن المؤمنين الاذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على انفسهم واموالهم وعقيدتهم وقرر ذلك المبدأ العظيم الذى سلف تقريره في هذه السورة في الجزء الثاني : (والفتنة اشد من القتل) فاعتبر الاعتداء على العقيدة والايذاء بسببها وفتنة اهلها عنها اشد من الاعتداء على الحياة ذاتها فالعقيدة اعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم واذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب اولى مؤذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون ولم يكن لهم بدان يدفعوا هذه الفتنة عن اعز مايملكون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون فيها في مواطن شتى وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم وفتنة اصحاب المذاهب المسيحية الاخرى ليرتدوا الى الكثلكة الى ان يقول :

وجاهد الاسلام ثانيا لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة فقد جاء الإسلام باكمل تصور للوجود والحياة وبارقى نظام لتطوير الحياة جاء بهذا الخير ليهديه الى البشرية كلها ويبلغه الى اسماعها والى قلوبها فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولا اكراه في الدين ، ولكن ينبغى قبل ذلك ان تزول العقبات من طريق ابلاغ هذا الخير للناس كافة كما جاء من عند الله للناس كافة وان تزول الحواجز التي تمنع الناس ان يسمعوا وان يقتنعوا وان ينضموا الى موكب الهدى اذا ارادوا ومن هذه الحواجز ان تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع الى الهدى وتفتن المهتدين ايضا فجاهد الاسلام ليحطم هذه النظم الطاغية وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة الى الحق في كل مكان وحرية الدعاة وما يزال هذا الهدف قائما وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه ان كانوا مسلمين .

(اقول) ان هذه النظم الطاغية التى ذكرها تصدر في اغلب الأوقات من المسلمين انفسهم او ممن يسمون انفسهم بالمسلمين فينبغى للمؤمنين مكافحة هذه الفرق وان لم يمكنهم ذلك فعليهم ان يظهروا الحق بالسنتهم واقلامهم فان هذه الفرق قد حدثت بعد رحلة النبي (ص) مناشرة (ثم قال سيد قطب) جاهد الاسلام ثالثا ليقيم في الارض نظامه الخاص ويقرره ويحميه وهو وحده النظام الذى يحقق حرية الانسان تجاه اخيه الانسان حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ويلغى من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع اشكالها وصورها فليس هناك فرد ولا طبقة ولا امة تشرع الاحكام للناس وتسندهم عن طريق التشريع انما هناك رب واحد للناس جميعا هو الذى يشرع لهم على السواء واليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع كما يتجهون اليه وحده بالايمان والعبادة سواء .

إلى هنا كان السيد موفقاً في كلامه مسددا فيما كتبه سائراً في طريق الرشد الذي ذكره الله في قوله : (قد تبين الرشد من الغى) وانا ارجو من القارىء ان يحفظ هذا المقال الدال على ان كل أمر من امور الشريعة يلزم ان تكون مقدماته وادلته مستمدة من الله لا من شيء آخر :

ولكنه قد مال عن هذا الطريق وسلك طريقاً آخر فقال بعد كلامه المذكور (جزء ٣ ص ٣٥ ط ٢) فلا طاعة في هذا النظام لبشر الا ان يكون منفذا لشريعة الله موكلا عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ الخ :

ولا يخفى على القارىء ان هذا الكلام وهذا الرأي الذى فرضه على الأمة باجمعها من غير دليل ولا حجة بل ارسله ارسال الأمر المسلم عند الكل .

أقول ان هذا الرأى مناف لما ذكره اولا من ان جميع الأحكام ينبغى ان تكون مستمدة من الله فانا لا نعلم من هو الرجل الموكل على التنفيذ وهل يكون عالما بجميع أحكام القرآن وعلومه الكثيرة ، وهل نوه عنه النبي بكلمة تدل على كثرة علمه بان قال فلان باب مدينة علمى أو قال فلان اقضاكم فاذا لم تصدر في حقه كلمة من الرسول كيف توكله الجماعة :

ثم نسأل من هم الجماعة الذين يوكلون الرجل المجهول فلا نعرف الجماعة الموكلين ولا الرجل الموكل وكيف فوض أمر الشريعة وأمر المسلمين وتفسير القرآن الى الجماعة :

ان هذا الكلام لا يطابق ذلك الذي رجوت من القارىء ان يتذكره ولا يغفل عنه :

أما الذى يكون منفذا لأحكام الشريعة ويكون مفسراً لكتاب الله فلا يكون اختياره راجعا الى العباد ولا يعينه احد من البشر لان القرآن فيه للناسخ والمنسوخ والعام والخاص ، والمجمل والمفصل وغير ذلك مما لا يعلمه احد الا بتعليم من الله والرسول وهذا الشخص لا يعرفه الا الله ورسوله

ولا يعينه احد غير النبي بامر من الله :

أما الجماعة سواء أقلت أو كثرت او كانت جميع المسلمين فلا يمكنها ان تعين احداً لينفذ الأحكام لأن التنفيذ انما يكون مع العلم بالأحكام والعلم انما يكون من قبل الله بواسطة الرسول والجماعة لا نعرف الشخص الذي الهمه الله العلم .

فلا يمكننا ان نقول فلان او فلان هو المنفذ او الخليفة لان النبي يقول : (من اختار لأمر أمتي شخصا وفيهم خير منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قال الحومانى في كتابه (دين وتمدين) ج ٢ ص ٥ بعد نقل الحديث ، هذا الحديث ثابت عند السنة والشيعة من المسلمين ويزيد عليه الشيعة ان خليفة الله في الأرض يجب ان يكون عدلا ان لم يكن معصوما عملا بقوله تعالى : (لا ينال عهدى الظالمين) انتهى .

ثم ان الجماعة ان كانت هي عموم المسلمين فهو شيء لا يمكن ولا يتهيأ .

ولو فرض امكان ذلك واجتمع رأى المسلمين على اختيار رجل واحد فهل يجوز للمؤمن ان يأخذ احكام دينه من هذا الرجل الذى اختاروه مالم يكن حكمه مستنداً الى القرآن والسنة ولو اخذ بقوله فهل يكون معذوراً عند الله وقد تقدم من ان الاحكام الدينية يلزم ان تكون مستمدة من الله في جميع مقدماتها وشروطها ، فان هذا الذى ذكره يستلزم العمل بقول هذا الموكل عن الجماعة مطلقا بلا شرط ولو اراد من الجماعة التى توكل احداً على التنفيذ بعض المسلمين لا كلهم يكون الأمر اعظم من سابقه اذ لا دليل على جواز العمل بقول هذا الرجل مالم تكن اقواله مستمدة من الكتاب والسنة وان المصير الى هذا القول لا يطابق الرشد الذي فسره لنا قبلا ، ولو ان الرجل الموكل عن الجماعة التى عناها اخبرنا بان حكمه مأخوذ من القرآن والسنة فهل يكفي ذلك في اسقاط التكليف او انه يلزم علينا

ان نطلب من الآية والرواية التي استند عليها في هذا الحكم ، فهذه مسائل عديدة تكون في طريق المكلف يلزمه الجزم فيها وان عمله مطابق لأمر الله تعالى فيها .

ولقد تقدم قول سيد قطب فان الظلمات شتى متنوعة ظلمة الهـوى والشهوة وظلمة الشرودوالتيه ، وظلمة الكبر والطغيـان ، وظلمة الضعف والذلة ، وظلمة الرياء والنفاق ، وظلمة الطمع والسعر ، وظلمة الشك والقلق وظلمات شتى لا يأخذها الحصر ، ومع هـذه الأنواع الكثيرة من الظلمات كيف يطمئن المؤمن لقول رجل عادي وكلته جماعة غير معروفـة فيجعل مدار دينه ومدار اعماله على اقوال هذا الرجل الموكل من قبل الجماعة لعمرك ان هذا لا يتفق مع الرشد الذى فسره لنا .

والذى يدل عليه العقل ويقبله ويرشد اليه القرآن والسنة ان الذى يكون دليلا على احكام الدين ومبلغا عن الله وعن الرسول يلزمه ان يسند كل حكم في كل قضية الى القرآن او السنة والذى يدلنا على هذا المبلغ اما القرآن او النبي (ص) وحيث ان القرآن لم يسم لنا احدا باسمه وانما يذكره بأوصافه فلا بد ان نرجع في تشخيصه الى قول النبي (ص) فانه تعالى يقول : (وما يعلم تأويله الا الله والرسخون في العلم) (١) وان سائر الناس لا يعـرف الراسخين وانما يعرفهم النبي (ص) فيلزمنا الرجوع الى اقواله في تعيين العالم وقد تواتر عنه انه قال : (انا مدينة العلم وعلي بابها) وهذا يكفي في كون علي عنده جميع العلوم التي كانت عند النبي (ص) وقد قال هو اى الامام علي وهو الصادق المصدق بشهادة جميع اصحاب النبي (ص) (علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) فالمؤمن اذا اخذ احكام دينه من هذا الرجل ومن امثاله يجزم ويقطع بان مايقول مطـابق

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

لأحكام الله الواقعية وان العمل بقوله مجز ويكفي ان يكون عذرا يقدمه لله إذا سئل يوم القيامة عمن اخذ احكامه حيث ان النبي (ص) بين لأمته ان هذا الرجل هو باب مدينة علمه فهل ترى ايها المؤمن ان الأخذ عن الرجل هو الرشد او الأخذ عن ذاك الذي توكله الجماعة الذي لم يصدر من النبي (ص) كلمة في حقه تدل على وفور علمه — ثم لنوجه سؤالا آخر الى سيد قطب وذلك بعد نقل مايلي :

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ عن زيد بن ثابت قال ، قال رسول الله (ص) اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله عزوجل حبل ممدود مابين السماء والأرض او مابين السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وفيه ايضا ص ١٦٣ وعن زيد بن ارقم قال نزل رسول الله (ص) الجحفة ثم اقبل على الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : انى لا اجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله وانى اوشك ان ادعى فاجيب فما انتم قائلون قالوا نصحت قال اليس تشهدون ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق قالوا نشهد قال : فرفع يده فوضعها على صدره قال انا اشهد معكم ثم قال الا تسمعون قالوا نعم قال فانى فرط على الحوض وانتم واردون على الحوض وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه اقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد ما الثقلان يارسول الله قال كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر عشيرتي ، وان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهما فهم اعلم منكم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال من كنت اولى به من نفسه فعلي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال علي (ع) الا ان العلم الذى هبط به آدم من السماء الى الأرض وجميع مافضلت به النبيون الى خاتم النبيين عندي وعند عترة خاتم النبيين فاين

يتاه بكم واين تذهبون ؟

وقال امير المؤمنين في خطبة له ايضا ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد ان النبي قال اني واهل بيتي مطهرون فلا تسبقوهم فتضلوا ولا تخلفوا عنهم فتزلوا ولا تخالفوهم فتجهلوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم هم اعلم الناس كبارا واحلم الناس صغارا فاتبعوا الحق واهله حيث كان ؟

وهنا نسأل سيد قطب : ونقول ان هذا الحديث النبوي المتسالم على صحته المستمد من الله تعالى وهو يدلنا على طريق الرشد البين ويرشدنا على من ينفذ احكام الشريعة ويعلمنا ان هذا المنفذ لا يفترق عن القرآن حتى يردا جميعا عليه الحوض ، ثم ان هذا الذي دلنا عليه النبي أخبرنا ان عنده جميع العلوم التي كانت عند الأنبياء من آدم الى محمد هل يصح ان نتركه ونأخذ بقول من وكلته الجماعة مهما كان الرجل ومهما كانت الجماعة ؟

تفسير المراغي ج ٣ طبعة ٣ ص ١٩ كلام المراغي : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) أى ان المؤمن لا ولي له ولا سلطان لأحد على اعتقاده إلا الله تعالى فهو يهديه إلى استعمال ضروب الهدايات التي وهبها له (الحواس والعقل والدين) على الوجه الصحيح واذا عرضت له شبهة لاح له شعاع من نور الحق يطرد هذه الظلمة حتى يخلص منها كما قال تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (١) فنظر الحواس في الاكوان وادراك ما فيها من بديع الاتقان ينير هذه الحواس ، ونظر العقل في المعقولات يزيده نورا على نور والنظر فيما جاء به الدين من الآيات يتمم له مايصل به الى اوج سعادته ومنتهى فوزه وفلاحه : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٠٠ ؟

النور إلى الظلمات) (١) أي والكافرون لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك المعبودات الباطلة التي تسوقهم إلى الطغيان فان كانت من الأحياء الناطقة ورأت ان عابديها قد لاح لهم شعاع من نور الحق نبههم الى فساد ما هم فيه بادرت إلى طفائه وصرفه عنهم بالقاء حجب الشبهات وان كانت من غير الأحياء فسدنة هياكلها وزعماء حزبها لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات ببيان ان الواجب الاعتقاد بتلك السلطة وبما ينبغي لأربابها من التعظيم وهو لا شك عبادة وان سموه توسلا واستشفاعا وغير ذلك من الاسماء (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) فان ما يكون في الآخرة ما هو إلا جزاء لما كان عليه الانسان في الدنيا ولا يليق باهل الظلمات الذين لم يبق لنـور الحق مكان في انفسهم الا تلك الدار التي وقودها النار والحجـارة انتهى كلام المراغي .

فقد اتضح للقاريء ان المؤمن لا يكون اعتقاده وعمله في عبادتـه ومعاملته إلا مايطابق أمر الله المأخوذ من كتابه ومن نبيه او ممن جعله النبي نائبا عنه وخليفة له ومبينا لاحكام القرآن بعده والا فمن كان عملـه غير مأخوذ عن الله فانه يسمى كافرا ويسمى المأخوذ منه طاغوتا كما عبرت الآية وعبر المفسرون لها الرازي والمراغي وسيد قطب ، فلا مجال للانكـار على من يعبر عن التابع والمتبوع بالكافر والطاغوت اذا كانت التابعية بغير أمر من الله فان الله عبر عنها بما ذكر والمفسر يتبع الله في ذلك فافهم واغتنم .

تفسير الطبري طبعة ٢ ج ٣ ص ١٩ كلام الطبري . بعد ماذكر الاقوال في معنى الطاغوت قـال والصواب من القول عندى في الطاغوت انـه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه (٣) بقهر لمن عبده وأما بطاعة ممن

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٣) هكذا وجدت الكلمتين معربة والأصوب ان تكون فُعبِدَ من دونه .

عبده له ، انسانا كان ذلك المعبود او شيطانا او وثنا او صنما او كائنا ماكان من شيء .

ثم ذكر اشتقاق الطاغوت وقال بعد خمسة اسطر من نفس الصفحة فتأويل الكلام اذن فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر بـه ويؤمن بالله . . يقول . . ويصدق بالله انه إلهه وربه ومعبوده (فقد استمسك بالعروة الوثقى) (١) يقول فقد تمسك باوثق ما يتمسك بـه من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه . كما حدثني احمد بن سعيد بن يعقوب الكندى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا ابن ابى مريم عن حميد بن عقبة عن ابى الدرداء انه عاد مريضا من جيرته فوجده في السوق وهـو يغرغر لا يفقهون مايريد فسألهم يريد ان ينطق قالوا نعم يريد ان يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال ابو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يرددها حتى الكسر لسانه فنحن نعلم انه انما يريد ان ينطق بها فقال ابو الدرداء افلح صاحبكم ان الله يقول : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (٢) ثم قال الطبرى في ص ٢٠ القول في تأويل قوله : (فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

والعروة فى هذا المكان مثل للايمان الذى اعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بعروة الشيء الذى له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذي عروة فانما يتعلق من اراده بعروته . . وجعل تعالى ذكره الايمان الذى تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من اوثق عرى الأشياء بقوله : (الوثقى) والوثقى فُعلى من الوثاق يقال في الذكر هو الاوثق وفي

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

الاثى هي الوثقى ، كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى .

ثم ذكر احاديث تدل على ماقاله ، ثم قال : القول في تأويل قوله (لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله : (لا انفصام لها) لا انكسار لها والهاء والالف في قوله لها عائد على العروة ، ومعنى الكلام فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه في اهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عروى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها واصل الفصم الكسر ثم ذكر الاحاديث المؤيدة لقوله ثم قال ص ٢١ القول في تأويل قوله :

(والله سميع عليم) يعنى تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحدانية الله وتبرئه من الانداد والاوثان التي تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته قلبه وما انطوى عليه من البرائة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما اخفته نفس كل احد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه امر حتى يجازى كلا يوم القيامة بما نطق به لسانه واضمرته نفسه ان خير فخير وان شرا فشرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (١) يعني تعالى ذكره بقوله : (الله ولي الذين امنوا) نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه (يخرجهم من الظلمات) يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات في هذا

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

الموضع : الكفر وانما جعل الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب ابصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة اسبابه :

فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فموفقهم لادلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر وظلم سواتر ابصار القلوب : ثم اخبرنا تعالى ذكره عن أهل الكفر فقال : (والذين كفروا) يعني الجاحدين وحدانيته (اولياؤهم) يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم (الطاغوت) يعني الانداد والاوثان الذين يعبدونهم من دون الله (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) يعني بالنور الايمان على نحو ما بيّنا . إلى الظلمات : ويعني بالظلمات ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون ابصار القلوب ورؤية ضياء الايمان وحقائق ادلته وسبله انتهى كلام الطبرى :

وقد عرفنا من كلام هؤلاء المفسرين ان الايمان انما تؤخذ احكامه كلية وجزئية من الله ومن الرسول وقد مر عليك الحديث الذى في الدر المنثور من تفسير الطاغوت بالشيطان على صورة انسان وانه صاحب أمر جماعة من الناس يأخذون احكامهم منه فهل تظن ان هذا الشيطان بصورة الانسان يحكم بشيء يحبه الله والرسول :

قوله تعالى :

« مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة البقت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . » (١) :

ان هذه الآية وما يتبعها من الآيات وكثير من آيات القرآن تحث المؤمنين ان ينفقوا من اموالهم ويساعدوا الفقراء ولا يتركوهم بما هم فيه

(١) سورة البقرة آية ٢٦١ :

من الحاجة والاضطرار فانهم اذا تركوا على ماهم فيه من الفقر يضر ذلك بالمجتمع ويخل بالنظام الدنيوى ويوجب العقاب الأخروي ، للفقير والغني معاً وسوف يتضح ذلك في ضمن مايأتى من الآيات وقد بين الله في هذه الآيات نواح عديدة للانفاق وهذه النواحي والجهات المذكورة في الآيات انما هى شروط للانفاق المقبول عند الله المرضي لديه وهو الذي يحصل المنفق على الفائدة المترتبة عل الانفاق والجزاء الذي وعد الله به المنفقين .

أما اذا لم يكن الانفاق مشتملا على الشروط المذكورة في الآيات فلا يستحق الجزاء المذكور فذكر في هذه الآية الشريفة الشرط الأساسى الذى تترتب عليه جميع الآثار وتفقد بفقدانه وهو كون الانفاق في سبيل الله اى في الوجه الذي يكون فيه رضا الله ويقصد منه أمر ديني وان يكون خالصا لوجه الله لا يشوبه أمر آخر ، وذكر الجزاء الجزيل والثواب العظيم الكثير الذى يكون لهذا الانفاق وهو كون الواحد بسبعمائة ضعفا واذا شاء الله يضاعفه اكثر من ذلك لمن يشاء من العباد : (والله واسع عليم) فقد مثل الله عزوجل هذا المال الذي ينفق في سبيله بالحبة التي يبذرها الانسان وهذه الحبة ينشعب ساقها الى سبعة شعب ويكون في كل شعب منها سنبلة وفي كل سنبلة مائة حبة كل ذلك بارادة الله وامره والمؤمن اذا اطلع على عهد الله وعرفه لا يتوقف عن الانفاق في سبيل الله ثم يتبع هذه الآية قوله تعالى : —

(الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ماانفقوا منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) .

هذا هو الشرط الثاني للانفاق المرضي عند الله أو أنه شرط لاستحقاق الجزاء وترتبه على الانفاق ، وحاصل هذا الشرط هو ان المنفق انما يكون

(١) سورة البقرة آية ٢٦٢ .

النفاقه مرضيا لله اذا لم يتبعه بالمن والاذى والمن هو الأعتداد بما انفقه من المال واظهار التفضل على الفقير والاذى هو التكلم على الفقير بما يؤذيه من الكلام ، فاذا اظهر المن او الاذى فقد انتفى الشرط ولم يكن النفاقه من الانفاق المقبول عند الله المستحق عليه الجزاء ، اما اذا كان الانفاق واجداً للشرط فان الله قد وعدهم بحفظ الجزاء عنده وهـو خير الحافظين الموفين بوعدهم والجزاء اما ان يكون هو الذي ذكره في الآية السابقة اي الواحد بسبعمائة والمضاعفة لمن يريد او جزاء آخر غير ذلك في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وزيادة على توفيتهم اجرهم انهم آمنون لا خوف عليهم في كل موطن يكون مظنة للخوف وانهم لا يحزنون في كل وقت ومحل يحزن فيه غيرهم وتأكيدا لهذه الآية جاءت بعدها الآية وهي قوله تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم) (١) .

لا يخفى ان الانسان اذا جاءه احد بحاجة وطلب منه قضاء حاجته سواء أكانت الحاجة مالية او غير مالية فلا يخلو المسؤول من احـد صور ثلاث : اما ان يقضي حاجة السائل ولم يتبع ذلك منا ولا اذى فهذه احسن الصور وقد امرنا الله بها في الآية السابقة . واما ان يقضى الحاجة ويتبعها بمن او اذى ، واما ان لا يقضيها وقد ارشدنا الله سبحانه بان عدم قضاء الحاجة ورد السائل ردا جميلا بكلام حسن من غير غضب أو كلمة بذية هو خير من قضائها ثم اتباعها بمن او اذى فانك اذا مننت عليه او آذيته لا تكون الحاجة هنيئة ولا سائغة ويبقى السائل متألما من الصدمة التي اصابته من منك عليه او اذاك له وكلما واجهك او يذكرك تذكر هذه الصدمـــة فيكون ماقتا لك كارها لقاءك واطراء اسمك على مسامعه فاذا صرفته بكلام جميل فان الله قد اخبر عن نفسه بانه « غني حليم » يحلم عليك اذا كنت

(١) سورة البقرة آية ٢٦٣ .

متمكنا من قضاء حاجة اخيك فلم تقضها ولعله يغني ذلك العبد عن الحاجة اليك والى امثالك ، وقد بقيت صورة رابعة غير هذه الصور الثلاث وهي ان يمنع المسؤول السائل ولكن بقول منكر غير معروف ولا مألوف وبأذى من غير صدقة وهذه الصورة يبغضها الله ويعاقب عليها ، ويمجها العقل والعرف .

نسأل الله تعالى ان يجيرنا منها فان الانسان اذا انفق وتصدق ثم اتبع ذلك بالمن والاذى بطلت صدقته فكيف اذا تحقق منه الاذى من غير تقديم الصدقة كما هو صريح الآية الآتية بعد هذه وهي قوله تعالى : —

(يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين (١)) .

لما بين الله في الآيات السابقة ان انفاق المال له ثواب جزيل وانه مضاعف عند الله لا يصيبه خوف ولا حزن كما يصيب غيره فقد عرفنا في هذه الآية بان هذا الجزاء العظيم وان هذا الوعد بعدم الخوف والحزن سوف يفقده المنفق اذا اتبع انفاقه وصدقته بالمن والاذى ، وكذا يفوته الجزاء اذا كان انفاقه رياء لأجل الناس لا لأجل الله ، وقد مثل الله عطاء المنفق الذي يتبعه المن والاذى وعطاء الذي يقصد الرياء من عطائه مثلها بصفوان عليه تراب والصفوان الحجارة الشديدة التى لا ينبت فيها زرع ابدا مهما اصابها من الماء والمطر الغزير وهو الوابل فان الوابل من شأنه وخاصته اذا اصاب الارض الطيبة ان ينبت بها الزرع وكذا جعل الله ثمرة انفاق المال وبذله للمحتاج كثمرة الحبة المبذورة في الارض الطيبة حيث تنبت

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

الحبة الواحدة سبعمائة حبة :

اما اذا كانت الارض التي اصابها الوابل حجارة شديدة فلا اثر للماء فيها ولا فائدة ولا ثمرة ، وكذا المال المنفق اذا لم يكن مشتملا على الشروط المتقدمة فلا فائدة فيه ولا ثمرة تجنى منه فان الله يحذرنا من هذه الخسارة التي ليس لنا فيها فائدة مع ذهاب المال من ايدينا ثم بعد هذا ضرب لنا مثلا لمن ينفق المال حائزاً للشروط التي تؤهله للقبول عند الله :

قوله تعالى : —

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) (١) :

لما بين الله في الآية السابقة ان الانفاق قد يتعقبه مايبطل اجره وجزاءه وهو المن والاذى ويقترن به مايبطل أجره وهو الرياء وان هذا المبطل سواء أكان مقارنا او متأخرا انما هو لاشيء من نفس المنفق وهو يكون في بعض النفوس الحقيرة الخسيسة ذكر في هذه الآية الصنف المقابل لذلك الصنف الحقير وهم الذين ينفقون اموالهم لأجل رضا الله ويثبتون جزاء هذا الانفاق من انفسهم الطيبة ونياتهم الخالصة الطاهرة ولا يبطلونه ببعض تلك المبطلات وان هذا الانفاق الثابت الذي لا يبطل ولا يزول حاله مثل البستان الذي يكون على ربوة من الارض فاذا نزل عليها الوابل تكثر ثمرتها وتتضاعف فان لم ينزل عليها الوابل يكفيها الطل ويكون سببا لتضاعف الثمرة ويمكن ان يكون من مصاديق الوابل تعاقب النفقات بعضها لبعض فتكثر الثمرات وتتضاعف ، والطل عبارة عن النفقات القليلة :

وقد روى عن الامام الصادق (ع) قال : (ما من شيء احب الي

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٥ .

من رجل سلفت مني اليه يد اتبعته اختها واحسنت بها له) : الخبر :

كما ان ذلك الصنف الأول لا يؤثر فيه المطر الا كشف التراب واظهار حقيقته للناظرين (والله بما تعملون بصير) ان كان من الصنف الأول او من الصنف الثاني فان الله يعلمه وهو بصير به لا يخفى عليه .

ثم بين ان اهل الصنف الأول المبطلين لأعمالهم سوف يأتي عليهم يوم يندمون فيه على مافعلوا في الآية ٢٦٦ : (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابها الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (١) .

هذا سؤال انكارى يمثل الله فيه حال الانسان الذى يبطل انفاقه بالمن والاذى او بالرياء ولم يبق له اثراً ينتفع به عند حاجته اليه فانه سيأتى عليه يوم يكون في امس الحاجة الى الصدقة المرضية لله حتى يجازيه عليها بذلك الجزاء الكثير المضاعف وقد مثل الله هذا المبطل لصدقته برجل له بستان حاوية لأنواع النخيل والواع الاعناب وفيها من كل الثمرات التي ينتفع بها الانسان فلما كبر هذا الانسان وضعف عن العمل وله اولاد وذرية كلهم ضعفاء ولا يمكنهم ان يقوموا باى عمل فهو وذريته يعولون على اخذ معيشتهم من هذه البستان ليس له مورد غيرها وبيناهم في هذه الحالة اذ بنار تلتهب بالبستان فتحرقها عن آخرها فيصبح هذا الرجل هو وذريته في غاية الحاجة الى اللقمة حتى يموت جوعا ولو كان موته كموت من في الدنيا اذا انتقل منها لا يحتاج اليها لهان الامر ولكن موته كما ذكره الله تعالى : « يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » (٢) فهو المعذب بما يوجب الموت

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٦ .

(٢) سورة ابراهيم آية ١٧ .

ولا يموت فينبغي للانسان العاقل ان يفكر في هذه العاقبة فلا يبطل انفاقه وصدقاته فتكون حسرة عليه :

وروى عن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) من اسدى الى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام او منّ عليه فقد ابطل الله صدقته :

وروى ابن عباس عن النبي (ص) قال : اذا كان يوم القيامة نادا مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم فاني لا اقبل عملا خالطه شيء من الدنيا واهلها :

قوله تعالى : —

(يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد) (١) :

هذا هو الشرط الثالث من شروط النفقة المرضية لله المقبولة لديه التي يستحق صاحبها عليها الجزاء المضاعف الذي وعد الله به المنفقين ومعنى الآية هو ان الله يأمرنا اذا اردنا ان نعطي شيئا في سبيله وابتغاء مرضاته بان نختار احسن ماعندنا واطيبه فننفقه في سبيله سواء اكانت النفقة واجبة او مندوبة ، ونهانا ان نقصد اخبث ماعندنا وادونه فننفقه فان الله لا يقبل الا الطيب ولا يثيب الا عليه وان ذلك الجزاء الذى وعدنا به انما يكون لما يرتضيه من المال :

وقد روى عن النبي (ص) قال ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب وان هذا الشيء الذى تجعله في سبيل الله لو دفع لك لا تقبله الا ان تتسامح في اخذه او تنقص من سعره فكيف ذلك عقلك على جعله في سبيل الله وترجو من الله العوض اضعافا مضاعفة فينبغى للعاقل

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧ .

الفاهم ان يلتفت الى قوله تعالى : (واعلموا ان الله غني حميد)(١) ويعرف ان الله غني عن افخر الاشياء واطيبها واغلاها واحلاها واثمنها وانما امرنا بالانفاق ليجازينا باضعافه وان هذا العبد الذى يريد ان يتقـرب الى الله بالشيء الردىء سوف تكون عاقبته سيئة ان لم يتنبه ويتدارك امره كما سمعت من القرآن في قصة ابني آدم حيث ان السبب الاولي انهما قربا قربانـا فتقبل من احدهما لانه كان طيبا ولم يتقبل من الآخر لانه كان خبيثا فصار التقرب بالخبيث سببا لخبث المتقرب حتى قتل اخاه فاصبح من النادمين .

ثم ان هذه الآيات الشريفة التي مرت عليك كلها تأمر بالبذل والانفاق وتعد المؤمنين بالجزاء الجزيل والتعويض بالاضعاف المضاعفة فاذا امتثلهـا المؤمن وعمل بها يصبح مقربا لدى الله في الدنيا والآخرة ويكثر ماله ويكون ثريا ، والفقير ينتعش ولا يبقى في حاجة ومسكنة وهذا الامـر لا يروق للشيطان عدو الانسان وبالطبع سوف يوسوس للانسان ويمنعه مهما استطاع من امتثال هذا الامر ولذا نبه الله الانسان وحذره من كيد الشيطان ووسوسته بقوله تعالى : —

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » (٢) .

قال بعض الاعلام : الشيطان فيعال من شطن اذا تباعد فكانه يتباعد اذا ذكر الله تعالى وقيل انه فعلان من شاط يشيط اذا احترق غضبا لأنه يحترق ويغضب اذا اطاع العبد ربه ، قال صاحب المقاصـد ان الشياطين اجسام نارية شأنها القاء النفس في الفساد والغواية بتذكير اسباب المعاصي واللذات والنساء منافع الطاعات وما اشبه ذلك . وقال المجلسي (رحمه الله)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

لا خلاف بين المسلمين في ان الجن والشياطين اجسام لطيفة يرون في بعض الاحيان ولا يرون في بعضها ولهم حركات سريعة وقدرة على اعمال قوية ويجرون في اجساد بني آدم مجرى الدم وقد جعل الله لهم القدرة على التشكل باشكال مختلفة وصور متنوعة كما هو الاظهر من الأخبار والآثار ، وقد نقل المجلسي كلاما من بعض المحققين في كيفية وسوسة الشيطان احببت نقله هنا ليعرف الانسان ذلك فيحترز من الشيطان .

قال : اعلم ان القلب مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الأحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها انواع الصور المختلفة فيترآى فيها صورة بعد صورة او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وان كف عن الاحساس والخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال ، والمقصود ان القلب في التقلب والتأثر دائما من هذه الآثار واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر مايعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى الخواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة .

فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة ثم الرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية ثم النية تحرك الاعضاء ثم الخواطر المحركة للرغبة تنقسم

الى مايدعو الى الشر اعني مايضر في العاقبة والى مايدعو الى الخير اعني ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان يفتقران الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعى الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله عز وجل في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان ، علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لأنوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا .

ثم اللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا ، فان المعانى المختلفة تفتقر الى اسباب مختلفة ، ثم ان الملك عبارة عن خلق خلقه الله من شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق من شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف بالفقر عند الهم بالخير ثم الوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان ، والقلب متجاذب بين الشيطان والملك ، فقد قال النبي محمد (ص) للقلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ، ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا قوله : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) فالقلب متجاذب بين هاتين اللمتين ، وانما يرجح احد الجانبين على الآخر اما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات وأما بمخالفة الهوى والاعراض عن الشهوات فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر

تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ومهما غلب على القلب حب الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومتى انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندى الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم . . الى آخر ماذكر هذا المحقق .

وحينئذ اذا عرف الانسان العاقل كيفية وسوسة الشيطان العدو المبين واطلع على الآيات المتقدمة التي تحث الانسان على البذل والانفاق واراد ان ينفق شيئا من المال وجوبا او ندبا وجاءه الشيطان وقال لـــه اذا أخرجت هذا المال عن ملكك سوف يقل مالك ولعلك تحتاج اليه بعد هذا اليوم فلا تجده فاصرف هذا الفقير المحتاج واحذر ان تكون محتاجا مثله .

فينبغي للعاقل ان يتذكر وعد الله في الثواب الجزيل والفضل الجليل فانه يقول : (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (١) وليركن الى وعد الله الصادق ولا يلتفت الى تخويف الشيطان بالفقـــر وليكن من حزب الله ولا يكن من حزب الشيطان فان حزب الله هم الغالبون المفلحون .

روى عن ابن عباس قال : اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصى والفضل في الرزق ، واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء .

فاذا تمحض القلب لذكر الله في جميع اوقاته وحالاته ولم يبق للشيطان مجال في التصرف به والوسوسة له ترتبت حينئذ على ذلك الفائدة الكبرى ، والثمرة العظمى وهي ماذكرها الله عزوجل بقوله في هذه الآية : —

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب » (١) .

لقد تكاثرت الاقوال في تفسير الحكمة ومعناها واحسن ماقيل في معناها هو (تحقيق العلم واتقان العمل) وبمعناها تعريفها بانها (الأصابة في القول والفعل) وهذا المعنى هو الظاهر منها والمتبادر الى الذهن عند اطلاقها وهو شامل لبقية المعاني التى قيلت في تفسيرها ، فقد قيل في معناها انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وامثاله .

عن ابن عباس قيل انه علم الدين وقيل هو المعرفة بالله وقيل هو الفهم وقيل هو خشية الله وقيل هو القرآن والفقه ، وقيل هو العلم الذى تعظم منفعته وتجل فائدته ، وقيل هو ماأتاه الله الانبياء وامهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه ، وجميع هذه المعاني تدخل في المعنى الذى ذكرناه فانه اعم منها .

نعم اذا قلنا ان الحكمة هى القرآن بما فيه من العلم فانه يكون اعم من ذلك التفسير ولكن علم القرآن يقول مطلق لا يكون إلا عند النبي ووصيه والظاهر من الآيات والأخبار ان الحكمة يعطيها الله لغير النبي كما اعطاها الى لقمان وهو ليس بنبي .

وقد روى عن النبي (ص) انه قال : (ماأخلص عبد لله عزوجل اربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) وقد علمت ان علوم القرآن عند غير النبي والوصي فالحكمة تكون اخص من القرآن وعلى ماذكر من معنى الحكمة من انها تحقيق العلم واتقان العمل او الاصابة في القول والفعل ، انما تتحقق في المرأ اذا كانت جميع مسائله العلمية عن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

تحقيق وتدقيق وجميع اعماله مستندة إلى ذلك العلم التحقيقي لا سيما فيما يتعلق بأمر الدين الذى يكون عليه حسابه في الآخرة فيلزمه التحقيق لئلا يظهر عليه الخطأ والغلط والسهو والتسامح في النشأة الأخرى ، ولا يمكن هناك التدارك والاصلاح ولا ينفع الندم والاعتذار فلا يتحقق معنى الحكمة ما لم يكن تحقيق واتقان واصابة في القول والعمل والأفعال فيما يخص الدين ، اما لو كان الرجل يحسن تدبير دنياه وحدها في جميع امورها ومن جميع نواحيها في السياسة والتجارة والحرث والزرع والتغلب على الأعداء في الحرب وغير ذلك فهل يسمى حكيما اذا لم يكن محققاً في أمر الدين والآخرة ؟

نقول . لا ريب انه لا يسمى حكيما لأن الله تعالى يقول : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) والدنيا المجردة عن الآخـــرة ليست عند الله بخير عنده بكثير (قل متاع الدنيا قليل) فالحكمة التي يؤتيها الله لمن يشاء من عباده انما هي الحكمة في الدين وفيما يتعلق بامر الآخرة ولذا ترى التعاريف المتقدمة التي عرفت بها الحكمة كلها متعلقة بأمر الدين .

وعلى هذا ينبغى للانسان العاقل ان يكون حكيما فيما يدين به الله وان يأخذ اصول دينه الاعتقادية وفروعه العملية عن ادلة قطعية بحكمة وتحقيق واتقان ، ولا يأخذ بما اخذ به ابوه فان ذلك مخالف للحكمة ، فان الدين لا يؤخذ عن الآباء أو الأمهات بل ينبغي للرجل العاقل ان يتحرى الأديان ويختار الدين الحق الذى تثبت احقيته بالأدلة القطعية ، فالرجل المسلم الذي صدق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا عرف ان النبي جاء بدين واحد وطريقة واحدة ورأى هذا الاختلاف في امة محمد (ص) وهذه الفرق الكثيرة المتباينة في طرقها يلزمه ان يفحص عن الطريقة التي امر بها النبي (ص) امته باتباعها ولا يبقى جامداً على طريقة ابيه وأمه حتى يعرف تلك الطريقة بعينها فيتبعها فعليه ان يفحص عن اعلم اصحاب النبي (ص)

من بعده واعرفهم بدينه واتقنهم لأحكام القرآن فان عرف الاعلم وميزه بشخصه حينئذ ينظر في بقية صفاته من التقوى والزهد والشجاعة والرحمة وسائر الصفات الحسنة ، فان عرف اتصافه بها مع كونه اعلم الأصحاب لزمه اتباعه والسير في طريقه ، ثم لا يمكن تشخيص هذا الصحابي المتصف بهذه الصفات الا من قبل النبي (ص) فانه هو وحده الذي يعرفه ويشخصه لنا فاللازم علينا ان نرجع الى ماعينه النبي (ص) في وصف اصحابه حتى يكون عملنا في الأصول والفروع موافقاً لما يريده الله والرسول .

وهذه هي الحكمة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده فاذا تمسك الانسان بالمقدمات المذكورة امده الله تعالى بالحكمة التي بإيتائها يكون قد اوتى خيراً كثيراً .

بقي علينا ان نرجع الى ماذكره الرواة من الأحاديث النبوية المتسالم عليها بين جميع الأمة بعد غض النظر عن كل شيء ، فنقول أول شيء يهمنا هو البحث عن الرجل الذى عنده جميع علوم النبي بحيث يمكنه الجواب عن كل سؤال يوجه اليه من مسلم أو غير مسلم ومن صادق ومن منافق ومن زنديق ومن مشكك فاذا عرفنا هذا الشخص يلزمنا التمسك به والانتفاع بعلمه الذى يوصلنا الى تحقيق واتقان العمل او الى الاصابة في القول والفعل انه قال : انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأت الباب كما في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ والخطيب في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٤٨ وج ٧ ص ١٧٢ وج ١١ ص ٤٨ و ٤٩ .

والحديث الآخر قوله (ص) : (انا دار الحكمة وعلي بابها) كما في صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٤ باضافة قوله (ص) : (فمن اراد الحكمة فليأت الباب فقد عرفنا مما ذكر تواتر الحديث عن رسول الله (ص) ان العلم لا يمكن تحصيله إلا من الباب

وليس المقصود هنا إثبات علم علي فانه لا ينكر وانما الغرض ان الحكمة التي هي الاصابة في القول والفعل لا تحصل الا بالعلم الحقيقي وهو عند من بينه النبي لامته ، ومن جملة فوائد الحكمة معرفة بطلان وعد الشيطان وأمره ومعرفة احقية وعد الله وأمره في الآية المتقدمة على هذه الآية قوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) (١) هذا بالنسبة الى العلم وأما بالنسبة الى التقوى والزهد الذى يقول : (والله لو اعطيت الاقاليم السبع بما فيها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة مافعلت : : الخ) .

وهو القائل لقد رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها ، وأمـا الشجاعة فيكفي منها موقفه يوم الخندق .

تفسير المراغي ج ٣ ص ٤١ كلام المراغي :

(يوتى الحكمة من يشاء) اى انه تعالى يعطى الحكمة والعلم النافع المصرف للارادة لمن يشاء من عباده فيميز به الحقائق من الاوهام ويسهل عليه التفرقة بين الوساوس والالهام :

وآلة الحكمة العقل المستقل بالحكم في ادراك الأشياء بأدلتهـا وفهم الأمور على حقيقتها ومن اوتى ذلك عرف الفرق بين وعد الرحمن ووعد الشيطان وعض على الأول بالنواجذ وطرح الثاني ورائه ظهريا :

وقد فسر حبر الامة عبد الله بن عباس الحكمة بالفقه بالقـرآن أى معرفة مافيه من الهدى والأحكام باسراره وحكمه ومن فقه ماورد في الانفاق وفوائده وآدابه من الآيات لا يكون وعد الشيطان له بالفقر وامره ايـاه بالبخل مانعا له من البذل والانفاق والآية الكريمة رافعة شأن الحكمة بأوسع مالها من المعانى وهادية الى استعمال العقل في اشرف ماخلق له :

(ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) أى ومن يوفقه الله لهذا

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ :

النوع النافع من العلم ويرشده الى هداية العقل وتوجيهه الوجهة الصحيحة فقد هدى الى خيرى الدنيا والآخرة ، فهو يسخر القوى التى خلقها الله له من سمع وبصر وشعور ووجدان في النافع من الأشياء ويعدها لتنفيذ مايرغب فيه : ثم بعدئذ يفوض الأمر الى بارئه الذى فطره وسواه ومنه مبدؤه واليه منتهاه وبهذا لا يستسلم لوساوس الشيطان ولا يقض مضجعه مايجده من مكدرات الحياة وآلامها وما تسوقه اليه من محنها وارزائها اعتقاداً منه ان كل شيء بقضاء الله وقدره وبهذا يستريح باله وتهدأ ثائرته ويجد في قلبه بردا وسلاما لمزعجات الليالي والأيام .

(وما يذكر الا اولوا الالباب) اي لا يتعظ بالعلم ويتأثر به ويجعل الارادة مصرفة خاضعة لمشيئته الا ذووا العقول السليمة والنفوس التي تغوص فى بحر الحقائق وتستخرج منها ماهو نافع في هذه الحياة وبه سعادتها وتجعله سلما ترقى به في معارج الفلاح لتصل به الى خير العقبى حشرنا الله في زمرة اولئك انتهى كلام المراغي .

(في ظلال القرآن ج ٣ ص ٦٢) كلام سيد قطب (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيرا) اوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود واوتي ادراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الامور واوتى البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والاعمال وذلك خير كثير متنوع الألوان ، (وما يذكر الا اولوا الألباب) فصاحب اللب – وهو العقل – هو الذي يتذكر فلا ينسى – ويتنبه فلا يغفل ويعتبر فلا يلج في الضلال وهذه وظيفة العقل ووظيفته ان يذكـر موحيات الهدى ودلائله وان ينتفع بها فلا يعيش لاهيا غافلا فهى معقودة هذه الحكمة يؤتيها الله من يشاء من عباده .

بمشيئة الله سبحانه هذه هي القاعدة الأساسية في التصور الاسلامي رد

كل شيء الى المشيئة المطلقة المختارة ، وفي الوقت ذاته يقرر القرآن حقيقة اخرى ان من اراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فيها فان الله لا يحرمه منها بل يعينه عليها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـــا وان الله لمع المحسنين) ليطمئن كل من يتجه الى هدى الله ان مشيئة الله ستقسم له الهدى وتؤتيه الحكمة وتمنحه ذلك الخير الكثير - وهناك حقيقة اخرى نلم بهـا قبل مغادرة هذه الوقفة عند قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمـركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء) (١) ان امام الانسان طريقين اثنين لا ثالث لهما طريق الله وطريق الشيطان ان يستمع الى وعد الله او ان يستمع الى وعد الشيطـان ومن لا يسير في طريق الله ويسمع وعده فهو سائر في طريق الشيطان ومتبع وعده ليس هنالك الا منهج واحد هو الحق ، المنهج الذي شرعه الله وما عداه فهو للشيطان هذه الحقيقة يقررها القرآن الكريم ويكررها ويؤكد بكل مؤكد كي لا تبقى حجة لمن يريد ان ينحرف عن منهج الله ثم يدعى الهدى والصواب في أي باب ليست هنالك شبهة ولا غشاوة . . . الله . . . : والشيطان : منهج الله أو منهج الشيطان : طريق الله : أو طريق الشيطان ولمن شاء ان يختار (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) لا شبهة ولا غش ولا غشاوة وإنما هو الهدى أو الضلال وهو الحق واحد لا تعدد انتهى كلام سيد قطب ، فتأمل به جيداً حتى تعرف ان الحق واحد وانـه عند من اوتى الحكمة فاعرفه .

تفسير الطبري ج ٣ طبعة ٢ ص ٨٩ كلام الطبري : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولـوا الالباب) :

---

(١) سورة البقرة اية : ٢٦٨ .

يعنى بذلك جل ثنائه : يؤتي الله الاصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة في ذلك منهم فقد اوتي خيراً كثيراً واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به ، ذكر من قال ذلك رواية عن ابن عباس في قوله (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه . ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه وأمثاله

حديث آخر عن قتادة : (يؤتى الحكمة من يشاء) قال : الحكمة القرآن والفقه في القرآن : حديث آخر عن ابي العالية : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) قال الكتاب والفهم فيه : حديث آخر عن مجاهد قوله : (يؤت الحكمة من يشاء) قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه :

وقال آخرون معنى الحكمة الاصابة في القول والفعل - ذكر من قال ذلك حديث عن ابن ابي نجيح قال سمعت مجاهد - قال (ومن يؤت الحكمة) قال الاصابة حديث عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل (يوتى الحكمة من يشاء) قال يؤتى اصابته من يشاء - حديث آخر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد - الكتاب يؤتى اصابته - وقال آخرون - هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حديث - قال ابن زيد : (يؤتى الحكمة من يشاء) العقل في الدين ، وقرأ (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) - حديث آخر عن ابن وهب قال قلت لمالك : وما الحكمة . . قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له انتهى كلام الطبري .

تفسير ابن كثير ج ١ كلام ابن كثير ص ٣٢٢ (يؤتى الحكمة من يشاء) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وامثاله

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا - الحكمة - القرآن يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد يعني بالحكمة الاصابة في القول ، وقال ليث ابن ابي سليم عن مجاهد : (يؤتى الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال ابو العالية الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهني عن ابي عمار الأسدي عن ابن مسعود مرفوعا (رأس الحكمة مخافة الله وقال ابو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال ابراهيم النخعي الحكمة الفهم ، وقال ابو مالك الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد ابن اسلم الحكمة - العقل قال مالك وانه ليقع في قلبي ان الحكمة هو الفقه في دين الله وامر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك انك تجد الرجل عاقلا في امر الدنيا اذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في امر دنياه عالما بامر دينه بصيراً به يؤتيه الله اياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله .

وقال السدي الحكمة النبوة والصحيح ان الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي اعم منها واعلاها النبوة والرسالة اخص ولكن لاتباع الانبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الاحاديث (من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين كتفيه غير انه لا يوحى اليه) رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن اسمعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر وقوله وقال الامام احمد حدثنا وكيع ويزيد قالا حدثنا اسمعيل يعني ابن ابي خالد عن قيس وهو ابن ابي حازم عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله (ص) يقول : (لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه

الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن اسمعيل ابن ابى خالد انتهى كلام ابن كثير .

الدر المنثور ج ١ ص ٣٤٨ كلام السيوطى قولـه تعالى : (يؤت الحكمة) الآية اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والنحاس في ناسخه عن ابن عباس في قوله : (يؤتى الحكمة من يشاء) قال المعرفة بالقران ناسخه منسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله واخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا (يؤت الحكمة) قال القران يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر - واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء) قال ليست بالنبوة ولكنه القران والعلم والفقه - واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس (يؤت الحكمة) قال الفقه في القرآن واخرج ابن جرير عن ابى العالية (يؤت الحكمة) قال الكتاب والفهم به - واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد (يؤت الحكمة) قال الكتاب يؤتى اصابته من يشاء - واخرج عبد بن حميد عن مجاهد (يؤت الحكمة) قال الاصابة في القول - واخرج عبد بن حميد عن قتادة (يؤت الحكمة) قال الفقه في القران واخرج ابن ابي حاتم عن ابي العالية (يؤت الحكمة) قال الخشية لان خشية الله رأس كل حكمة وقرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء واخرج احمد في الزهد عن خالد بن ثابت الربعي قـال وجدت فاتحة زبور داود (رأس الحكمة خشية الرب) - واخرج ابن ابى حاتم عن مكحول قال ان القران جزء من اثنين وسبعين جزءآ من النبوة وهو الحكمة التى قال الله : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً)

واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابي امامة قال قال رسول الله (ص) (من قرأ ثلث القران اعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القـران اعطى نصف النبوة ومن قرأ ثلثيه اعطي ثلثي النبوة ومن قرأ القران كله اعطى النبوة ويقال له يوم القيامة اقرأ وارقه بكل آية درجة حتى ينجز مامعه من القران فيقال له اقبض فيقبض فيقال له هل تدري ما في يديك فـاذا في يده اليمنى الخلد وفي الاخرى النعيم) اقول : ان هذا الحديث الدال على استحقاق قاريء القران الدرجات في الجنان انما يدل اذا كان القاريء عاملا بمضمون الآيات والا فالقرائة وحدها لا تكفي كما تقدم من الرواية عن ابن عباس ان القرآن يقرأه البر والفاجر اما الذي يكون عنده من النبوة بمقدار مايقرأه من القرآن اما الثلث او النصف او الثلثان او الكل فهـو الذي يقرأه ويعرف تفسيره وتأويله ويعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهـه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله فاذا عرف جميع ما يتعلق بالقرآن فهو لا ينقص من النبوة إلا الوحي (وهو الفرق بينه وبين النبي) ثم قال في الدر المنثور ص ٣٤٩ واخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله (ص) قال من قرأ القرآن فقد استدرج النبـوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه ومن قرأ القران فرأى ان احـداً اعطى فضل مما اعطى فقد عظم ماصغر الله وصغر ماعظم الله وليس ينبغي لصاحب القرآن ان يجد مع من جد ولا يجهل مع من جهل وفي جوفـه كلام الله انتهى كلام السيوطي .

تنبيه : —

لقد تبين وتحقق من الآية الشريفة ومما ذكره المفسرون من تفسـير الحكمة ان الحكمة اهم شيء واعظم شيء يتصف به العباد بعد النبوة وان من يتصف بها ينبغي لسائر الناس ان يأتموا به ويكتسبوا من الأحكام والآداب

والأخلاق في زمان فقدان النبي وان العقل السليم يحكم ويحتم على صاحبه ان يفحص ويفتش عمن اعطى الحكمة ليقتدي به في اعماله حتى يكون ذلك عذرا له يوم يوقف للحساب بين يدي الله فيسأله عن امامه الذي اقتدى به في الدنيا فان الله يقول : (يوم ندعو كل اناس بامامهم) (١) فان الحكمة قد فسرت بتفاسير كثيرة وكل تفسير منها يدل على ان المتصف بها لا يقول شيئاً ولا يفعل شيئا الا الحق الصحيح الموافق لارادة الله والموجب لمرضاته فينبغي لطالب الرشد والتارك للغى المتبعد عنه ان يتأمل في كل تفسير فسرت به ليعرف انه مكلف بمتابعة المتصف بها فقد ذكرنا تفسيرها فيما تقـدم فمن ذلك انها :

١ : ـ العلم النافع المصرف للارادة ،

٢ : ـ الفقه بالقرآن أي معرفة مافيه من الهدى والاحكام .

٣ : ـ ادراك العلل والغايات والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب .

٤ : ـ الاصابة في القول والفعل .

٥ : ـ القرآن والفقه به .

٦ : ـ المعرفة بالقران ومثله الكتاب والفهم به .

٧ : ـ القرآن والعلم والفقه .

٨ : ـ المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله .

٩ : ـ يؤت الحكمة اصابته ،

١٠ : ـ العلم والدين .

١١ : ـ العقل في الدين .

---

(١) سورة الاسراء اية ٧٠ .

١٢ : — المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له .

١٣ : — تفسير القرآن .

١٤ : — العلم والفقه والقرآن .

١٥ : — خشية الله .

١٦ : — الكتاب والفهم .

١٧ : — الفقه في دين الله .

١٨ : — امر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله .

١٩ : — الكتاب يؤتي اصابته من يشاء .

فكل واحد من هذه المعاني اذا انطبق على شخصية واتصفت به يكون المتصف مصيبا في جميع اقواله وافعاله لا يخطي فيها ولا يزل لان الله هو الذي يؤتيه هذه الحكمة التي يتبعها الخير الكثير فهو في كل حركة وسكون وتكلم وسكوت يكون تابعا لارادة الله سائراً على الطريق الذي امر به الله وان الذين يتصفون بها هم الناس معدودون ذكرهم الله تعالى في ايات عديدة من القرآن يأتي التنبيه عليها في محلها فمنها الآية في سورة آل عمران قوله : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) ولا تقبل دعوى من يدعي الحكمة الا ان تقرن بحجة تصدقها مثلا ان ائمة أهل البيت الذين امر رسول الله امته ان يتمسكوا بهم وقرنهم بالكتاب وجعلهم كسفينة نوح فان هؤلاء الأئمة قد اعلنوا للناس اعلانا عاما وقالوا لهم ان الحديث الذي يأتيكم عنا ان كان مطابقا للقرآن فخذوا به وان لم يكن مطابقا للقرآن فاوكلوه الى الذي جاء به وكانوا في كل مسألة من المسائل الاعتقادية والعملية اذا طلب منهم الدليل يستدلون اما بآية من القرآن او بحديث عن النبي (ص) مسلم الصدور فمن كان بهذه المرتبة يسند كل اقواله وافعاله الى الكتاب او السنة فانه ممن اوتي الحكمة وينبغي للمؤمن متابعته والاقتداء به .

فهذه الآية الشريفة هي احدى الآيات الكثيرة التي ترشد الناس إلى طريق الهداية وكيفية الاهتداء ولكن الناس لشدة جهلهم وكثرة ميلهم إلى اللعب واللهو لا يلتفتون ولا يدققون النظر في معنى الآية فلا ينتفع بها إلا ذوا العقل السليم وقد صرح لنا الله بهذا حيث قال : (وما يذكر الا اولوا الألباب) (١) فينبغي لذي اللب ان يتأمل ويدقق ليعرف المقصود والمراد من الاية فيعمل به ويكون معدودا من اولي الألباب عند الله لا عند الناس .

تنبيه لذي اللب : —

هذه الحكمة التي ذكرها الله ومدحها مدحا عظيما وجعل الخير الكثير تابعا لها وساثراً في ركابها وانه يعطيها لمن يشاء وانما يعطيها لمن يتطلبها ويعمل لتحصيلها ولا يعطيها لمن لا يريدها فان اعطاءها لمن لا يريدها او لا يعرف قدرها يعد ظالما لها والله عز وجل منزه عن الظلم . وقد روى ان عيسى بن مريم قام خطيباً في بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا يستحق الحكمة صاحب العلم الكثير ما لم يكن عاملا بعلمه . قال الامام الصادق (ع) لهشام يا هشام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار لأن الله تعالى جعل التواضع آلة العقل وجعل التكبر من آلة الجهل ، الم تعلم ان من شمخ الى السقف رأسه شجه ومن خفض رأسه استظل تحته واكنّه فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه الله . فصاحب العلم اذا عرف الحق في جهة ولم يعلن ذلك للناس كان ظالما والله لا يعطى الحكمة للظالم .

وروى عن النبي (ص) قال من سأل عن علم فكتمه حيث يجب اظهاره ونزول عنه التقية جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار ، واذا كان

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

صاحب العلم معتنقاً احد المباديء الدينية وعرف ان الحق خلاف ذلك يحتم عليه علمه ان يترك ماهو عليه ويلتزم جهة الحق فاذا بقي على ماكان عليه مما علم بطلانه فهو اذن متكبر على حكم الله والله لا ينبت الحكمة في قلب المتكبر لان الحكمة انما تكون في مكان سهل نقي ليس فيه ما ينافيها وقد لبهنا الله الى هذا الشرط بقوله : (وما يذكر إلا اولوا الألباب) فلا تنفع كثرة العلم ما لم تكن معه حكمة ترشده إلى أخذ العلم من منابعه الحقيقية ويناسب مقامنا ما قاله ابن سينا :

هذب النفس بالعلوم لترقى وخذ الكل فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعلـــــم ضياء وحكمة الله زيت
فـاذا اشرقت فانك حي واذا اظلمت فانـك ميت

وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى : (اولوا الألباب) ذوا العقول الخالصة عن شائبة الوهم فالحكمة التي يؤتيها الله من يشاء هى نور يقذفه الله في قلب عبده الذي سعى في تحصيلها وبهذا النور يتوصل العبد إلى العلوم التي تكشف عن دين الله الحقيقي بواسطة سفرائه الذين عينهم للناس كالأنبياء وأوصيائهم وليس للخلق ان يعينوا السفير الآلهي من أنفسهم : (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (١) فقد تحصل مما ذكرناه فى هذه الآية الشريفة : – ان الحكمة لا تحصل إلا لذي العقل الخالص عن شائبة الوهم فمن اتخذ آلهه هواه فانه يعبد الهوى ومن اختار شخصاً وجعله منفذا لأحكام الله ولم يحصل الاذن من الله لهذا الشخص ولم يعطه الله علم القرآن واحكامه بواسطة الملك وبواسطة النبي فيكون هذا الشخص آمراً وناهيا على مايقتضيه فهمه القاصر من القرآن فان هذه العبادة غير مرضية لله لانها غير مستمدة من الله اذ الطريق الذى سلكوه غير الطريق الذي عينه الله وهذه الأعمال

(١) سورة النور آية ٤٠ .

ليست مبنية على الحكمة ، فالسالك في هذه الطرق اما ان يكون قد عرف خطأها وسلكها متعمدا لأجل الدليا الدنية وأما ان يكون غير عالم بالخطأ وهو العامى غير العالم كما ان الأول هو العالم والثاني مخدوع بالأول وكلا النوعين يدخلان في مضمون قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) :

فالأول غرضه الدليا لان الشيطان يخوفه بالفقر في ترك ما هو عليه :

والثاني يأمره الشيطان بالفحشاء لاتباعه للاول فلا تكون لهم عقول خالصة عن الشوائب وانما تكون عقولهم مشوبة لجميع الأوهام الدليوية فلم يحصل لهم من الحكمة شيء ابدا لانهم بنوا دينهم على اساس غير رشيد بعد ما تبين لهم : (الرشد من الغى) .

تكملة لا بد منها : — لا يخفى على المطلع البصير ان العلم الموجود عند سائر الناس الما هو مقول بالتشكيك وهو يختلف بحسب الأشخاص قلة وكثرة فالنبي (ص) يكون اعلم الناس في جميع الأمور حتى لا يحتاج إلى أحد في علم من العلوم او في شيء من الأشياء فمن كان اقل علما يلزمه الرجوع إلى الأعلم منه حتى يصل إلى الحقيقة وإلا اذا بقي جامداً على ما عنده من العلم يقصر عن الوصول إلى الحقيقة في أكثر الأمور الدينية ، وهذا أمر واضح لا ريب فيه وكذلك يكون الأمر في الحكمة فمن الناس من يكون حكيما في جميع الأمور وهذه درجة الأنبياء فان الله يلهمهم الحكمة المطلقة ويجعلهم ساسة الناس في امور الدين والدنيا ويلزم على الناس الرجوع اليهم في امور دينهم وفيما يقع بينهم من التخاصم والتنازع والجدال ليحكموا بين الناس بالعدل والقسط فكل من امتنع من الرجوع اليهم دل امتناعه على عدم ايمانه : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (١)

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

فالمرجع الذي يؤخذ منه العلم وتقتبس منه الحكمة هو النبي (ص) في ايام حياته وأما بعد رحلة النبي من الدنيا فلا خلاف بين أهل العلم والدين ان اعلم الناس بعد النبي هو علي بن ابي طالب (ع) وهو احكم الناس ايضا ولا يخالف في هذا إلا مكابر أو جاهل :

ذكر المحب الطبري في ذخائر العقبي ص ٦٣ عن البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص) : (علي مني بمنزلة رأسي من جسدي) ولا يخفى ما في هذا البيان من البلاغة العظيمة فان الغرض من بعثة النبي (ص) هو التبليغ والارشاد بالكلام وهو في الرأس وان يكون شاهدا على امته في الدنيا ليشهد عليهم في الآخرة والشهادة تكون بالسمع والبصر وهما في الرأس والحواس الخمس مجتمعة في الرأس فكأنه يقول علي لنفسي لا ينقصه شيء سوى الوحي وإلا فهو مثلي في كل شيء فالنبي قد ابان لنا بهذه الكلمة ان الغرض الذي بعثه الله من اجله يحصل بوجود علي بين اظهرنا : ولقد تحرك القلم ليكتب شيئا من فضائل علي فذكرت ما كتبته قبل هذا من وجود كتب كثيرة في فضائله . وقال المحب الطبري ص ٧٧ عن انس بن مالك قال كنت عند النبي (ص) فرأى عليا مقبلا فقال يا انس قلت لبيك قال هذا المقبل حجتي على امتي يوم القيامة وذكر في ص ٨٣ عن انس ان النبي قال : (اقضى امتي علي) وعن عمر بن الخطاب قال : (اقضانا علي) فمن ترك الأعلم الافضل واتبع المفضول فقد ترك حكمة الله واتبع هواه فلا يضر إلا نفسه :

روى في الاحتجاج عن سعيد بن ابي الخصيب قال دخلت انا وابن ابي ليلى المدينة فبينا نحن في مسجد الرسول (ص) إذ دخل جعفر بن محمد (ع) فقمنا اليه فسألني عن نفسي واهلك ثم قال من هذا معك فقلت ابن ابي ليلى قاضي المسلمين فقال نعم ثم قال له تأخذ مال هذا فتعطيه

هذا وتفرق بين المرأ وزوجه لا تخاف في هذا احدا قال نعم قال باي شيء تقضي قال بما بلغني عن رسول الله (ص) وعن ابي بكر وعمر قال فبلغك ان رسول الله قال : (اقضاكم علي) قال نعم قال فكيف تقضي بعد قضاء علي وقد بلغك هذا قال فاصفر وجه ابن ابي ليلى قال للتمس زميلا لنفسك والله لا اكلمك من رأسي كلمة ابدا .

وقد وردت روايات عن معادن الحكمة وأهل بيت الوحي في تفسير الحكمة وما يترتب عليها من الفوائد لذكر بعضها هنا تبصرة لطالب الحكمة :

روي عن النبي (ص) قال ان الله تعالى آتاني القـرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا ألا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا جهلاء .

وعن الكافي ان النبي (ص) كان ذات يوم في بعض اسفاره إذ لقيه ركب فقالوا السلام عليك يارسول الله فالتفت اليهم وقال : ما انتم فقالوا مؤمنون قال فما حقيقة ايمانكم قالوا الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله ، فقال رسول الله (ص) علماء حكماء كادوا ان يكونوا من الحكمة انبياء فان كنتم صادقين فلا تبنوا مـا لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون .

وروى عن الصادق (ع) قال الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق ، وما انعم الله على عبد من عباده لنعمة انعم واعظم وارفع واجزل وابهى من الحكمة : قال الله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الألباب) (١) اي لا يعلم ما اودعت وهيأت في الحكمة الا من استخلصته لنفسي وخصصته بها والحكمة هي الثبات وصفة الحكيم الثبات عند اوائل الأمور والوقوف

(١) سورة البقرة آيه ٢٦٩ .

عند عواقبها وهو هادي خلق الله تعالى قال رسول الله (ص) لعلي : لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباد الله خير لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها الى مغاربها .

وفي وصية موسى بن جعفر لهشام بن الحكم واعلموا ان الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن فعليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه غيبة عالمكم من بين اظهركم .

وفي وصية لقمان لابنه يابني تعلم الحكمة تشرف بها فان الحكمة تدل على الدين وتشرف العبد على الحر وترفع المسكين على الغني وتقدم الصغير على الكبير ، وتجلس المسكين مجالس الملوك ، وتزيد الشريف شرفا والسيد سؤددا والغني مجدا وكيف يظن ابن آدم ان يتهيأ له امر دينه ومعيشته بغير حكمة ولن يهيء الله عز وجل امر الدنيا والآخرة إلا بالحكمة ، ومثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بغير نفس ومثل الصعيد بغير ماء ، ولا صلاح للجسد بغير نفس ولا للصعيد بغير ماء ولا للحكمة بغير طاعة ، قال في النهاية وفي الحديث الكلمة الحكمة ضالة المؤمن وفي رواية ضالة كل حكيم اي لا يزال يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته . انتهى .

وقال بعض شراح الحديث المراد ان المؤمن يأخذ الحكمة من كل من وجدها عنده وان كان كافراً او فاسقا كما ان صاحب الضالة يأخذها حيث وجدها . وقد روى عن عيسى بن مريم مثل هذا المعنى وهو اخذ الحكمة فمن وجدت عنده وقد روى ذلك الامام موسى بن جعفر في ضمن وصيته الجليلة لهشام ابن الحكم حيث يقول في اولها .

ياهشام ان الله تبارك وتعالى بشر اهل العقل والفهم في كتابه فقال : (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم

الله واولئك هم اولوا الألباب) (١) هذه الفقرة ذكرناها لارتباطها بالموضوع وهو مدح اولوا الالباب ثم يتدرج في وصيته الى ان يقول :

ياهشام ان المسيح عليه السلام قال للحواريين بحق اقول لكم لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لأستضأتم به ولم يمنعكم منه ريح لتنة كذلك ينبغي لكم ان تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها بحق اقول لكم ان الناس في الحكمة رجلان فرجل اتقنها بقوله وصدقها بفعله ورجل اتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله فشتان بينهما فطوبى للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول بحق اقول لكم لا يغنى عن الجسد ان كان ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً كذلك لا تغنى اجسادكم التي قد اعجبتكم وقد فسدت قلوبكم وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم .

يكفي ما ذكرناه من الأخبار في تفسير الحكمة ومنافعها لمن يتطلبها حقا فانه اذا تأمل في هذه الأخبار عرف كيف يعبد الله وكيف يطيعه فان الركب الذي لقى النبي فسألهم عن حقيقة ايمانهم كان جوابهم الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله فان امر الله لا يمكن التوصل اليه إلا بواسطة من يعرفه بحقيقته ولا يعرفه الا من يعينه النبي من بعده علما للأئمة وهذه الأخبار كلها تحث الانسان على ان تكون اعماله كلها مبنية على الحكمة سواء اكانت دنيوية او اخروية ، وقد يتسامح بالامور الدنيوية التى هي بعيدة عن الدين فلا يدقق فيها فانها ان ظهرت مخالفة للحقيقة فلا تسبب الا فوات شيء من المال اما امور الدين فلا ينبغى للعاقل الرشيد التسامح بها ويلزمه ان يكون حكيما في اختيارها لئلا يقع في خلاف الواقع المطلوب منه لان الله كلف

(١) سورة الزمر آية ١٧ .

عبـــده باقامة الدين وهو عند الله شيء محدود مشخص لا يتبدل ولا يتغير ولا يكون برأي احد من البشر مهما كان من العلم والعقل فانـه منزل من الله على نبيه الأكرم والنبي (ص) هو الذي كان يعلم الناس :

وأما بعد رحلته فقد اوصى النبي (ص) امته ان يتمسكوا بالثقلين كتاب الله وعترته اهل بيته وان المتمسك بهما لن يضل وانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض : فان هذا الحديث لتواتره وشهرته بين جميع العلماء يمكن الاكتفاء به لبعض الناس المطلعين والعارفين بعلماء العترة اذ ليس المقصـود جميع العترة فمن كان يعرف العلماء من العترة يتمسك به واما من لم يعرف ذلك فيمكنه الرجوع الى الأخبار المفصلة فقـد رويت عن النبي (ص) احاديث تعين وتسمي لنا اشخاصاً وتأمرنا بالرجوع اليهم والأولى ذكـر بعض هذه الأخبار تنويراً للقاريء فمن ذلك ما ذكـره الحافظ سليمان ابن ابراهيم القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٥٢٩ واني اذكر لك نص عبارته على طولها لان ذكرها لا يخلو من فائدة قال : —

الباب السادس والسبعون في بيان الائمة الاثنى عشر باسمائهم قال : وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال قدم يهودي يقال له نعثل قال يامحمد اسألك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين فان اجبتني عنها اسلمت على يديك قال سل ياابا عمـارة فقال يامحمد صف لي ربك فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصف الا مـا وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول ان تدركه والأوهام ان تناله والخطرات ان تحده والأبصار ان تحيط به جل وعلا عما يصفـه الواصفون ناء في قربه قريب في نأيه هو كيّف الكيف وايّن الأين فلا يقال له اين وهو منزه عن الكيفية والاينونية فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون وصفه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، قال

صدقت يامحمد : فاخبرني عن قولك اله واحد ولا شبيه له اليس الله واحد والانسان واحد :

فقال صلى الله عليه وآله : الله عز وعلا واحد حقيقي احدّي المعنى اي لا جزء ولا تركب له ، والانسان واحد ثنائي المعنى مركب من روح وبدن قال صدقت ، فاخبرني عن وصيك من هو فما من نبي الا وله وصي وان لبينا موسى بن عمران اوصى الى يوشع بن نون فقال : ان وصيي علي بن ابي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة ائمة من صلب الحسين قال يامحمد فسمهم لي قال اذا مضى الحسين فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه جعفر فاذا مضى جعفر فابنه موسى فاذا مضى موسى فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه علي فاذا مضى علي فابنه الحسن فاذا مضى الحسن فابنه الحجة المهدي فهؤلاء اثني عشر :

قال اخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين قال صلى الله عليه وآله وسلم يقتل علي بضربة على قرنه والحسن يقتل بالسم والحسين بالذبح قال فاين مكانهم قال في الجنة في درجتي . قال اشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله واشهد انهم الأوصياء بعدك ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة وفيما عهد الينا موسى بن عمران (ع) انه اذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له احمد ومحمد وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده فيكون اوصياؤه بعده اثني عشر اولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانا اخوين من ولده وتقتل امة النبي الأول بالسيف والثاني بالسم والثالث مع جماعة من اهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات اهل بيته وذريته ولأخراج محبيه واتباعه عن النار وتسعة الأوصياء منهم من اولاد الثالث فهؤلاء الاثني عشر عدد الأسباط : قال صلى الله عليه وآله وسلم اتعرف الاسباط ؟ قال نعم كانوا اثني عشر

اولهم لاوى بن برخيا وهو الذى غاب عن بني اسرائيل غيبة ثم عاد فاظهر الله به شريعته بعد اندراسها وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك ، قال صلى الله عليه وآله كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذه بالقذه وان الثاني عشر من ولدى يغيب حتى لا يرى ويأتي على امتي زمن لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا يبقى من القرآن الا رسمه فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الاسلام به ويجدده طوبى لمن احبهم وتبعهم والويل لمن ابغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهداهم فأنشأ نعثل يقول :

صلى الاله ذو العلى ... عليك ياخير البشر
انت النبي المصطفى ... والهاشمي المفتخر
بكم هدانا ربنا ... وفيك نرجو ما امر
ومعشر سميتهم ... ائمة اثنى عشر
حباهم رب العلى ... ثم اصطفاهم من كدر
قد فاز من والاهم ... وخاب من عادى الزهر
آخرهم يسقى الظما ... وهو الامام المنتظر
عترتك الأخيار لي ... والتابعين ما امر
من كان عنهم معرضا ... فسوف تصلاه سقر

وقد وردت اخبار كثيرة تدل على ان الخلفاء بعد النبي (ص) اثني عشر كلهم من قريش وهذا ينطبق على قول الامامية لان غيرهم اما يقول بان الخلفاء اربعة او خمسة بادخال الحسن بن علي معهم واما ان يقول باكثر من اثني عشر بجعل بني امية وبني العباس من الخلفاء ، فمن تلك الأخبار ماذكره (البخارى في كتاب الأحكام) فقد روى بسنده عن جابر بن سمرة قال سمعت النبي (ص) يقول يكون اثنى عشر اميراً فقال كلمة لم

اسمعها فقال ابي انه قال كلهم من قريش وبهذا المعنى روايات كثيرة وان اختلفت في بعض المهات ففي بعضهـا اثنا عشر خليفة . وفي بعضهـا كلمة امام وفي بعضها وصى وذكره مسلم في صحيحه في كتاب الامارة في باب الناس تبع لقريش فانه روى بسندين عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع ابي على النبي (ص) فسمعته يقول ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بكلام خفى علي قال فقلت لابي ماقال فقال : قال كلهم من قريش (ورواه الترمذى بسندين عن جابر بن سمرة ج ٢ ص ٢٥) (وذكره ابن حجر في الصواعق المحـرقة ص ١١٢) (وروى في مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٠١) عن مسروق قال كنا جلوسا ليلة عند عبد الله يقرؤنا القرآن فسأله رجل فقال ياابا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة فقال عبد الله ماسألني عن هذا احد منذ قدمت العراق قبلك قال سألناه فقال (اثنا عشر عدة نقباء بني اسرائيل) .

ورواه احمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨٩ و ص ٤٠٦ . ورواه كثير غير هؤلاء وفي بعض الروايات بدل قوله (كلهم من قريش) كلهم من بني هاشم كما ذكره القندوزى في ينابيع المودة – الباب السابع والسبعون ص ٥٢٢) . عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : كنت مع ابي عند النبي (ص) فسمعته يقول بعد اثني عشر خليفة ثم اخفى صوته فقلت لابي ما الذى اخفى صوته قال قال : كلهم من بني هاشم (ينابيع المودة باب ٧٦ ص ٥٢٠ .

قال وفي بعض المناقب عن واثلة بن الأسقع بن قرخاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله (ص) فقال يامحمد اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا

يعلمه الله ؟ فقال (ص) اما ما ليس لله فليس لله شريك واما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد واما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يامعشر اليهود ان عزيراً ابن الله والله لا يعلم انه له ولد بل يعلم انه مخلوقه وعبده فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقاً وصدقا ثم قال انى رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران (ع) فقال ياجندل اسلم على يد محمد خاتم الانبياء واستمسك باوصيائه من بعده فقلت فلله الحمد اسلمت وهداني بك ، ثم قال اخبرني يارسول الله عن اوصيائك من بعدك لأتمسك بهم قال (ص) اوصيائي الاثنى عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة ، وقال يارسول الله سمهم لي فقال اولهم سيد الاوصياء ابو الائمة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين فاذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه فقال جندل وجدنا في التوراة وفي كتب الانبياء (ع) ايليا وشبرا وشبيرا فهذه اسماء علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما اسماؤهم قال اذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزين العابدين فبعده ابنه محمد ويلقب بالباقر فبعده ابنه جعفر ويلقب بالصادق فبعده ابنه موسي يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي يدعى بالرضا فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي فبعده علي يدعى بالنقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة ثم يخرج فاذا خرج يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم اولئك الذين وصفهم الله في كتابه (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) ثم قال تعالى (اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم الغالبون) :

فقال جندل الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم ثم عاش الى ان كانت

ولادة علي بن الحسين (ع) فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبنا وقال اخبرني رسول الله (ص) ان يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة .

لقد سمعت وصف رسول الله للركب الذين سألهم عن حقيقة دينهم فاجابوه بانهم الراضون بقضاء الله والمسلمون لامر الله فوصفهم النبي بالعلماء والحكماء . اخي تثبت ودقق وحقق وسر في الطريق برشد وحكمة حتى تصل الى المطلوب ان كنت تريده اما الذي لا يريده فلا يهمك امره عالما كان او جاهلا .

فقد روى عن رسول الله (ص) انه قال : (لا قول الا بعمل ولا قول ولا عمل الا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية الا باصابة السنة) . تأمل جيدا في هذا الكلام وهو كلام النبي الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهو بهذه الجملة المختصرة يرسم لامته قانونا ونظاما يسيرون عليه الى يوم القيامة فمن تخلف عنه فلا يضر الا نفسه ومن اراد اتباع النبي والسير على سنته يلزمه التمسك بهذا النظام ، ومفاد هذه الجملة موضحا مبسوطا ليتجلى معناها هو ان الانسان اذا شهد الشهادتين فقال :

اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . واعترف وشهد بالعدل والبعث والحساب والصراط والجنة والنار واعترف بوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك من الواجبات واعترف بحرمة جميع المحرمات فهذا الاعتراف باللسان . والقول المجرد لا ينفع شيئا ما لم يكن معه عمل مطابق للقول ، فاذا قال الصلاة واجبة وكرر هذه العبارة في كل يوم وفي كل ساعة مئات المرات لا يفيده شيئا ما لم يؤدي الصلاة فاذا اعترف بوجوبها واداها بأن صلى الفرائض الخمس في كل يوم وليلة ولكن كانت صلاته بلا نية منه بان يستقبل القبلة ويكبر ويأتي بركعتين وقت صلاة الصبح وكذا

يأتي باربع ركعات وقت الظهر وكذا العصر والمغرب والعشاء كل ذلك بلا نية منه لاداء الفريضة الواجبة تقربا الى الله فهذا ايضا لا ينفعه شيئا ولا يكون مصليا ولا يعد مؤديا للفريضة :

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي ان يعترف الانسان بوجوب الصلاه ثم يأتي بالصلاة وهي مشتملة على النية المعينة للفريضة متقربا بها الى الله تعالى ولكنه لا يصيب السنة بحيث لا يأخذ احكام دينه من واسطة عالمة باحكام العبادة التي امر بها النبي مستمداً من الوحي السماوي فهذا ايضا لا ينفعه كما هو صريح كلام النبي فاذا اتى بعبادة وهي ناقصة جزءاً او زائدة جزءاً او متقدمة عن وقتها المضروب لها لا ينتفع بعبادته لانها لم تصب السنة ولا يكون الوزر الا على صاحبها اذ انه لم يجتهد لدينه كما يجتهد لدنياه فان عليه ان يأخذ احكام دينه ممن عينه له النبي في قوله : (انا مدينة العلم وعلي بابها) فان اللازم على العاقل ان يأخذ احكام دينه ممن يوثق به وتركن اليه النفس في صدقه وعدالته وورعه ، اما الذى لا يتورع في روايته كابي هريرة وامثاله فلا يجوز ان يعول عليه في شيء من امور الدين ولا من غيره وقد كشف البحث والتنقيب عن كذبه في الرواية عن النبي فانظر في كتاب شيخ المضيرة محمود ابوريه لتعرف ماقيمة ابي هريرة فينبغي اخذ احكام الدين عن اصحاب النبي الموثوقين اهل التقوى والدين الذين لم يرتكبوا ذنبا ولا معصية قط لا في حياة النبي (ص) ولا بعده واما الذي ارتكب معصية ولم يتب منها فان النفس لا تطمئن اليه ولا يعذر من يأخذ منه احكام الدين فمن اخذ احكام دينه منه لم يصب السنة فكان عمله هباء منثورا .

قوله تعالى : —

(ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير

لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير) (١) :

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية صفتين من صفات الصدقة بعد ما ندبهم اليها وحثهم عليها في هذه الآيات العديدة وذكر صفاتها التي تكون سببا لقبولها والتي تكون سببا لبطلانها وعدم قبولها عند الله وهنا ذكر ان الصدقة وهي المال الذي ينفقه المسلم طلبا لمرضات الله اما ان تكون بادية اى يجاهر بها المنفق ويدفعها لمستحقها امام الناس واما ان يخفيها ويتكتم بها ولا يدفعها امام الناس ، وذكر ان ابداءها والتظاهر بها حسن (فنعما هي) وان التكتم بها واخفاءها فهو افضل واكثر خيرا وقد ورد في الأخبار ان الصدقة الواجبة كالزكاة ينبغي ابداءها واظهارها لئلا تتهم بعدم ادائهـا والصدقة المندوبة ينبغي اخفاءها والتكتم بها فراراً عن الرياء وعما يخطر في القلب من ذلك :

وقد روى عن ابى جعفر (ع) قال : (البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء) وكان علي بن الحسين يقول : (ان صدقة السر تطفيء غضب الرب كما يطفيء الماء النار فـاذا تصدق احدكم فاعطى بيمينه فليخفها عن شماله) . وعن الامام الباقر (ع) لما غسل اباه عليا نظروا الى مواضع المساجد من ركبتيه وظاهر قدميه كأنها مبارك البعير ونظروا الى عاتقه وفيه مثل ذلك فقالوا لمحمد يابن رسول الله قد عرفنا هذا من ادمان السجود فما هذا الذي نرى على عاتقه ؟ قال اما لو لا انه مات لما حدثتكم ، كان لا يمر به يوم الا اشبع به مسكينا فصاعدا ما امكنه واذا كان الليل نظر الى مافضل عن قوت عياله فجعله في جراب فاذا هدأ الناس وضعه على عاتقه وتخلل المدينة وقصد قوما لا يسألـون الناس الحافاً وفرغه فيهم من حيث لا يعلمون من هو ولا يعلم بذلك احد

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧١ .

من اهله غيرى فاني كنت اطلعت على ذلك منه يرجو بذلك فضل اعطاء الصدقة بيده ودفعها سرا .

وروى عن بعض اهل المدينة قال ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي ابن الحسين (ع) وكان في المدينة كذا وكذا بيتا يأتيهم رزقهم وما يحتاجون اليه لا يدرون من اين يأتيهم فلما مات زين العابدين (ع) فقدوا ذلك فصرخوا صرخة واحدة وقد صرحت الآية ان الذى يخفي صدقته يكفر الله عنه من سيئاته حيث ان الله خبير بما نعمله .

قوله تعالى : — (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجـه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون) (١) .

لما انزل الله تعالى على رسوله الآيات العديدة التي رغبت المؤمنين على بذل المال وحثتهم على الانفاق ووعدتهم بالجزاء الجزيل والثواب العظيم المضاعف وفي ضمن هذه الآيات ذكرت الحكمة التى هي احسن شيء يحظى به المؤمن وان الله يؤتيها من يشاء فمن يؤهل نفسه لها باخلاص النية وتصفية القلب والاستمداد من الله فى جميع الامور والاعراض عما سوى الله ورسوله ومن يرتضيانه وقد بين الرسول الأكرم جميع هذه الامور لامته فاتصف بعضهم بهذه الصفات النبيلة فاقر الله الحكمة في قلبه وجرت على لسانـه وبعضهم يظهر للناس انه متصف بها ولكن قلبه مغشوش فاسد وبعضهم بقى على ما هو عليه من النفاق وهذا مما يأسف لـه الرسول الكريم الذي يريد الخير لعموم البشر ولا يحب ان يكون في امته نقص ولو في جـزء واحد منها وهو يعرف هؤلاء المنافقين كما عرفه الله في قوله :

(ولتعرفنهم في لحن القول) فكثر وجده وزاد اسفه فاراد الله تسليته

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ .

بهذه الآية الشريفة وان هدايته الناس انما هي بيد الله ولا يقدر عليها احد غير الله ثم بين الله عز وجل لمن تأثر بالآيات فالنفق المال ولمن لم يتأثر فلم ينفق شيئا وانفقه رياء او اتبع الانفاق بالمن والاذى عرفهم جميعا ان هذا الانفاق الذى يتحقق منهم انما يعود نفعه عليهم ويخص انفسهم فقط اذا كان خالصا لله تعالى كما يدل عليه قوله : (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) اما الذي ينفق لغير الله فلا ينتفع به المنفق لان الله تعهد بالجزاء لمن يعمل لاجله وهذا المنفق ليس منهم وقد وجه الله الخطاب في الآية اولا الى النبي واخبره بانك غير مكلف من الله بان تهدي الناس وانما انت مكلف بالتبليغ واسماعهم الآيات والاحكام ثم وجه الخطاب الى العباد وعرفهم بان هذا الانفاق الذي يلغكم به الرسول انما هو لانفسكم لا يعود على الرسول شيء منه والله هو الذي يقرر لكم الجزاء على نفقاتكم فاللازم عليكم اذا اردتم الجزاء المضاعف ان لا تكون نفقاتكم الا خالصة لوجه الله تعالى وان لا يشوبها احد المبطلات لها من المن والاذى والرياء او كون المال المنفق من القسم الردىء الخبيث ففي الجملة الاولى وهي : (وما تنفقوا من خير فلانفسكم) عرفهم ان الانفاق انما يعود نفعه الى انفسهم لا لغيرهم فمن اراد لنفسه نفعا فلينفق ماشاء قلة او كثرة ، وبالجملة الثانية وهي : (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) عرفهم ان النفقة التي تريدون ثوابها ونفعها لانفسكم انما يحصل ذلك لكم ويتحقق النفع والثواب اذا كانت خالصة لوجه الله اما اذا خالطها شيء آخر كالرياء او تعقبها منٌ او اذى او كانت هى بحسب ذاتها غير صالحة لان تقدم لله لخبثها ورداءتها فليس لكم جزاء عليها فانها فاقدة للشرط الموجب للقبول فان الله طيب لا يقبل الا الطيب ثم عرفهم بالجملة الثالثة وهي : (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا

تظلمون) (١) بان الخير الذي تنفقونه سيعود اليكم وافيا ويمكن ان يكون الفرق بين هذه الجملة والجملة الأولى ان المقصود من تلك هو النفع لكم في الآخرة والمقصود من هذه هو التوفية لكم في الدنيا فلا تحسبوا هذه النفقة خسارة مالية فانها ستعود اليكم فالذي يعتمد على وعد الله لا يبخل في بذل المال بعد سماعه لهذا الوعد ثم اكدها بقوله : (وانتم لا تظلمون) أي ان الوعد بالتوفية ليس فيه خلف وان خلف الوعد لا يجوز على الله وانما يقع من بعض البشر الذين لا ذمة لهم ولا يستقبحون خلف الوعد ثم ذكر شرطا آخر للنفقة المرضية :

(للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) (٢) .

بعد ما حث الله عباده المؤمنين في هذه الآيات العديدة ورغبهم في انفاق المال ووعدهم بالثواب الجزيل في الآخرة والتعويض المضاعف في الدنيا عرفهم في هذه الآية بمن يدفعون له هذه الصدقات ومن اي الأصناف هم فامرهم بدفعها للفقراء الذين لا يمكنهم الاتجار والكسب اما لعجزهم عن ذلك او لمرض عرض لهم او انهم حبسوا انفسهم وحصروها بالقيام بما ينفع المسلمين ويؤيد الدين كجهاد الأعداء وتحصيل العلم النافع وقد وصفهم الله بالعفة وانهم لا يسألون الناس ولا يلحون في الطلب منهم وهذا يشمل كل مؤمن فقير فاذا دفع ذو المال صدقته الى المؤمن الفقير كانت هذه النفقة مقبولة عند الله وقد خص الله هذا الصنف لتدفع لهم الصدقات ولا تدفع لمن لا يستحقها كما نرى في هذا الزمان بعض الناس يدفع بعض المال

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

الى من بيده السلطة لكي يتقرب له ويدنو منه فاذا جاء الفقير صرفه محروما وبعضهم يدفعها الى السفهاء الذين يضحكون الناس بالاباطيل ويحرم المستحق لها وعلى كل ينبغي دفع الصدقات الى المؤمن الفقير المتعفف وهو معروف عند اهل العقل في كل زمان ومكان لانا نراه لا كسب له ولا ملك ولا تجارة وهو متعفف لا يسأل الناس شيئا واذا سئل عن حاجته الى المال ينفي ذلك ويقول اني غير محتاج :

قوله تعالى :

(الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) :

لقد ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة تفصيل الصدقة وانواعها واقسامها وذكر انواع المنفقين وذكر جزاء النفقات الذي جعله الله لاربابها وذكر في هذه الآية صنفا من المنفقين وهم الذين لم يجعلوا لنفقاتهم وقتا خاصا او مقدارا خاصا بل ينفقون في كل وقت وينفقون جميع ما عندهم ولا يتركون لانفسهم شيئا اعتمادا على وعد الله بتعويضهم لما ينفقون اضعافا مضاعفة :

ثم ذكر ان اجر هؤلاء القوم محفوظ عند ربهم ولم يبين له قدراً معينا ويمكن ان يكون عدم بيان مقداره اشارة الى عظمته وان العباد لا يمكنهم حصره وعده ثم ذكر ان لهم مع هذا الاجر المحفوظ عند الله انهم لا يصيبهم خوف من كل ما يوجب الخوف في الدنيا والآخرة ولا يصيبهم حزن من كل ما يوجب الحزن في الدنيا والآخرة فكل خوف او حزن يصيب الناس في الدنيا والآخرة هم آمنون منه فلا يخافون إلا من الله ولا يحزنون إلا لفوات ثواب الله ، وقد ذكر المفسرون من العامة والخاصة ان الآية نزلت في شأن امير المؤمنين علي بن ابى طالب (ع) فقد كان عنده اربعة

(١) سورة البقرة آية ٢٧٤ :

دراهم فتصدق بواحد ليلا وبواحد نهارا وبواحد سرا وبواحد علانية فنزلت الآية :

وبعد الانتهاء من ذكر الآيات نذكر بعض الروايات الواردة عن النبي (ص) والائمة الهداة عليهم السلام في الحث على الصدقة وفي منافعها الدنيوية والاخروية : روى عن النبي (ص) قال من سره ان يدفع الله عنه نحس يومه فليفتح يومه بصدقة .

وروى عن النبي قال : على كل مسلم فى كل يوم صدقة قيل من يطيق ذلك قال اماطتك الاذى عن الطريق صدقة وارشادك الرجل الى الطريق صدقة وعيادتك المريض صدقة وامرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وردك السلام صدقة . وقال امير المؤمنين عليه السلام استنزلوا الرزق بالصدقة من ايقن بالخلف جاد بالعطية ، وقال من يعطي باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وقال اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة ، وقال في وصيته لابنه الحسن (ع) واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة والله لاغنى بك فيه من حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فعليك ان تطلبه فلا تجده واغتنم من استقر منك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

وسئل الصادق (ع) اى الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخاف الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وحكي عن ابن فهد في العدة قال الصدقة على خمسة اقسام .

الأول : - صدقت المال وقد سلفت :

الثاني : - صدقة الجاه وهى الشفاعة .

الثالث : - صدقة العقل والرأى وهي المشورة .

الرابع : - صدقة اللسان وهي الوساطة بين الناس والسعي في ما يكون سببا لاطفاء النائرة واصلاح ذات البين :

الخامس : - صدقة العلم وهى بذله لاهله ونشره على مستحقيه :

وروى عن النبي (ص) انه سأل جبرئيل عن الصدقة فقال يارسول الله الصدقة على خمسة اقسام : قسم منها الواحد بعشرة ، وقسم الواحد بسبعين ، وقسم الواحد بسبعمائة ، وقسم الواحد بسبعين الفا ، وقسم الواحد بمائة الف ، فقال رسول الله ما تفسير ذلك ياجبرئيل قال : -

اما التي تكون الواحدة بعشرة اذا كانت على سائر الناس المستحقين صحيحي البدن .

واما الواحد بسبعين اذا كان المستحق لا يمكنه الاكتساب بمرض او غيره :

واما الواحد بسبعمائة اذا كان المستحق من آل الرسول :

واما التي الواحد بسبعين الفا اذا كان لارحامه او ابيه :

واما التي الواحد بمائة الف اذا كان لطالب العلم صحيحا كان او مريضا لانه يتقوى على طلب العلم وينفع به عباد الله .

ولما فتح الله لعباده باب الصدقة واعلمهم انها جالبة للرزق الكثير وان فيها خير الدنيا والآخرة فالمؤمن الموحد المعتقد بان زمام الامور كلها بيد الله وليس لأحد غيره قدرة على التصرف في الارزاق وغيرها من الامور ينبغي له بعد الاطلاع على هذه الآيات التوجه الى الله في كل ما يروم ويريد من الامور فاذا لجأ في شيء من الامور الى ما نهى الله لكشف عمله هذا

عن ضعف عقيدته بالله وعدم الاطمئنان بوعده ولهذا فقد توعد الله بالعذاب الشديد لمن يتمسك بما حرم الله في تحصيل الرزق فقال جل شأنه بعد هذه الآيات تنبيها لعباده :

قوله تعالى : —

(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جائه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (١) .

لقد فسروا الخبط : بالمشي على غير استواء . ويوصف المرأ الذي يتصرف فى امر على غير هدى انه يخبط خبط عشواء ، ويقال خبط البعير الارض اذا اختلت مشيته ويعلم من هذا ان كل امر اذا غير الانسان نظامه الطبيعي او الشرعي عما جعل عليه بحيث ترك الوجه الصحيح وعمل بالوجه الفاسد فقد تخبط فيه ، اما القيام المذكور فتارة يكون المقصود منه القيام المقابل للجلوس وتارة يكون بمعنى التصرف وادارة الشؤون كما يقال فلان قام بالامر احسن قيام او فلان لم يحسن القيام بالامر الفلانى ولا مانع من ارادة كلا الامرين معا في الآية الشريفة .

والمرابي لما ترك الأمر الذى رخصه الله فيه وهو البيع وعمل بما نهاه عنه وهو الربا فقد خبط خبط عشواء حيث ترك الطريق الذى امره الله بسلوكه واخذ في طريق نهاه الله عنه وهو مع ذلك يجادل اهل الحق ويدعي عدم الفرق بين الطريقين لانه لم يدرك حكمة الله التي بنى الله احكامه عليها وليس له ايمان راسخ متين وعقيدة كعقيدة اهل الحق بان الله شرع احكامه على الحكمة والمصلحة حتى يطيع اوامر الله وان لم يعرف وجه الحكمة ولا

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

ريب بان لله عز وجل فى كل قضية حكما معينا لا يتغير ولا يتبدل وان الله اودع الأحكام كلها عند النبي بواسطة الملك الذى ينزل عليه وعلى هذا فكل قضية اذا انحرف الانسان فيها عن جادة الصواب وسلك طريق الضلال والهلاك فهو متخبط تخبط الأعمى ويكون من مصاديق الآية الشريفة بعد ما عرفنا ان المقصود من القيام هو التصرف المخالف للصواب وليس القيام المقابل للجلوس فقط وقد شبه الله هذا الانسان التارك للصواب والسالك طريق الضلال بالممسوس والمجنون الذى يسلم قياده للشيطان فيقوده الى حيث يهوى به في الظلمات فان اختيار هذه الطريقة هي من اعظم انواع الجنون لان الجنون المضر بالآخرة اعظم بمراتب من الجنون المضر بالدنيا وبعد هذا ينبغي لنا ان نتساءل في الدنيا قبل التساؤل في الآخرة فنقول : اذا كان الله قد جعل لكل قضية ولكل مسألة حكما معينا واودع علم جميع الأحكام الى النبي وانه لم يترك قضية واحدة الا وبين حكمها كما يدل عليه قوله : (اليوم اكملت لكم دينكم) وان النبي (ص) بلغ جميع هذه الاحكام لامته باتفاق جميع الامة على ذلك .

نسأل ما سبب هذا الاختلاف الواقع بين الامة ؟ نقول الاشكال ان هذا الاختلاف انما هو من تخبط الشيطان بالإنسان وجره الى الطرق الملتوية التي تبعده عن الصراط المستقيم الذى نصبه الله لعباده وبينه لهم واوضحه غاية الايضاح ، وإلا لو ترك شيئا من الايضاح لكان غير مبلغ لرسالة ربه وحاشاه ان يكون كذلك وان الحجة تلتزم كل شخص على انفراده فان الله قد اعطى كل انسان من العقل ما يميز بـه بين الحسن والقبيح وبين الضار والنافع ولا يسوغ له ان يعول على غيره في هذا التشخيص والتمييز وكان الناس في ايام وجود النبي (ص) بينهم يرجعون اليه في احكام القضايا مهما كان نوعها واما بعد ارتحال النبي عنهم فالناس قد صاروا على

الواع : لانهم افترقوا فرقا كثيرة ولا يمكن ان ينتمي العاقل الرشيد الى واحدة من هذه الفرق الا بارشاد من النبي (ص) وقد تواتر الحديث عن النبي (ص) انه قال : (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي) ولا ريب ان سيد اهل بيته علي بن ابي طالب فانه اودع عنده علومه ولم يترك الامة تائهة في حيرتها ولا تعرف مرجع احكامها .

ايها الرشيد اللبيب اذا اردت ان تعرف الحق والدين الصحيح فانظر الى كتاب اثبات الوصية للمسعودي المقبول عند الجميع فانه يذكر فيه ان جميع الانبياء من آدم الى محمد اذا حضرتهم الوفاة يأمرهم الله ان يسلموا نور الله والحكمة والعلم المنزل عليهم الى وصيهم ليقوم بالامر بعدهم ويكون هو المرشد لامتهم ، وهذه هي سنة الله في عباده . فلماذا نسبوا الى افضل الانبياء وخاتمهم انه ترك هذا الامر ولم يعين وصيا مرشدا وان ترك الوصية مستقبح من اقل الناس فكيف ينسب الى النبي (ص) ؟ . ايها المسلم الرشيد المفكر لهذان بابان من ابواب الدين الاسلامي اولهما : - باب الصدقات الواجبة والمندوبة وثانيهما : - باب الربا المحرم ويتفرع منهما فروع كثيرة لا تحصى وان الإنسان مهما بلغ من العلم فانه معرض للخطأ والسهو والنسيان اما الامام الذى تقول به الفرقة الامامية فانها تعتبر فيه العصمة من هذه الامور وكذا تعتبر فيه العصمة من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لانه منصوب من قبل الله والرسول لا من قبل بشر ولقد كان هذا الكلام عن الامامة تعليقا على كلمة (يتخبطه الشيطان) وان كل فعل اباحه الله فجعل العبد المحرم كالمباح او المباح كالمحرم كما حكى الله عنهم : (قالوا انما البيع مثل الربا) فليعلم ان هذا من تخبط الشيطان وليعلم العاقل الرشيد ان اهم الامور واعظمها امر الامامة فان الإنسان اذا تركها اختلت جميع اموره إذ انه يأخذ احكام

دينه من منبع غير متصل بالنبي (ص) وهو يصيب مرة ويخطأ مرات وهذا خلاف المرشد وسوف يأتي في ضمن الآيات ان شاء الله مايزيدك وضوحا فكل حكم من احكام الدين اذا اخذه المكلف من غير العالم المعصوم وكان المفتى له بذلك مخطئاً وعرف المكلف بعد حين انه كان على غير رشد من اخذه من هذا المفتي فتركه ورجع الى قول المعصوم فان اعماله مقبولة عند الله وان كانت خلاف الحق والحقيقة كما يدل عليه قوله تعالى : (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (١) ، واذا عرف الحق فبقى مصراً على باطله فيدخل تحت قوله : (ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) فالآية الشريفة وان كانت واردة في حكم الربا إلا أن حكمها عام شامل لكل من عرف الحق وبقى متمسكا بالباطل فافهم ذلك جيدا ثم ان هذه الآية وان لم تكن من موضوع كتابنا لان الموضوع هو صفات المؤمنين وهذه الآية من القسم المقابل ولكن لما جعلت مقابلة المؤتي الزكاة والصدقات وفيها فوائد كثيرة تنبه الناس عن غفلتهم ادرجناها في الموضوع وكذا الآية التى بعدها وهي قوله تعالى :

(يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم) (٣) ان اخراج الصدقة من المال ودفعها لمستحقها بلا عوض موجب لنقصان المال وهو امر معلوم محسوس لا ريب فيه وان اخذ الربا وهو الفائض من الغير واضافته الى المال موجب لزيادة المال وهو امر معلوم محسوس يدركه كل احد ولكن لما كان الامر الاول مما يرضى به الله وامر به عباده والثانى مما لا يرضى به ونهى عنه عباده اخبرنا الله بان النتيجة التى تعرفونها سوف

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٦ .

تكون معكوسة حتما وان الأول سوف يكون موجبا للزيادة والثانى سوف يوجب المحق والإبادة فمن كان يعرف الله وقدرته فليعلم ان الله سيحقق ما اخبر بوقوعه وتحققه فلا تخلف في هذا الأمر :

ثم اخبرنا الله انه لا ينتهي الأمر بانعكاس النتيجة فحسب وانما يكون وراء ذلك وبال اشد واعظم منه وهو ان هذا الذي يترك المحبوب لله ويفعل المبغوض له سوف يكتب عند الله من الكافرين والآثمين وان الله لا يحب الكفار الأثيم ومن لا يحبه الله فهو من الخاسرين ولا يرى خيراً ابداً في الدنيا والآخرة :

فاذا كان عند الإنسان عشرة دراهم فتصدق بدرهم واحد فهو يوطن نفسه على ان يبقى عنده تسعة دراهم وانه سيلقى ثواب ذلك الدرهم عند الله في الآخرة فان صريح هذه الآية ان الله تعالى يربي هذا الدرهم فيجد المنفق ثواب عشرة دراهم او سبعين درهما او اكثر من ذلك حتى ينتهي الى المائة الف او اكثر ، وأما التسعة التي بقيت عنده وقد يضاعفها الله فتصير بعد زمان قصير اضعاف ذلك العدد فهو قد حافظ على ماله في الدنيا وضوعف له ثواب صدقته في الآخرة وحافظ على ثواب بقية اعماله من صلاة وصوم وحج وغيرها هذا ما يكون من حال المتصدق ومرة يكون عند انسان آخر عشرة دراهم فهو يريد ان يصيرها احد عشر فيرابي فيها ويجزم انه بعد شهر سيحصل على احد عشر درهما وهو يرى بجهله المركب انه لم يفعل شيئا الا كمن باع سلعة باحد عشر درهما كان قد اشتراها هو بعشرة دراهم ويعتقد بجهله انه قد ادى ما عليه من صلاة وصوم وحج ثم ان هذا الانسان في الدنيا قد يأتي عليه زمن قصير واذا بهذا الدرهم الذي كان يأمل اضافته الى العشرة قد ذهب في وجه باطل وسحب معه العشرة كلها او اكثرها فلم يبق عنده شيء واذا طال الزمان وكثرت العشرة حتى

صارت عشرين او ثلاثين ترى هذا الرجل معذبا منكودا يتجول في المحاكم ويقيم الدعوى على احد المدينين لانه لم يدفع له المبلغ في المدة المعينة ، ويشتكي على الآخر لانه اصبح مفلسا وليس عنده شيء ، ويشتكي على ورثة الآخر لانه مات ولم يخلف شيئا يسد الطلب ، وهكذا هو في تجوال وخبط في القيام بشؤون حياته .

واما في الآخرة فانه يقوم من قبره الى حشره كما وصفه النبي (ص) وبطنه كالبيت ترى فيه الحيات من الظاهر واذا رأى جزاء صلاته اذا بها قد تطهّر لها بماء اشتراه من الربا وصلاها بثوب اشتراه من الربا واداها في دار اشتراها من الربا وكذا بالنسبة الى حجه ، واذا عرض عليه صومه فاذا به قد تقوى عليه بطعام كله من الربا ، ثم يقال له ان الاعمال انما تقبل من المتقين والت لمعاودتك على الربا معدود من الكافرين الآثمين .

هكذا يمحق الله الربا فلا راحة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة ، وليعلم المرابي ان ضم الدرهم الى الدرهم ولف الدينار مع الدينار لا ينفعه اذا كان في الدنيا متعما وفي الآخرة معذبا ، ثم لما بين الله لعباده انه لا يحب الكفار الاثيم عقب ذلك بانه يحب المؤمن وانه يحفظ له جزاءه فقد ذكر بعض صفات المؤمنين بقوله تعالى:

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) :

ان الله وعد طائفة من الناس بان يحفظ لهم اجرهم الذي وعدهم به وان يؤمنهم في كل مكان وزمان يكون الناس في خوف ووجل وان يجعلهم فرحين في كل وقت يكون الناس في حزن وقد وصف الله هذه الطائفة التي وعدها بهذه الامور الثلاثة وصفهم باربع صفات فمن كانت فيه هذه الصفات فان الله سيفي له بوعده ومن لم تكن فيه هذه الصفات فليجهد نفسه

(١) سورة البقرة آية ٢٧٧ :

على الاتصاف بها لكي يحظى بوعد الله ويكون من الآمنين الفرحين والصفات الأربعة هي : -

١ : - ان يكون مؤمنا :

٢ : - ان يعمل الصالحات :

٣ : - ان يقيم الصلاة .

٤ : - ان يؤتي الزكاة :

فالذي يلزمنا فعلا ان نعرف حقيقة هذه الأمور الأربعة حتى نتصف بها كما يريد الله فان الله قد وضح هذه الأسماء الاربعة وهي :

ايمان - صلاح - زكاة : وضعها لاشياء ومسميات معينة مشخصة وبينها النبي (ص) ، فعلينا ان نعرف المسميات الحقيقية التي عينها الله لهذه الأسماء بلا زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير ، ولو لم يحصل الاتقان والضبط بهذه الصورة والا لا يجدى نفعا عمل المرأ المخالف لما اراده الله وان كانت المخالفة في الأجزاء والشروط فاذا كان الايمان عند الله شيئا معينا وجاء الوالي او الولي الذي فرض نفسه على الناس بالقوة والقهر وهو الذي عبر الله عنه بقوله : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) ففسر الايمان بشيء آخر مخالف لما جعله الله وقبل متابعوه بهذا التفسير وعملوا به ترى ان هؤلاء يكونون من المؤمنين ان هذا لا يوافق عليه المنطق ولا العقل وان كان العقل باضعف درجاته :

اني اذكر لك مثلا واحدا لتعتبر به ، قام عمر بن سعد يوم العاشر من المحرم بعد قتل الحسين (ع) ونادى باعلى صوته بلا خوف ولا حياء ياخيل الله اركبي وابشري بالجنة ودوسى صدر الحسين فترى ان هؤلاء الذين امتثلوا امره يصلون الى الجنة ويأتي ولي آخر من اولياء الكافرين متلبسا بلباس المسلمين لأجل التأمر عليهم فيزيد في الصلاة جزءاً او ينقص جزءاً سواء

أكان الجزء لفظيا او فعليا ويقبل متابعوه بهذا التصرف ، اترى ان هذه الصلاة يقبلها الله بعد ما بين حقيقة الصلاة لرسوله وبينها الرسول لامته فعلينا ان نعرف هذه الامور الأربعة معرفة صحيحة مأخوذة من الرسول الأعظم بطريق موصل اليها وان يكون طريق التوصل ماخوذ من الرسول ايضا ، وبعد هذا ينبغي ان ندقق ونحقق معاني هذه الأمور الأربعة فنقول :

اما الأول وهو الايمان : - فقد عرفوه بتعاريف كثيرة وقد تقدم بعض الكلام في الآيات المتقدمة ويأتي الكثير من الكلام في الآيات الشاء الله تعالى : قال بعض المحققين ان الايمان الكامل الخالص هو التسليم لله والتصديق بما جاء به النبي (ص) لسانا وقلبا على بصيرة مع امتثال جميع الأوامر والنواهي كما هي الخ .

ينبغي الالتفات الى الكلمة الأخيرة وهي قوله كما هي الخ . انه شرط لازم في الامتثال ويلزم على كل مكلف مسلم محتاط لدينه ولنفسه ان يجتهد في تحصيل اوامر النبي ونواهيه كما هي من غير تغيير كلمة او زيادة او نقص فانه لا يجوز لأحد ان يفعل ذلك حتى النبي نفسه إلا بأمر من الله فالواجب على المسلم هو العمل على طبق قول النبي او من يخبر عن النبي بقول جازم وهو المعصوم كما تقدم :

واما الأمر الثاني وهو عمل الصالحات : - فهو ما يكون صالحا عند الله ورسوله لا ما يراه العبد صالحا او يتظاهر به امام الناس انه كذلك كما تقدم من لداء عمر بن سعد وقد صدر كثير من هذا القبيل ممن يشبه عمر ابن سعد كنداء معاوية واشباهه ممن هو على شاكلته بسب الامام وقتل المؤمنين بحجة الأخذ بثار عثمان فهذا الأمر الثاني ينبغي ان يرجع فيه الى النبي او من يخبر عنه بقول جازم .

اما الامر الثالث وهو اقامة الصلاة : - فانها ايضا يلزم فيها الدقة

والتحقيق وكذا في أمر الطهارة التي هي مقدمة للصلاة فليس للعبد ان يزيد أو ينقص طرفا أو يعمل بقول من يزيد وينقص من نفسه بلا استناد للقرآن او قول الرسول (ص) هذا تكليف من اراد التوصل للدين الصحيح فانها عبادة والعبادة توقيفية تتوقف صحتها على اخذها من الشارع ، وأما مايستحسن العبد توقيفية من نفسه فليس له ان يدخله في الصلاة .

وأما الأمر الرابع وهو الزكاة : - فقد ذكرت بعض شروطهـــا في الآيات السابقة والمهم منها الواجبة فان لها شروطا وحدودا لا ينبغي للمسلم ان يتعداها او يخرقها ولا يجوز اخذها الا ممن يرويها ويسندها الى النبي (ص) وان يكون الراوي موثوقا بعلمه وتقواه لا يحتمل في حقه الكذب لا كأبي هريرة وامثاله .

تنبيه للغافل والمتغافل : -

لا يخفى ان كثيراً من الناس يكون غافلا او انه يتغافل عن كون هذه الأمور تحتاج الى التحقيق والدقة الشديدة وانه يلزم أخذها من منبع صحيح يتصل سنده الصحيح بالنبي ولا يتأتى ذلك الا بتوسط المعصوم على رأي الامامية ولذا ترى كثيراً من الناس يعتقد انه مؤمن كامل الايمان ولكن في الحقيقة ليس كذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١) .

وكذا يظن بنفسه انه يعمل الصالحات ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ولدى التحقيق تكون اعماله فاقدة للشروط وهو غافل عن ذلك . وانا ارجو من اخي المسلم ان يعتبر بالآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربـــا ان كنتم مؤمنين) (٢) .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٨ .

(فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون) (١) .

لقد تقدم ان الإيمان هو اقرار باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان فالله تعالى يخاطب الذين اقروا بالسنتهم : (يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم (اتقوا الله) اي خافوه واحذروا منه (وذروا من الربا) واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم ايمانا حقيقيا فان الاقرار باللسان وحده ليس بايمان ولا ينفع شيئا عند الله وان هذه الأوامر والنواهي تكشف حقيقة المرأ للناس بالامتثال وعدمه فيكون من لوازم الايمان فان لم يتركه فهو غير مؤمن ، وان المؤمن هو العامل بما شرع الله من الحلال والحرام ، ثم ذكر الله ما هو اشد واعظم عقابا من ذلك وهو ان اخذ الربا لا يقتصر على خروجه من الايمان فقط بل هو اعظم من ذلك حيث قال : -

(فان لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله) فهذا الشخص او الجماعة او الأمة اذا عرفوا حرمة الربا وبقوا مصرين على تعاطيه وأخذه واكله فليعلموا انهم يستحقون حرب الله لهم وما يظن هذا العبد الضعيف العاجز من كل شيء اذا حاربه الله والرسول والله هو القادر على كل شيء فاما ان يسلبه جميع أمواله دفعة واحدة أو تدريجيا أو يبتليه بالأمراض والعاهات او يسلط عليه بعض الظالمين مثله فلا يبقى عليه باقية فيذهب جميع ماله وقد تذهب معه النفس والأولاد وان لم يكن احد هذه الامور فالنبي أو وصيه هو الذي يحاربه أو يقتله هذا في الدنيا واما في الآخرة فليس له إلا النار .

ثم بعد هذا الوعيد الشديد يفتح لهم باب رحمته بقوله : (وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) ما اعظم رحمة الله وعفوه

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٩ .

فان هذا العبد بعد ما أخذ من أموال الناس الشيء الكثير قبل نزول آية التحريم لم يأمره الله برد الأموال لأهلها بل اذا تاب الى الله يرجع له راس ماله فان الله لا يرضى للغني ان يظلم الفقير باخذ الربا منه ولا يرضى للفقير ان يظلم الغني بعدم دفع رأس ماله له اذا كان ذلك ميسورا له امـا اذا كان الفقير معسراً ولم يتمكن من رد مال الغني له ففي هذه الصورة أمر الله الغنى ان يصبر على الفقير وهو قوله تعالى :

(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) (١) :

لما هدد الله المرابي بذلك التهديد الرهيب وتوعده بمحق ماله في الدنيا ودخول النار في الآخرة ثم عفا عنه فيما اخذه من الربا قبل التحريم ولم يأمره برده إلى اهله ، ثم أمره بعد ذلك باسترجاع رأس ماله من المدين وترك الربا والا فهو غير مؤمن وبعد الوصول الى هذه المرحلة صار الحكم المنزل من الله هو ان يترك الغنى الربا وان يدفع الفقير المدين اصل المـال الذي اخذه من الغنى وسقوط الربا عنه ، ولا ريب ان بعض الفقراء المدينين لا يمكنهم دفع المال ولا بعضه لشدة فقرهم وقد يتصور الغنى ان مثل هذا الفقير الذي اسقط منه قسم من المال يلزمه دفع الأصل حالا بلا تأخير ولو ببيع داره أو فرسه أو أثاث بيته ، وهنا قد دفع الله كل هذه التصورات من نفوسهم الشريرة التواقة إلى جمع المال وأمرهم بانظار مثل هذا المدين الفقير وعدم الضغط عليه حتى يحصل المال بيده :

وقد ورد عن النبي (ص) ان هذا الإنظار يؤجر عليه صاحب المال ويكتب له ثوابه ، ثم بعد ذلك ارشدهم الله الى شيء آخر هو خير لهم من هذا الانظار وهو قوله : (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

أي ان كنتم تعلمون بان هذا المدين معسراً ليس له من المال ما يفي به دينه فتصدقوا عليه بما لكم في ذمته فهو خير لكم فانكم قد اخذتم منه مالا في الربا قبل هذا وان لم تكونوا اخذتم منه شيئاً فانكم قد ضيقتم عليه وازعجتموه فاذا أنتم وهبتموه هذا المال ستدخلون عليه السرور مقابل ذلك الضيق والازعاج أو يكون المعنى ان كنتم تعلمون الخير من الشر وتميزون بينهما فان التصدق بهذا المال خير من المطالبة والتضييق على المدين فان في التصدق نفع في الدنيا والآخرة .

ولا يخفى ان الله عز وجل قد ادخل آيات الربا في آيات الصدقة لتقابلهما في الثواب والعقاب والإحسان والإساءة والصدق في الإيمان والكذب فيه ثم وجه خطابها عاما لجميع الخلق فقال تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (١) .

فقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده كلهم بعد ما بين لهم جزاء المتصدق وعقاب المرابي وخوفهم من اليوم الذي يجمعهم كلهم فيجازيهم على حسب اعمالهم ونياتهم وهو العالم بالسرائر والضمائر والظواهر والبواطن ، وبين لهم انهم لا يظلمون في ذلك اليوم وان المحسن لا ينقص من جزاء احسانه والمسيء لا يزاد في عقابه وقد ذكر لكلا القسمين ما يستحقانه من الثواب والعقاب ، وان كان المرابي يقدر على تحمل هذا العقاب لأجل دريهمات يجمعها في الدنيا ويتركها عند الموت لغيره فهو ممن باع آخرته بدنيا غيره وهي الصفقة الخاسرة اجار الله المسلمين منها ونسأله حسن العاقبة . وقد ذكر المفسرون ان هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن نزل بها جبرئيل وقال للنبي (ص) ضعها في رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة .

قال الطبرسي في مجمع البيان : قال المفسرون لما نزلت هذه الآية

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨١ .

(انك ميت وانهم ميتون) . قال رسول الله (ص) ليتني اعلم متى يكون ذلك فانزل الله تعالى سورة النصر : « اذا جاء نصر الله والفتح » فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هـذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه ، فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا ، فقال اما ان نفسي نعيت الي ثم بكى بكاء شديداً فقيل يارسول الله او تبكي من الموت ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : فاين هول المطلع ؟ واين ضيق القبر وظلمة اللحد ؟ واين القيامة والاهوال . . الخ ما ذكره .

ثم لما امر الله المرابين بانظار المعسر في دفع مالهم في ذمته صار ذلك المال حقا مؤجلا ، فعقبه بذكر احكام الحقوق المؤجلة فذكر الآيتين في احكام المداينة ، ثم بعد ذلك ذكر آية فيها وعيد شديد لمن لم يكن سليم القلب ، بل ورد انه حقيق على الله ان لا يدخل الجنة من كان في قلبـه مثقال حبة من خردل من حب اعداء الله :

وهي : — قوله تبارك وتعالى : —

« لله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » (١)

ان الذي يظهر من بعض التفاسير ان هذه الآية هي اثقل آية في القران واشق تكليفا : فقد ذكر الطبرسي في الاحتجاج رواية طويلة يرويهـا عن الإمام موسى بن جعفر (ع) مضمونها انه : —

جاء يهودي من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء وعرف دلائلهم ، جاء الى مجلس فيه اصحاب رسول الله (ص) وفيهم علي بن ابي طالب وابن عباس وابن مسعود وابو سعيد

(١) سورة البقرة آية ٢٨٣ .

فقال : ياأمة محمد ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا نحلتموها نبيكم فهل تجيبوني عما اسألكم ؟ فكاع القوم عنه فقال علي بن ابي طالب (ع) نعم ما اعطى الله نبيا درجة ولا مرسلا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد (ص) ومحمد اعلى الأنبياء اضعافا مضاعفة ، فقال له اليهودي فهل انت مجيبي قال له نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله ما يقر الله به عيون المؤمنين ويكون ازالة لشك الشاكين في فضائله .

ثم جعل اليهودي يذكر فضائل الأنبياء آدم ومن بعده وعلي يبين له ان محمداً اعطى افضل من ذلك حتى وصل إلى سليمان فقال اليهودي فان هذا سليمان قد سخرت له الرياح فسارت به في بلاده غدوها شهرا ورواحها شهر قال له علي (ع) لقد كان كذلك ومحمداً اعطى ما هو افضل من هذا انه اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى مسيرة شهر وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين الف عام في اقل من ثلث ليلة حتى انتهى الى ساق العرش فدنى بالعلم فتدلى فدلى له من الجنة رفرف اخضر وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى فكان فيما اوحى اليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى : (لله ما في السماوات وما في الأرض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) (١) وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم الى ان بعث الله تبارك وتعالى محمداً (ص) وعرضت على الأمم فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله (ص) وعرضها على امته فقبلوها ، فلما رأى الله منهم القبول علم انهم لا يطيقوها فلما ان صار الى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال : (آمن

---

(١) سورة البقرة اية ٢٨٣ .

الرسول بما انزل اليه من ربه) (١) فاجاب الرسول (ص) عنه وعن امته (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) فقال جل ذكره لهم الجنة والمغفرة على ان يفعلوا ذلك ، فقال النبي (ص) اما اذا ما فعلت ذلك بنا (فغفرانك ربنا واليك المصير) يعني المرجع في الآخرة قال : فاجابه الله جل ثناؤه قد فعلت ذلك بك وبامتك ، ثم قال عز وجل اما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضت على الأمم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت) من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر ، فقال النبي (ص) لما سمع ذلك اما اذا فعلت ذلك بي وبامتي فزدني قال سل قال (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) (٣) قال الله عز وجل لست اؤاخذ امتك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي :

ثم ذكر الله ما كان على الامم السالفة من التكليف الشاق وقد رفعه عن امة محمد فقال النبي (ص) : « اللهم اذ اعطيتني ذلك فزدني » قال الله تبارك وتعالى له سل قال : -

« ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا » (٤) يعني بالاصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا :

فاجابه الله وذكر له الآصار والشدائد التي كانت على الامم وهى كثيرة والله قد رفعها عن امته فقال النبي (ص) اذ اعطيتنى ذلك كله فزدني

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

قال سل قال : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال قد فعلت ذلك وهو حكمي في جميع الأمم ، فقال (ص) (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا) قال الله قد فعلت ذلك ثم قال النبي (ص) : (فانصرنا على القوم الكافرين) قال الله جل اسمه : ان امتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود هم القادرون وهم القاهرون يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك علي وحق علي ان اظهر دينك على الأديان . . الى آخر الرواية وهي طويلة قد اخذنا موضع الحاجة منها المتعلق بالآيات .

وهنا ينبغي التنبيه على امور : —

١ - ان الذي يظهر من هذه الرواية المفصلة ان الأمة وافقت ورضيت وقبلت بحكم الآية ولكن يظهر من رواية اخرى ان بعض الأمة اعترضت على الآية ولم توافق إلا بعد التأكيد من النبي (ص) ، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ آخر سطر من ص ١٣٣ قال بعد ذكر الآية :

يروى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية جاء ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ الى النبي (ص) فقالوا يارسول الله كلفنا من العمل ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه وان له الدنيا فقال (ص) فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا واشتد ذلك عليهم فمكثوا في ذلك حولا فانزل الله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فنسخت هذه الآية ماقبلها فقال النبي (ص) : ان الله تجاوز عن امتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا به .

٢ - ان الذي يستفاد من الآية ان المؤمن الكامل الايمان هو الذي وصفه النبي (ص) بقوله : (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا) (١) وان الذي يجمع شروط الايمان كلها كبيرها وصغيرها هو الكلمة الأخيرة وهي قوله سمعنا واطعنا فالمناط في تحقق الايمان في القلب هو السمع والطاعة في جميع الأوامر التي جاء بها النبي (ص) من الله فلو ان عبدا إمتثل الأمر في الصلاة فاكثر منها وصرف اوقاته كلها فيها ولكنه خالف النبي في جزء من اجزائها انقصه او ازاده لا ينتفع بهذه الصلاة لانه خرج عن الضابط وهو السمع والطاعة .

٣ - ومن شجون الحديث ما ذكره العروسى الحويزي في تفسيره نور الثقلين ج ١ ص ٢٥٣ رقم الحديث ١٢٢١ عن النبي (ص) حديث طويل وفيه خطبة الغدير وفيها : - معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم وسلموا على علي بامرة المؤمنين وقولوا (سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ان هذه الفقرة من كلام النبي (ص) اذا تحقق فيها السمع ولم تتحقق فيها الطاعة اختلت الطاعة في اغلب الأوامر والنواهى لان النبي (ص) اودع احكامها عند علي وامره علينا فاذا عصينا النبي في هذه الامارة فاننا الكثير مما هو مودع عنده فلم يتحقق الشرط المقوم للايمان وهو السمع والطاعة فتدبر جيداً .

٤ - ان المقصود من اخفاء ما في النفس هو ما يعزم عليه العبد من المعاصي ويفعله ولكن لم يظهره للناس وليس المراد منه ما يختلج في النفس من الوساوس الشيطانية ثم تزول في حينها فان هذه الهواجس النفسانية الطارئة على النفس من غير ارادة من الانسان مما لا يعاقب عليه كما ورد في الأخبار ويؤيده حكم العقل حيث ان هذا غير اختياري للانسان ولا يمكنه دفعه عن نفسه فالأقرب والأولى في معنى الآية ان يكون المقصود ممن يخفي

---

(١) سورة البقرة اية ٢٨٥ .

ما في نفسه وهو المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه وهم الذين اظهروا ما في انفسهم بعد رحلة النبي الى الله فانقلبوا على اعقابهم فان الله يحاسبهم على ما كانوا يخفونه حين وجود النبي وهم عازمون على اظهاره بعده .

فالآية واردة في مقام التهديد والترهيب والتخويف فانه تعالى بعد ما بين لنا جملة من احكام الصدقة والربا والدين والاشهاد عليه واداء الشهادة عرف اهل القلوب المريضة الذين يظنون ان الاعتراف باللسان والانكار بالقلب كاف في المقام فبين الله لهم ان هذا لا يفيدهم شيئا وان الله يحاسبهم على ما انطوت عليه قلوبهم من نياتهم السيئة ونواياهم الخبيثة المخالفة لظواهر السنتهم ولأوامر الله ورسوله فهذه المحاسبة على اخفاء ما في النفس بالنسبة الى الشر والعصيان والتمرد والطغيان ، أما بالنسبة الى ذوى السرائر الطيبة والنفوس الطاهرة الذين اذا بلغهم النبي (ص) احكام الله قالوا سمعنا واطعنا فانها بشارة لهم كما جاءت الروايات ان من ينوي الحسنة اذا لم يعملها كتبت له واحدة واذا عملها كتبت له بعشر حسنات ، وعلى ما ذكر من معنى الاخفاء فلا وجه للقول بان الآية منسوخة كما ذهب اليه البعض بقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) لانه لم يتحقق التكليف بغير الوسع والطاقة حتى ينسخ ، نعم ان الآية التالية بينت لنا ان هذا الشيء الذي يخفيه العبد ويخفيه المنافق انما هو من الأمور المقدورة له وليس من الخارج عن وسعته وطاقته .

٥ ـ لا يخفى على المسلم الغيور البصير ان النبي (ص) قد جعل خاتمة هذه الأمور التي طلبها من الله اهمها واعظمها نفعا للاسلام والمسلمين وهو قوله : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (١) الكافر هو الذي لا يعتقد بهذه الصفات التي وصف الله المؤمنين فهو لا يعتقد بالله على حد اعتقاد المؤمن الموحد المعتقد بصفات الله الثبوتية والسلبية ، فايمان المومن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

بالله معناه : الاعتقاد القلبي بان الله واحد احد صمد لم يلد ولم يولد والله هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي يبعث الخلق بعد الموت فيجازيهم على اعمالهم وكذا الايمان بالملائكة الذي هو من الايمان بالغيب حيث جعله من صفات المؤمن المذكور في اول السورة وكذا الايمان بالكتب وآخر الكتب القرآن الكريم .

وقد ذكرنا معنى الايمان به في الآية (١٧٧) والايمان بالرسل الذين اخبرنا بهم النبي (ص) وجاء ذكرهم في القرآن وهكذا بالنسبة الى سائر الأمور الاعتقادية فان الكافر يخالفه فيها وكذا في الواجبات العملية التي هي من شروط الإسلام والايمان فان الكافر لا يعترف بها فكلا الفريقين مختلفان في العقائد وفي الأعمال ، وكل فريق يريد ان ينشر مبدأه في الأرض فلا بد من وقوع التخاصم بين الجانبين وبالنتيجة تكون الغلبة للمنتصر وتكون له العزة ويكون هو المتصرف في الأرض حتى في نفوس الجانب الآخر واموالهم وعقايدهم ، الا ان المسلمين لما كانوا ملزمين بامور معينة منزلة على نبيهم من الله فهم منزهون من الظلم والاعتداء ومع ذلك هم مكلفون بالأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع مادة الفساد من الارض ، ومكلفون بارشاد الضال الى الطريق المستقيم ، ولا يمكنهم القيام بهذه الامور مع كون الغلبة والقوة والشوكة للكافرين ولاجل كل هذه الفوائد ولاجل التمكن من القيام بواجبهم جعل النبي (ص) خاتمة طلباته من الله قوله : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) فان الله لما كلف المسلمين بهذه الامور ولم يتمكن العبد من القيام بها الا بمعونة الله ومساعدته لكون الامور كلها بيده قدم النبي (ص) الاعتراف من نفسه وعن امته بالعبودية لله فقال انت مولانا ثم طلب منه المعونة والنصر على القوم الكافرين .

وحيث ان النصر على العدو تارة يكون بالغلبه عليه في الحرب وتارة

يكون بظهور القوة والشوكة والتمكن من تنفيذ الاوامر الحقة واقامة العدل والضرب على يد الظالم وردعه عن الظلم ونصرة المظلوم والاخذ له بحقه وبعد ما عرفت ذلك انظر الى الجواب من الله لهذا الطلب وتأمل في الجواب جيداً فانك ستعرف ان الله قد اعطى نبيه النصر بجميع المعاني فقد قال له في الجواب : (ان امتك في الارض كالشامة البيضاء في الثور الاسود وهم القادرون ، وهم القاهرون ، يستخدمون ، ولا يُستخدمون لكرامتك علي ، وحق علي ان اظهر دينك على الاديان حتى لا يبقى في شرق الارض وغربها دين إلا دينك ، او يؤدون الى اهل دينك الجزية) .

ايها المسلم : - انظر الى هذه الكلمات التي بين يديك لتعرف ما اعطى الله محمداً في امته انه وعده وعداً مطلقا غير معلق على شرط او مقيد بقيد وعده ان يجعل امته على قلتهم قادرين على نشر تعاليم الاسلام قادرين على بث دين الاسلام في عواصم الكفر ، وعده ان يجعل امته قاهرين لسائر الامم وان كانوا اضعافهم في العدة والعدد ، وعده ان يجعل امته تستخدم (تستعمر سائر الامم ولا يستخدمهم) (ولا يستعمرهم احد) ، وعده ان يبقى دينه في شرق الارض وغربها وعده بان تؤدي سائر الامم الى امته الجزية فهل تدري من هم امة محمد ؟ امة محمد هم المسلمون الذين يقولون كما يقول محمد : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وكان (ص) لا يقبل هدية من كافر اما الذي يطأطيء رأسه للكافر ويخدمه بنفسه وبسائر من معه فهل يعد نفسه من المؤمنين ويريد من الله النصر والتأييد وبعد هذا اوجه الخطاب والنداء الى ملوك الاسلام والى رؤساء الحكومات الاسلامية فاقول :

ما هذا الضعف في الامة الاسلامية وما هذا الوهن وما هذا الذل وما هذا التلاعب بها من الكافرين اعداء الاسلام ؟

ان اسباب ذلك كثيرة ، فمنها التنافس بين الامم الاسلامية وتقاطع بعضها لبعض ، وهذا الشتم والقذف من بعضها لبعض وهذا الخضوع من بعضها للحكومات الاجنبية الكافرة ومن الاسباب التجاهر بهذه المنكرات من الخمر والميسر والربا والرشوة والزنا واخذ اموال الناس بالباطل فهل ترى مع هذه الاعمال اسلاما صحيحا وان المسؤولية في حدوث هذه المنكرات انما هي على الملوك والرؤساء والمالكين ازمة الحكم والممسكين بكراسي الامر والنهي فلو انهم اطاعوا الله والرسول بقدر اطاعتهم للكافر المستعمر لانجز لهم الله وعده ولجعل لهم الامر والنهي وكانوا المستعمرين لا المُستَعمَرين وسوف يأتي من الآيات الكثيرة الدالة على ان من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فهو من الكافرين :

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) :

خاتمة : في تعيين الطريق الذي يتحقق به السمع والطاعة : -

لقد تحقق مما تقدم ان صفات المؤمنين التى ذكرها النبي (ص) تتحقق كلها في السمع والطاعة وانما يتحقق السمع والطاعة بالنسبة الى الامر الصادر من الله وهو الذي يريده الله من العبد ، واما اذا كان العبد هو الذي يختار بعض الافعال الموافقة لهواه ويفعلها ثم يقول كما اخبر الله عنه (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون) (٢) فهذا لا يثمر سوى الوبال فان الامر اول ماينزل من السماء الى الارض انما ينزل على الرسول فيكون الرسول هو المكلف باثبات كون الخبر الواصل اليه من الله فالملك الذي ينزل بالوحي اول الامر يحتاج الى معجزة تثبت كونه مبعوثا من الله

(١) سورة محمد آية ٧ :

(٢) سورة الاعراف آيه ٢٧ :

والا فالنبي يحتمل كون هذا الذي جاءه شيطانا يلقي اليه هذا الكلام ولا يتيقن انه ملك الا بالمعجزة والنبي انما يكون مصدقا عند امته بالمعجزة ايضا وبعد هاتين المرحلتين تكون الاحكام التى يأمر بها النبي متيقنة انها من الله فكل امر او نهي سمعه المكلف من النبي يقطع انه امر الله ونهيه اما بعد ارتحال النبي من الدنيا فالاحكام المذكورة في الآيات القرآنية اذا كانت من المحكمات ياخذ بها المكلف وبعد ذلك فالاحكام التي تكون متواترة عن النبي يرويها كل الصحابة اوجلهم واما غير ذلك مما يحتاجه المكلف او يبتلي به من الامور التى تحدث تدريجا فمن اين يأخذ حكمها ؟ وهنا لا بد من الرجوع الى اعلم الاصحاب بآيات القرآن وبسنة النبي بشرط ان يكون موثوقا في النفوس مأمونا من الكذب ومن الخطأ والسهو والنسيان هذا هو اقرب الطرق الى الوصول لاحكام الله الحقيقية ولقد دلت الآيات والاخبار على ان المتصف بهذه الصفات هو علي بن ابي طالب (ع) :

فقد روى الشيخ العلامة فقيه الحرمين مفتى العراقين الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب وفيما يلي نص كلامه :

الباب الرابع والسبعون في تخصيص علي عليه السلام

في معرفة علم الظاهر والباطن ثم ذكر الاسناد الى ان قال عن عبد الله بن مسعود قال ان القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وان علي بن ابى طالب عنده منه علم الظاهر والباطن ٥

وحكي في حلية الأولياء لابى نعيم مثله ج ١ ص ٦٥ ثم ذكر الكنجي بعد هذا عن سلمان قال قلت يارسول الله لكل نبى وصي فمن وصيك ؟ فسكت عني فلما كان بعد رآنى قال ياسلمان فاسرعت اليه فقلت لبيك قال تعلم من وصى موسى قلت نعم يوشع بن نون قال لِمَ ؟ قلت لانه كان اعلمهم يومئذ قال فان وصيي وموضع سري وخير من اترك بعدي ينجز

عدتي ويقضي دين علي بن ابي طالب :

وحكى عن الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة ابي سعيد عن سلمان مثله : (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الألباب) (١) لقد اطال المفسرون الكلام في هذه الآية الشريفة . وكثر الخلاف بينهم من جهات شتى فمنها :

كلامهم في معنى المحكم والمتشابه ، ومنها كلامهم في معنى التأويل ، ومنها كلامهم في معنى كون المحكمات ام الكتاب ، ومنها كلامهم في ان الواو في قوله تعالى : (والراسخون في العلم) هل انها واو العطف او انها للاستئناف وينبغي لنا قبل الكلام في هذه الامور ان نعرف ان هذه الآية هل هي من المحكمات او انها من المتشابهات ، ومما لا ريب فيه ان الآية الشريفة انما هي في مقام احكام وافهام لا في مقام اجمال وابهام فالقول بانها من المتشابهات لا يناسب المقام فان الآية نزلت لبيان ان الآيات القرآنية منها محكمات ومنها متشابهات ولبيان ان الذى في قلبه زيغ يتعلق بالمتشابهات لاجل فتنة الناس ولاجل تأويلها لما يناسب هواه واغراضه الفاسدة ، ولبيان تأويل القرآن وانما يعلمه الله والرسخون في العلم ومن اراد تأويله الصحيح ينبغي له الرجوع الى الراسخين في العلم والآية تريد افهام هذه الامـــور لعامة الناس .

فلو قلنا ان الآية متشابهة لا يمكننا ان نحتج بها على من في قلبه زيغ فانه يتشبه بما يوافق هواه فالكلام يقع في امور : -

الاول : - في معرفة المحكم والمتشابه ، اما المحكم فقد اتفق المفسرون

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

بانه الذى احكمت الفاظه بان حفظت من الاجمال والاشتباه وعلم المراد منه فان عبارات المفسرين وان اختلفت في تعريفه الا ان المعنى واحد .

واما المتشابهات فقد عرفّها المفسرون بتعاريف مختلفة واخصر عبارة جامعة في تعريفها هي قول الامام الصادق (ع) حيث سئل عن المحكم والمتشابه فقال :

(المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله) ولذا فسرها بعض اكابر المفسرين بقوله : (متشابهات) محتملات لا يعلم المراد منها إلا بالرجوع الى الراسخين في العلم فان اغلب المفسرين يرجع تفسيرهم للمتشابهات الى هذا المعنى وهو عدم العلم بالمراد من ظاهر اللفظ ولا يعرف المراد إلا بعد البحث والتنقيب او الرجوع الى الراسخين في العلم .

الأمر الثاني : في معنى الأم التى وصف الله بها المحكمات في قوله : (منه آيات محكمات هن ام الكتاب) فقد اتفق المفسرون على ان الأم هنا بمعنى الأصل الذي يرجع اليه عند الاشتباه فقد تحصل مما ذكر ان الآيات القرآنية منها محكمات ومنها متشابهات ، وان المتشابهات لا يجوز الأخذ بظاهرها الا بعد ارجاعها الى المحكمات وان ارجاع المتشابه الى المحكم لا يتمكن منه الا الراسخون في العلم وحيث ان سائر الناس لا يمكنهم الأخذ من الله فيلزمهم ان يأخذوا من الراسخين في العلم المستمدين من الله بواسطة النبي (ص) .

الأمر الثالث : ـ هل ان قوله تعالى : (والراسخون في العلم) معطوف على لفظ الجلالة او ان الواو للاستئناف .

لقد ذهب اكثر مفسري الامامية الى القول بالعطف وذهب اكثر المفسرين من غيرهم القول بالاستئناف اما مفسروا غيرهم لما كان من رأيهم ومبدأهم عدم وجود رجال متصفين بهذه الصفة اي لا يوجد في امة محمد

من يكون عالما بجميع العلوم وهو مع ذلك معصوم من كل عيب يكون في البشر اختاروا القول بالاستئناف اذ القول بالعطف يستلزم وجود الراسخين وهم لا يرون من يصلح لهذا المنصب في امة محمد واما القائلين بالعطف فانهم يرون وجوب وجود هؤلاء الاشخاص من الراسخين في العلم وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والوجدان فقولهم بالعطف الموافق لاصول القواعد العربية لا يلزمهم منه محذور : وهنا ينبغي التنبيه على امور الاول ان اتباع المتشابه امر اختياري يختاره من ساءت نيته وخبثت سريرته ولذا ذمه الله تعالى ووصفه بانه زائغ القلب وانه يمكن الوصول الى المعنى المراد منه بالبحث والتنقيب والرجوع الى الراسخين ويدل عليه تعريف الامام الصادق للمتشابه بقوله : (ما اشتبه على جاهله) ومثله جملة من الأخبار ويدل عليه ايضا قول الامام الرضا (ع) : (من رد متشابه القرآن الى محكمه هدى الى صراط مستقيم) فانه يدل على ان الرد امر ممكن لكل احد وذلك بالرجوع الى الراسخين ، الامر الثانى يدل على ان الواو للعطف الروايات الكثيرة لذكر جملة منها هنا فمنها :

ما ذكره العروسى في تفسيره نور الثقلين ج ١ ص ٢٦ مطبعة الحكمة بقم عن الامام الصادق في قوله تعالى : (هو الذى انزل) الى ان يقول (ع) وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم امير المؤمنين والائمة (ع) .

ومنها في نفس الكتاب والصفحة ما يحكيه عن الاحتجاج للطبرسى عن امير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه :

ثم ان الله جل ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبطلون من تغيير كلامه قسم كلامه ثلاثة اقسام .

فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل : وقسما لا يعرفه الا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للاسلام ، وقسما لا

يعرفه الا الله والبياؤه والراسخون في العلم ، وانما فعل ذلك لئلا يدعي اهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم وليقودهم الاضطرار الى الايتمار لمن ولاه امرهم فاستكبروا عن طاعته تعززا وافتراء على الله واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله (ص) فالرواية ظاهرة في ان قوله : (والراسخون) معطوف على الله ويستفاد من الرواية ايضا الجواب عن السؤال عن سبب اشتمال الكتاب على المتشابه فان الظلمة وزائغي القلوب اذا عرفوا جميع ما في القرآن من العلوم بعبارات محكمة تزداد فتونهم في فتنة الناس فيكونون كلهم ابالسة ، ومنها ما في الكتاب نفسه ص ٢٦٢ رقم ٢٥ عن امير المؤمنين (ع) في حديث طويل وفيه يقول وقد جعل الله للعلم اهلا وفرض على العباد طاعتهم بقوله : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) فانها صريحة في كون الواو عاطفة .

ومنها ما ذكره العلامة المجلسي في البحار ج ١٩ اول منه ص ١٠٨ باب ما ورد عن امير المؤمنين في اصناف آيات القرآن وهو باب مفصل يذكر فيه الامام (ع) انواعا من العلوم ومما ذكر فيه انواعا من المتشابهات الى ان وصل الى ذكر طبقات المؤمنين في درجات الايمان وانه قابل للزيادة والنقصان واسند ذلك الى الآيات القرآنية ، ثم قال عليه السلام ولن يؤمن بالله الا من آمن برسوله وحججه في ارضه قال الله تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وما كان الله عز وجل ليجعل لجوارح الانسان اماما في جسده ينفي عنها الشكوك ويثبت لها اليقين وهو القلب ويهمل ذلك في الحجج وهو قوله تعالى : (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) وقال : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى : (ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) وقال سبحانه (وجعلنا منهم ائمة

يدعون بامرنا لما صبروا) الآية .

ثم فرض الله على الامة طاعة ولاة امره القوّم بدينه كما فرض عليهم طاعة رسول الله (ص) فقال : (اطيعوا الله واطيعوا الرسـول واولي الامر منكم) .

ثم بين محل ولاة امره من اهل العلم بتأويل كتابه فقال عز وجل : (ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وعجز كل احد من الناس من معرفة تأويل كتابه غيرهم لانهم هم الراسخون في العلم المأمونون على تأويل التنزيل قال تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) الى آخر الآية . وقال سبحانه : (بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم) فهذه العبارة من امير المؤمنين صريحة في كون الواو للعطف وانما ذكرنا العبارة بطولها لتكون حجة على من لم يعتبر ضرورة وجود الامام المؤتمن على العلوم الالهية ويدعى ان النبي اهمل امته ولم يعين لهم من يرشدهم لاحكام دينهم ، اما الامامية فيقرون ويعترفون بان النبي (ص) قد عين لامته اثنى عشر امامـا ليداوهم على احكام دينهم وهؤلاء عندهم جميع العلوم الدنيوية والاخروية ويدل على ذلك من الكتاب ما ذكره امير المؤمنين من الآيات في عباراته المتقدمة ، واما ما يدل عليه من السنة فالأخبار الكثيرة الدالة على ان علي بن ابي طالب هو اعلم الناس بعد رسول الله (ص) وقد ذكرنا جملة منها في تفسير آخر آية من سورة البقرة قبل هذه الآية ص ١١٧ ولنذكر هنا بعض الروايات الدالة على كون علي هو اعلم الامة بعد النبي (ص) منها :

ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير في الجزء الثامن ص ٣٣ عند الكلام في قوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم : . الخ) عند التعرض لذكر الحواس الباطنة قال ومنها الذكاء قال علي (ع) علمني

رسول الله (ص) الف باب من العلم واستنبطت من كل باب الف باب) فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي (ص) . انتهى كلام الفخر الرازي .

وقد ذكر هذه الرواية كثير من المفسرين فينبغي للانسان الفاهم ان يتأمل ويتدبر فيما يلقى به ربه من العمل هل يأخذ من هذا العالم او يأخذه ممن لاعلم له : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . ثم ان الفخر الرازي قد ذكر تحقيقا دقيقا لطيفا في هذه الآية سوف يذكر عند الوصول اليها فانه نافع لمن كان له قلب سليم :

ومنها ما في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٦٣ : -

روى بسنده عن عبد الله بن العباس قال والله لقد اعطى علي بن ابي طالب تسعة اعشار العلم وايم الله لقد شاركم في العشر العاشر .

ومنها ما ذكره المناوى في فيض القدير (ج ٤ ص ٣٥٦) قال النبي (ص) (علي عيبة علمي) والعيبة بفتح العين المهملة ما تجعل فيه الثياب كالصندوق والعيبة من الرجل : موضع سره .

وقال في الشرح : قال ابن دريد هذا من كلامه الموجز الذى لم يسبق ضرب المثل به في ارادة اختصاصه بالامور الباطنة التى لا يطلع عليها احد غيره وذلك غاية في مدح علي (ع) فقد كانت ضمائر اعدائه منطوية على اعتقاد تعظيمه .

نداء لذوى الالباب :

ايها المسلم :

ايها المسلم اللبيب المنصف : هل سمعت ان النبى علم احد من اصحابه الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب فصار عدد ابواب العلم لدى الامام باصطلاح العصر الحاضر (مليون بابا) يا ذوى الالباب .

اتذكرون هـذه الابواب المفتحة المنيرة اللواتي يتفجر منها العلم والحكمة ، وتتمسكون بباب مرتج ليس ورائه الا الظلمة فتمسكوا بهذه الأبواب من قبل ان يضرب بينها وبينكم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الى آخر الآية .

وهنا نذكر لك نبذة من كلام المؤرخ الصدوق المسعودي في كتابه اثبات الوصية المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ص ١١٧ حيث قال : واختلف المهاجرون والأنصار فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال قوم من المهاجرين سمعنا رسول الله (ص) يقول الخلافة في قريش فسلمت الأنصار لقريش بعد أن ديس سعد بن عبادة ووطئوا بطنة وبايع عمر بن الخطاب أبا بكر وصفق على يديه ثم بايعه قوم ممن قدم المدينة ذلك الوقت من الأعراب والمؤلفة قلوبهم وتابعهم على ذلك غيرهم واتصل الخبر بأمير المؤمنين بعد فراغه من غسل رسول الله (ص) وتحنيطه وتكفينه وتجهيزه ودفنه بعد الصلاة عليه مع من حضر من بني هاشم وقوم من الصحابة كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وابي بن كعب وجماعة نحو اربعين رجلا فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان كانت الامامة في قريش فانا احق قريش بها وان لاتكن في قريش فالأنصار على دعواهم ثم اعتزلهم ودخل بيته فأقام فيه ومن اتبعه من المسلمين وقال .

(ان لي في خمسة من النبيين) اسوة نوح اذ قال اني مغلوب فانتصر وابراهيم اذ قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله ، ولوط اذ قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ، وموسى اذ قال ففررت منكم لما خفتكم وهارون اذ قال : ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني) .

ثم الف (ع) القرآن وخرج الى الناس وقد حمله في ازار معه وهو ينط من تحته . فقال لهم (هذا كتاب الله قد الفته كما امرني واوصاني

رسول الله (ص) كما انزل) فقال له بعضهم اتركه وامض فقال لهم إن رسول الله (ص) قال اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فان قبلتموه فاقبلوني معه احكم بينكم بما فيه من احكام الله فقالوا لاحاجة لنا فيه ولا فيك فانصرف به معك لانفارقه ولا يفارقك فانصرف عنهم : فاقام امير المؤمنين (ع) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد اليه رسول الله (ص) فتوجهوا الى منزله فهجموا عليه واحرقوا من به واستخرجوه منه كرهاً .

وبعد هذا نقول لمن يجعل الواو للاستيناف : ان الآيات المتشابهات في القرآن كثيرة وهي تتعلق بالعبادات والمعاملات وغيرها وان كثيراً من الناس يحتاجون اليها فعلى من يعولون ولمن يلجئون وان زائغي القلوب كل يفسرها بما يطابق هواه وما تشتهيه نفسه ويلزم على المؤمنين ان يتركوها على ماهي عليه من الأجمال . فما الفائدة إذاً من انزالها وما الذي يستفاد منها سوى تشهث ذوى القلوب الزائغة بها وهذا القول مخالف للعقل فلا ينبغي ان يصار اليه وأما الدليل على مايعتقده القائلون بوجوب وجود عالم بجميع علوم النبي عقلا فان دليلهم من العقل هو ان الأمة كما انها محتاجة الى الرسل في طاعة الله كذلك محتاجة الى الوصي والخليفة وليس اضطرارهم مختصاً بوقت دون آخر ، ولا بحالة دون اخرى ولا يكفي وجود الكتاب والسنة في رفع الحاجة بين الأمة فان كل طائفة تستند الى الظاهر من بعض الآيات على مبدئها الذي ذهبت اليه فالكتاب وحده لايكفي لرفع التخاصم لما عرفت من ان فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمأول وغيرها من الأقسام والسنة كذلك فيها المحكم والمتشابه وغيرها مع جهل اكثر الناس بمعاني الألفاظ وتشتت اهوائهم وزيغ قلوبهم فلا ينكر ضرورة وجود الوصي الا مكابر :

ثم ان عقيدة كل مسلم : ان الله أوجب على نفسه اللطف بعباده ولا ريب أن وجود الامام العالم في كل زمان لطف اذ بوجوده يجتمع الشمل وينتصف من القوى للضعيف ومن الغني للفقير ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل وبدونه تتعطل اكثر احكام الدين واركان الأسلام واعتقادنا ان الله لايفعل بعباده إلا ماهو الأصلح لهم ولا ريب ان نصب الامام العالم العادل هو الأصلح إذ بوجوده ينتظم امر المعاش والمعاد والدين والدنيا وبدونه تختل جميع هذه الأمور ويفسد نظام الدنيا والدين :

ثم انه قد اتفق اكثر علماء الأمة بان عادة الله قد جرت في جميع الانبياء من آدم الى محمد (ص) انه لم يقبض نبياً حتى يعين له خليفة ووصياً يقوم مقامه في ارشاد امته وتعليمهم احكامه وجرت عادة نبينا (ص) انه متى سافر عين خليفة في المدينة وعلى ذلك جرت عادة الرؤساء والوزراء والولاة والتجار وسائر الناس فكيف يمكن لعاقل ان ينسب لأشرف النبيين وافضل المرسلين تخلفه عن هذه السنة مع ان شريعته باقية الى يوم القيامة ، ولا يمكن ان يقال ان الأمة هي التي تعين خليفة يقوم بهذه الأمور لأن الذي يقوم مقام النبي يلزمه ان يكون عالماً بجميع علوم النبي بحيث لاتعسر عليه مسألة من امور الدين والدنيا وهذا الشخص لايعرفه ولا يشخصه الا الله ورسوله ولو اغضينا عن هذا فكيف يمكن ان يؤخذ آراء جميع الأمة مع تفرقها في البلاد وبعدها الشاسع بعضها عن بعض :

ومن الذي يتولى جمع آرائهم : ولو فرضنا امكان ذلك فكيف يمكن اتفاقها على رجل واحد جامع للصفات المؤهلة له لهذا المنصب الجليل مع مانرى من اختلاف اهل بلدة واحدة على اختيار رئيس للبلد أو اختيار مختار للمحلة وقد ينجر بل وكثيراً ماينجر ذلك الى التخاصم والشتم أو التضارب بالأيدي أو بالسلاح للقتال فيذهب لصحية الأختيار والانتخاب جملة من النفوس هذه

في اختيار المختار فكيف في اختيار الرئيس لعامة المسلمين في اقطار الأرض شرقها وغربها سهلها وجبلها برها وبحرها بدوها وحضرها :

ثم ان الذي يجعل رئيساً عاماً وهو المعبر عنه بالأمام لايمكن ان يكون من سائر الناس بل يلزم أن يكون معصوماً من سائر العيوب التي تكون في الناس من قبيل الخطأ والنسيان وعدم معرفته بعض الأحكام او الميل في الحكم الى من يحبه من قرابة او صديق بل وان العصمة لما كانت من الصفاة الباطنية التي لايطلع عليها الا العالم بالسرائر والضمائر :

ولا يمكن ان يعين الامام إلا الله تعالى وليس في العالم كله من يمكن أن يقال بعصمته وجامعيته للعلوم وإرثه لعلوم النبي غير علي بن أبي طالب وباقي الأئمة من ذريته ويكفينا في هذا المقام رواية واحدة يرويها احد العلماء فانها تكفي لطالب الحق :

ذكر سماحة العلامة الكبير المجاهد الشيخ محمد مرعي الأمين الانطاكي في كتابه (لماذا اخترت مذهب الشيعة) المطبوع سنة ١٣٨٢ هـ ص ٢١٦ تحت عنوان قول النبي (ص) هذا علي أخي وخليفتي ووارث علمي : قال روى الترمذي الحنفي في الكوكب الدري - ١ - عن عمران قال لما عقد رسول الله (ص) المواخات بين اصحابه قال هذا علي أخي في الدنيا والآخرة وخليفتي في اهلي ووصي في امتي ووارث علمي وقاضي ديني ماله مني ومالي منه نفعه نفعي وضره ضري من احبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني :

واخرج القندوزي الحنفي في ينابيعه ص ٣٥١ نحوه : انتهى كلامه وعن القندوزي الحنفي في ينابيعه الباب ١٤ عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن عباس قال ص ٧٩ : قال النبي (ص) لما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني فما علمت شيئاً الا علمته علياً فهو باب علمي : وقد ذكرنا

ان الأدلة على معتقد من يقول بامامة الأئمة الأثنى عشر هي الكتاب والسنة والعقل والوجدان :

وقد تقدم ذكر الكتاب والسنة والعقل وبقى الوجدان وهو مايراه أهل العلم والفهم من العلوم الصادرة منهم على كثرتها وتنوعها فان لكل واحد من الائمة مانقله المؤرخون عنهم من انواع العلوم وقد نقلوا عنهم من فنون العلم مامملأ بطون الكتب والدفاتر . والفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة فان المنصف اذا نظر الى نهج البلاغة وعرف ما فيه من الكلام في انواع العلوم يكفيه ذلك ان كان من أهل العلم . اما اذا كان لايعرف شيئاً من معاني خطبه ورسائله وحكمه المذكورة في النهج فلا عتب عليه ولا يفيدنا اعترافه :

وكذا بالنسبة الى بقية الأئمة فلينظر طالب الرشد تراجمهم وما نقل عنهم من العلوم منها توحيد المفضل والملحق به المسمى بالاهليلجة : يا طالب الرشد انظر الى كتاب قضاء امير المؤمنين وما فيه من عجائب القضايا التي تبهر العقول ، انظر الى القضايا التي لم يهتد الى حلها الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه ثم بعد الحيرة رجعوا اليه فحلها لهم من غير تأمل وتوقف بأسرع من طرفة عين وان هذه المسائل التي اضطر الخلفاء إلى مراجعة علي بن ابي طالب فيها انما هي حجة من الله على سائر الخلق الحاضر منهم في ذلك العصر والمتأخر عنهم . لا سيما العارف منهم منزلة العلم فليس له مجال لانكار تقدمه في العلم الموجب لتقدمه في الخلافة .

يا طالب الرشد : ان الله قد اوضح لك الرشد في كتابه : قال (قد تبين الرشد من الغي) وفسر ذلك النبي (ص) في اقواله وخطبه فقال : (ما من شيء يقربكم الى الله الا وقد امرتكم به) وان العقل السليم يحكم حكماً باتاً بأن الأصول الاعتقادية يلزم ان يؤخذ من منبع يقيني لا يتطرقه

الشك كالآيات القرآنية وأقوال النبي الجلية الواضحة :

أما بالنسبة الى الآية المجملة المتشابهة او كلام النبي المجمل فيلزم أن يفسره لك احد الراسخين في العلم او باب مدينة العلم حتى لا يبقى لك شك فيه وان باب المدينة اذا فتحت تفتح طبعاً الى الداخل فتكون راسخة في العلم فيكون الباب عين الراسخ في العلم ومنه تؤخذ العلوم فلا مجال للأخذ من غيره فمن اخذ من غيره هذين الطرفين يلزم ان يسنده الى الله او الى الرسول فان الله سوف يسأله عن حجته في ذلك فان كان له جواب يدل على اخذه من الله أو الرسول فهو المطلوب وإلا فليس أمامك شيء تجيب به الله الا أحد أمرين لا غيرهما .

الأول : ان تقول انا وجدنا آبائنا على هذه الطريقة فاقتدينا بهم وقد أشار الله في القرآن الى بطلان هذا الجواب وعدم الاستفادة منه لقوله تعالى في سورة الزخرف (قال مترفوها انا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ثم بين الله سخافة هـذا القول بأن الإنسان ليس له أن يتخير الطريقة التي يعبد الله بها وان الله هو الذي يختار لعباده ما هو الأصلح وأن العبد اذا كان مشفقاً على نفسه ينبغي له ان يرضى بما اختاره الله له فقد بين الله بطلان جوابهم على لسان رسوله بقوله : (قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون) (١) :

يا طالب الرشد : اتعرف الطريقة التي هي اهدى مما وجدت عليه آبائك انا اعرفك بها : هي الطريقة الموافقة للكتاب والسنة والعقل والوجدان وهي التي كتب فيها العلماء آلافاً من الكتب الاستدلالية المشتملة على الحجج القوية المأخوذة من الكتاب والسنة ، ومع جميع هذه الكتب يقول لهم ظالم

---

(١) سورة الزخرف ٢٤ .

نفسه انا بما جئتم به كافرون ، ولقد قالوا هذه الكلمة لامام العلماء وهو أمير المؤمنين وسيد الوصيين كما ذكرت لك في ص ١٦٢ عن كتاب اثبات الوصية للمسعودي ان علي بن أبي طالب الف القرآن وخرج الى الناس وقد حمله في ازار معه وهو ينط من تحته فقال لهم (هذا كتاب الله قد الفته كما أمرني وأوصاني رسول الله (ص) كما أنزل) فقال له بعضهم اتركه وامض : فقال لهم ان رسول الله قال لكم اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فان قبلتموه فاقبلوني معه احكم بينكم بما فيه من أحكام الله ، فقالوا لا حاجة لنا فيه ولا فيك فانصرف به معك لا تفارقه ولا يفارقك . انتهى .

أنظر الى هذا الكلام وانظر الى الآية الشريفة : (قال او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آبائكم : قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) (١) : فان كلامهم هذا مطابق لمضمون الآية : فلا ينفع جواباً يوم الحساب .

واما الجواب الثاني : هو الذي حكاه الله عمن يخالف الطريق الذي عينه الله ورسوله للأمة ويسلك طريقاً مخالفا للقرآن والسنة . فاذا سأله الله يوم الحساب عن السبب الذي دعاه للخلاف : يجيبه بعد أن يتمنى انه لو أطاع الله والرسول بقوله : (يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) (٢) ولكن التمني لا ينفع ولا يجدي فانه طلب مالا طمع في وقوعه ؛ ثم يقولون كما اخبر الله عنهم : (وقالوا ربنا انا اطعنـــا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيل) (٣) .

---

(١) سورة الزخرف ٢٤

(٢) سورة الأحزاب ٦٥

(٣) الاحزاب ٦٧

يا طالب الرشد : ان الذي يخالف اوامر الله مرة يكون داعية الهوى والنفس والشيطان بحيث ، يترك امر الله ولا يفعل شيئاً آخر ، ومرة أخرى يكون الترك لأجل ان يكون عمله مخالفا لأمر الله فيأخذ بأمر سيده وكبيره الذي لم يجعله الله سيداً ولا كبيراً وانما صار سيداً وكبيراً بالقوة والقهر فهذا الذي يطيعه ويعمل بأمره لا يكون سبب مخالفته الهوى والشهوة وانما خلافه العناد لله ومشاقة لله ولذا يتمنى في ذلك اليوم ان يكون قد اطاع الله فهذه الآية تنبيهاً لكل من يتخذ سيداً واميراً غير منصوب من الله وغير منصوص عليه من رسول الله وهذا أمر يعرفه العالم العارف بالكتاب والسنة فانه يميز بين الصالح للامارة وغير الصالح ، ويلزمه ارشاد الناس والعوام الى الصالح لها وردعهم عمن لا يصلح فاذا أمرهم على متابعة غير الصالح فقد أضلهم واعماهم ، فيكون هو من الكبراء المتبَعين والمتبِعين (بالفتح والكسر) هذا بالنسبة الى العصور السابقة حيث كانت الأمية غالبة على الناس وليس لهم مجال إلا التقليد الأعمى في الأصول والفروع .

أما بالنسبة الى العصر الحاضر فقد كثرت فيه المدارس وعم التعليم وتثقف الرجال والنساء فكل واحد عليه ان يفحص ويفتش عن أمور دينه وما يلزمه من الطريقة التي يتبعها فلا يكفيه أن يرى اباه سائراً على طريق فيسير فيه أو متخذاً طريقه خاصة فيتبع تلك الطريقة ، وقد أصبح للشباب يعرف ويميز المعقول والمنقول ، ويعرف الصحيح من السقيم ، والحق من الباطل فعليه ان يرجع الى سيرة النبي (ص) ويدرس أقواله وأفعاله من الكتب المعتبرة الصحيحة الصادقة التي يعترف بها جميع علماء الأمة ، فيعرف بماذا كلفه ربه وهل جعل لنفسه وصياً وخليفة يرجع الناس اليه اذا التبست عليهم الأمور .

وعلى الشباب ان يراجعوا كتب كل فرقة فيطلعوا على ادلتهم وحجتهم

فيما اختاروا من تقديمهم من قدموا في الخلافة وهل يجوز بحكم العقل والنقل ان يقدم المفضول ويجعل زمام الحكم بيده ويترك العالم بجميع الأمور جليس داره مع كونه جامعاً لجميع الفضائل والصفاة الموجبة للتقديم من علم وزهد وكرم وحلم وشجاعة وعبادة وغيرها وغيرها ثم ان الله عز وجل قد أخبر هذا القسم من الناس وهم الذين يختارون رجلا من سائر الناس مهما كان من الجلالة والعظمة والجاه والمال فيجعلونه اميراً عليهم ويسمونه خليفة رسول الله وأمير المؤمنين : ولكنه ليس منصوباً من الله ورسوله فقد حكى عنهم عند وقوفهم بين يديه او عند دخولهم النار كما هو صريح الآية فانهم أولا يبدون ندمهم وتأسفهم على عدم اطاعة الله ورسوله : (يوم تقلب وجوهم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) .

ثم يقدمون العذر الواهن البارد والسخيف الى الله ظناً انه ينفعهم : (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيل) فاذا رأوا ان هذا العذر لا ينفعهم شيئاً ولا يخفف العذاب شيئاً : حينئذ يطلبون ان يضاعف العذاب على هؤلاء السادات والكبراء حيث كانوا السبب في اضلالهم : (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) لما علموا ان المتبوع كان على خلاف الحق وان اتباعهم له ايضاً على خلاف الحق طلبوا من الله ان يضاعف عليهم العذاب وان يلعن هذا الكبير بزعمه لعناً كبيراً ليناسب الجزاء صفته الباطلة المزعومة فهو يزعم انه كبير والهاءه يزعمون انه كبير ولذا يطلبون من الله ان يلعنهم لعناً كبيراً . ولعل القارىء يستغرب ما ذكرنا من جعل العاصي التارك لأمر الله من جملة الكافرين ويقول ان الموحد اذا عصى الله وترك بعض اوامره لا يكون كافراً فنقول له ان بعض المعاصي اذا صدرت من العبد تخرجه من زمرة المؤمنين وتجعله من الكافرين ، وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين في ذكر اصناف آيات القرآن في المجلد ١٩ من

البحار جزء الأول ص ١٠٩ قال في بيـان انواع المتشابهات واما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه منها :

كفر الجحود وهو ينقسم على وجهين ، ومنها كفر الترك لما أمر الله تعالى به ومنها كفر البراءة ومنها كفر النعم ، اما كفر الجحود فأحـد الوجهين منه جحود الوحدانية وهو قول من يقول لارب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية الذين يقولون وما يهلكنا الا الدهر وذلك رأي وضعوه لانفسهم استحسنوه بغير حجة فقال الله تعالى : (ان هم الا يظنون) وقال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يؤمنون بتوحيد الله والوجه الآخر من الجحود مع المعرفة بحقيقته قال تعالى :

(وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلمـاً وعلوا) وقال سبحانه : وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (١) أي جحدوه بعد ان عرفوا :

وأما الوجه الثالث من الكفر فهو كفر الترك لما أمرهم الله به وهو من المعاصي ، قال الله سبحانه وتعالى :

(واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون) الى قوله (افتؤمنون ببعض الكتـاب وتكفرون ببعض (٢) فكانوا كفاراً لتركهم ما أمر الله تعالى به فنسبهم الى الايمان باقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن فلم ينفعهم ذلك بقوله تعالى : (فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزي في الحياة الدنيا) (٣) الى آخر الآية .

---

(١) سورة البقرة ٨٩ .

(٢) و (٣) سورة البقرة ٨٥ .

وأما الوجه الرابع من الكفر فهو ماحكاه الله في قول ابراهيم (ع) : (كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) (١) فقوله كفرنا بكم أي تبرأنا منكم وقال سبحانه وتعالى : في قصة ابليس وتبرئه من أوليائه من الانس يوم القيامة : (اني كفرت بما اشركتموني من قبل) أي تبرأت منكم وقوله تعالى : (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) الى قوله : (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) (٢) الآية .

وأما الوجه الخامس من الكفر وهو كفر النعم فان الله تعالى حكى عن قول سليمان : (هـذا من فضل ربي ءأشكر ام اكفر) (٣) وقوله عز وجل : (لأن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) (٤) وقال تعالى : (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (٥) انتهى محل الحاجة من كلام امير المؤمنين ، وبعد اطلاع القارىء عليه يتضح له ان بعض المعاصي توجب دخول العاصي في زمرة الكافرين .

تحقيق دقيق في كلمتين من الآية وهما في قوله تعالى : (والراسخون في العلم) الأول في معنى الرسوخ والثاني في المقصود من العلم اذا اطلق كما في الآية اما معنى الرسوخ فقد اتفق اهل اللغة واهل التفسير على ان معنى الرسوخ هو الثبوت او اشد الثبوت بحيث لا يمكن ان يزول عن مكانه من ذات نفسه الا ان يزيله الذي ارسخه او من يساويه في القدرة فيقال رسخ

---

(١) سورة الممتحنة ٤

(٢) سورة العنكبوت ٢٥

(٣) سورة النمل ٤٠

(٤) سورة ابراهيم ٧

(٥) سورة البقرة ١٥٢

الحبر في الصحيفة فالصحيفة اذا حفظت من الطوارىء والاحداث والآفات لا يزول عنها الحبر إلا ان يزيله المرسخ والكاتب او من يساويه او الخالق للجميع المرسخ ومن الراسخ والمرسوخ فيه كما في الصحيفة التي علقها قريش في الكعبة حين بعث الله عليها الارضة فازال حبرها فكل شيء يكون زواله ممكناً لا يقال له راسخاً كالعلم الذي يحصل بالتعلم فانه قابل للزوال بالنسيان دفعة او تدريجاً اذا تركه صاحبه .

ثم اذا حصل انسان في آخر عمره على شيء من العلم مدة سنة اوسنتين او ثلثا اوربع عمره أو ثلثه او نصفه فهل يسمى راسخاً او ان الذي يطلق عليه لفظ الراسخ يشترط ان يكون راسخاً من اول ادراكه ورشده بل من زمن طفولته بل حين تولده يكون عاقلا يتكلم بالحكمة كما تكلم ابراهيم وموسى ويحيي وعيسي والنبي محمد (ص) ، بل يكون علمه حين وجوده في بطن امه كما هو منقول عن الانبياء وعن الامام علي (ع) انه كان يمنع أمه من الدخول من الباب التي نصبت عليها الاصنام وكان يكلمها حتى ان اخاه جعفر سمع يوماً كلامه فغشي عليه .

فالرسوخ انما يطلق على من كان متصفاً فيه من اول وجوده اما الذي قضي كل عمره او اكثره جاهلا لايعرف شيئاً او قضى عمره في عبادة الاصنام ثم حصل على بعض العلوم اكتسبها من الرجال فهذا لايسمى راسخاً ذكر في سفينة البحار ج ١ ص ٥٢٠ قال الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي : الراسخ في اللغة هو اللازم الذي لايزول عن حاله ولا يكون كذلك الامن طبعه الله تعالى على العلم في ابتداء نشوئه كعيسى (ع) في وقت ولادته (قال اني عبدالله اتاني الكتاب ... الآية) .

وأما من بقى السنين الكثيرة لايعلم ثم يطلب العلم فيناله من جهة غيره على قدر مايجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين يقال رسخت عروق

الشجر في الارض ولا يرسخ إلا صغيراً والائمة الاثني عشر (ع) مالقل عن واحد منهم انه قعد عند معلم ولا تردد الى فقيه ولا الى محدث فعلم الله تعالى ان المبطل يقول كل واحد منهم تعلم من أبيه فقبض الله تعالى الرضا (ع) ولولده الجواد ثمان سنين :

وقبض الجواد (ع) ولولده الهادي عليه السلام ثمان سنين ومع هذا لم يقصرا عن علم آبائهما ولا ترددا الى معلم ولا فقيه ولا اخذا عن احد شيئاً من العلم بل كان علمهم (ع) افاضة من الله تعالى وكذلك علم أمير المؤمنين (ع) مايخلو من ان يكون افاضة من الله بدعاء الرسول (ص) فسرى ذلك في ولده أو ان النبي اطلعه على اسرار وعلوم ما اطلع عليها غيره من القراءة والصحابة وكلا الوجهين يدلان على فضل عظيم وخطر جسيم : انتهى :

ثم ان الرسوخ وهو الثبوت اللازم الذي لايزول يحتاج تحققه الى موضوع ومحمول ، فكل مورد اذا اردنا ان يخبر عن رسوخ شيء في شيء لابد وان نذكر الراسخ والموسوخ فيه :

فاذا اردنا ان نعرف شخصاً او نخبر بعدم زوال علمه ينبغي ان نقول ان علم فلان راسخ في صدره اوفي قلبه ، او نقول فلان راسخ العلم بالاضافة . اما الرجال الذين اختصهم الله بالعلم فقد جعلهم راسخين في العلم لا أن العلم راسخ في صدورهم ولا يخفى مافي هذا التعبير من العظمة اذ الفرق بين التعبيرين بعيد : فان الذي يرد عليه العلم اذا لم يعمل به يكون زواله اسهل شيء كما ذكره الله تعالى في قصة بلعم بن باعورا بقوله « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان » (١) اما اذا كانت الذات هي الواردة على العلم الراسخة فيه فانغمست فيه غمساً

(١) سورة الاعراف ١٧٤.

فهذه قد انكشفت لها الحقائق اذ العلم لايكون في صدره فقط وانما يكون محيطاً به من جميع جوانبه ويكون نظره بقلبه كنظره بعينه بل اشد من ذلك وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله : (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقينا » .

وحكى عن كتاب المحاسن والمساوىء قال : وروى أن عدي بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : اين الطرفات يعني طريفا وطارفا وطرفة قال : قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب (ع) فقال : ما انصفك ابن أبي طالب اذ قدم بنيك واخر بنيه . قال بل ما انصفت انا علياً اذ قتل وبقيت . قال : صف لي علياً . فقال : ان رأيت ان تعفيني قال : لا أعفيك . قال : كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول عدلا ويحكم فصلا تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته . وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة . يحاسب نفسه اذا خلا يقلب كفيه على مامضى يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويدنينا اذا اتيناه ، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه لهيبته ولا نرفع اعيننا اليه لعظمته - الخ .

انظر الى هـذا العبد الصالح الذي نور الله قلبه كيف عرف معنى الراسخين في العلم فوصفه في قوله تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه .

ويمكن ان تكون الآية التي قبل هذه الآية وهي قوله تعالى : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (١) فيها الاشارة الى ارساخ هؤلاء الرجال في العلم والحكمة وهم في بطون امهاتهم لأن الكيف يشمل جميع الصفات ولا يختص بالصور الظاهرية .

---

(١) سورة آل عمران : ٦ .

هذا مايتعلق بكلمة الرسوخ وأما بالنسبة الى كلمة العلم فان لفظ العلم اذا اطلقه الله الخالق للعلم فان الذي يسبق الى الذهن ويتبادر من الاطلاق هو كل علم موجود في الدنيا . حين نزول الآية او وجد بعـد ذلك فان الله انما خلق اصناف العلوم لينتفع بها الناس ولابد أن يتوصل اليه بعض الناس او يلهمهم الله اياه لكي ينفعوا بها البشر ، فاذا تأملنا في لفظ العلم الوارد في قوله تعالى : (والراسخون في العلم) نراه يشمل جميع العلوم ولا يخص علماً واحداً ولا يخص العلوم التي تخص الشريعة او الدين وانما يعم العلوم الدنيوية والأخروية ، وان العقل ليحكم بلزوم وجود مثل هؤلاء الرجال الحاوين للعلوم كافة وإلا فلا فائدة في خلقهـا وايجادها لو بقيت مستورة عن البشر .

وليس في امة محمد (ص) من قيل في جمعهم لهذه العلوم الا الأئمة الاثنى عشر الذين قالت طائفة من الأمة بامامتهم لأنها قد رأت منهم الخوض والبحث في جميع العلوم التي كانت العقول تقبلها في زمانهم ولهم كلمات تشير الى العلوم التي حـدثت في العصور المتأخرة عنهم كقول علي بن أبي طالب (ع) : (لو شئت لجعلت لـكم من المـاء نارا) يقول بعض من شرح هذه الكلمة وهو محمد أحمد مهدي في كتابه (القرآن والناس محمد والناس : على والناس ص ٣٦) من جملة كلامه لقد توفق علماء الغرب الى الكشف عن مغالق الكلمة التي ازجاها الامام منـذ الف ونيف من السنين بان طلعوا على العالم بعد جهد مرير وغوص بعيد بنتائج القنبلة الذرية التي حيرت الأفكار وملأتها اعجابا فكانت أعجوبة القرن العشرين .

ولقد اوضحوا ان اجزاء الماء مكونة من عناصر مختلفة كالايدروجين (بمشتقاته الثلاث حالياً) والأوكسجين وما الى ذلك . واليك مايقرره احد اولئك العلماء اذ يقول : (ان تحطيم ذرات ملء فنجان شاي من الماء)

يمد محطة توليد كهربائية قوتها مأة الف كيلو وات بالقوة المحركة لها لمدة عام : انتهى محل الحاجة من الكتاب المذكور .

وكم لعلي (ع) مثل هذه الكلمة وكم له من كلمات حكمة وكم له من خطب ومواعظ وكم الف فيه من كتاب :

فقد ظهر مما ذكر ان الراسخين في العلم هم الذين لم يقتصر علمهم ببعض العلوم دون بعض ولم يعجزوا عن بعض العلوم بل كل علم لديهم واضح جلي كعلم اجهل الناس بطلوع الشمس مالم يكن اعمى العينين وهم الذين عناهم الله بقوله : (والراسخون في العلم) الذين يعلمون تأويل القرآن الذي فيه علم ماكان وما يكون .

وقد تحصل من هذه الآية الأمور التالية :

١ ـ ان الآيات القرآنية على قسمين منها محكمات ومنهامتشابهات :

٢ ـ ان المحكمات هن الأصل الذي يلزم الرجوع اليه في معرفة مايراد من المتشابهات :

٣ ـ أن الذي يرجع المتشابه الى المحكم ويخبرنا بالمراد منه هم الراسخون في العلم ويلزم الرجوع اليهم :

٤ ـ ان الذي يتبع المتشابه باجتهاده ويؤوله على مايشتهيه هواه بلا رجوع الى أهل العلم هو زائغ القلب بصريح القول :

٥ ـ الذي تحقق من هذه الأمور الأربعة ومن قوله تعالى : (هن ام الكتاب) ان كل تفسير وتأويل للايات المتشابهات اذا لم يرجع الى آية محكمة فهو باطل لاعبرة فيه ولا يعتمد عليه ولا يمكن الاستدلال به على شيء ولذا نرى الائمة الاثنى عشرقد اوصوا الناس بأن كل ماجائكم منا فاعرضوه على القرآن فان كان موافقاً فخذوا به والا فردوه الى الذي جائكم به :

فالآية الشريفة تحكم ببطلان كل استدلال واحتجاج بآية متشابهة مالم يكن مستندا على آية محكمة وبعبارة اخصر واصرح أن الله عز وجل امر عباده ان يأخذوا احكام دينهم من القرآن ، اما الحكم المبين في آية محكمة فيعرفه أهل اللسان ولا يحتاج الى من يفسره ويؤوله وأما الحكم الذي يكون في آية متشابهة فيلزم الرجوع فيه الى أهل العلم وهم الذين دل الله عليهم بقوله : « والراسخون في العلم » فلا يجوز لأحد من الأمة ان يجزم بحكم يأخذه من آية متشابهة الا بالرجوع الى أهل العلم وقد دلنا النبي (ص) على أهل العلم الراسخين فيه بقوله : (أنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وقد عرفنا النبي (ص) ان الكتاب لايفارقهم وهم لايفارقوه حتى يردا على النبي حوضه فمن اخذ بواحد وترك الآخر فقد تركهما معاً ولا ينتفع بالكتاب وحده لانهم هم المفسرون له ولا تكفي الآيات المحكمة لأمور الدين اذ أن الكثير من احكام الدين في الآيات المتشابهة فان اخذ منها برأيه هلك وان تركها بقي ناقص الدين وان أخذ بقول غير الراسخين كان في الآخرة من أهل الجواب الثاني الذي تقدم عن قريب وهم الذين يقولون (ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا) فقد تعين على المؤمن ان يأخذ احكام دينه ممن نص عليهم الرسول (ص) وثبتت عصمتهم باجماع أهل العلم وبالتواتر وبآية التطهير وغيرها من الآيات .

تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٦٤ رقم الخبر ٤٣ في اكمال الدين واتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت علياً (ع) يقول : (مانزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن الا أقرأ نيها واملاها علي واكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله عز وجل ان يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله

ولا علما املاه علي فكتبته وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان او يكون من طاعته ومعصيته الا علمنيه وحفظته فلم انس منه حرفا واحداً والحديث طويل) .

بقي شيء يتعلق بما نحن فيه وهو ان الذي يعلم من الآية بان الناس ثلاثة أقسام .

القسم الاول هم الراسخون في العلم وقد ذكرهم الله ووصفهم بما يستحقونه من الوصف ويقابل أهل العلم طبعا غير أهل العلم وهم قسمان الاول هم أهل القلوب الزائغة وهم الذين يتبعون المتشابهات وقد مر ذكرهم أيضا .

والقسم الثاني من غير أهل العلم هم اهل الدين والصلاح والتقوى وهم المتبعون لاهل العلم في اقوالهم وافعالهم المتهاعدون عن زائغي القلوب ، وهذا القسم لم يذكر في الآية صريحا ثم ان قوله تعالى : (يقولون آمنا به .. الخ) اما ان تكون جمله حالية من الراسخين على القول بكون الواو عاطفة اوانها خبر على القول بالاستئناف واهل التفسير لم يذكروا غير هذين الوجهين فمن قال بالعطف جعل الجملة حالا من الراسخين ومن لم يقل بالعطف جعلها خبراً للراسخين ولكن يمكن أن تكون الجملة خبراً عن القسم الثالث من الناس الذي لم تذكره الاية صريحاً كما جاء ذلك في الرواية عن احدهما والهك الرواية بنصها قال في نور الثقلين ج ١ ص ٢٦٣ رقم ٣٥ علي بن محمد عن عبد الله ابنا علي عن ابراهيم بن اسحق عن عبد الله بن حماد عن بريد بن معاوية عن احدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) فرسول الله (ص) افضل الراسخين في العلم قد علمه الله عز وجل جميع ما انزل عليه من التنزيل

والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله واوصيائه من بعده يعلمونه كله :

والذين لايعلمون تأويله اذا قال العالم فيهم بعلم (١) فاجابهم الله بقوله: (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (٢) والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ . فالراسخون بالعلم يعلمون :

فعلى هذا يكون قوله تعالى : (وما يذكر الا أولو الألباب) (٣) أما مدحاً للراسخين وهو دون مدحهم بالرسوخ بالعلم فان الرسوخ بالعلم يشمل جميع الصفات . واما مدحاً للتابعين لهم المقتدين بهم وهو فوق مدحهم بالاقتداء والاعتقادبأن الكل من عند الله وهكذا يكون ذو اللب وذو العقل فانه يطلب رضى الله عز وجل ولا يمكنه الوصول الى حقيقة الرضى الا باتباع العالم بجميع العلوم والاحكام . أما الذى يمتنع من اتباع العالم فهو لا يبالي اوصل الى رضى الله أولم يصل :

ثم لو كان القول والتصديق والإيمان بأن كلا من المحكم والمتشابه هو من عند الله : لو كان هو قول الراسخين في العلم فلا منافات بين قولهم هذا ورسوخهم من العلم لأن الله مختص بعلم اشياء لا يعلمها العباد كالعلم بوقت الساعة ، والعلم بحقيقة الروح وغيرها . فهم خاضعون لله في كل وقت خاشعون له على كل حال وهذا الخضوع والخشوع والعبادة والذلة لله هي التي رفعتهم وصعدت بهم الى درجة الرسوخ في العلم ثم ان الآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا

---

(١) قال الفيض (ره) المراد بالذين لايعلمون تأويله . الشيعة : اذ قال العالم فيهم يعني الراسخ في العلم الذي بين اظهرهم :

(٢) سورة آل عمران : ٧ .

(٣) سورة آل عمران : ٧ :

من لدنك رحمة انك انت الوهاب) (١) أما أن يكون من قول الراسخين في العلم فانهم قـد فزعوا الى ربهم لما تفتحت عيون قلوبهم ونظروا الى زائغي القلوب فرأوهم يخبطون في الظلام ويحملون على ظهورهم الأوزار والآثام ويفسدون أمر دنياهم وأخراهم وهم منغمسون فى دار الغرور ومعرضون عن دار النعيم والحبور . طلبوا من الله أن لا يكونوا مثلهم فقالوا : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) أي يا خالقنا ومالك أمرنا ومن بيده توفيقنا وخذلاننا لا تخذلنا وتسلب عنا لطفك وتوفيقك بسوء أعمالنا فتزيغ قلوبنا وتنحرف عن الحق والاستقامة فنكون كهؤلاء القوم الذين عرفتنا بهم وبزيغ قلبوهم نبتغي الفتنة بالتلاعب بتأويل القرآن والاعراض عن الراسخين في العلم كل ذلك رغبة في اشباع شهواتهم الدنيوية وارضاء نفوسهم الشريرة الخبيثة .

ثم أنا نقول لهم هبوا ان الواو ليست عاطفة وأن الله وحده مختص بتأويل القرآن ومعرفة المقصود من الآيات المتشابهات وهبوا ان الله أنزل الآيات المتشابهات لتكون محفوظـة بين الدفتـين ولم يكلف العباد العمل بها ، ولكن أما علمتم من هذه الآية ان لله عبادا راسخين في العلم ولماذا خلق هؤلاء العباد وأفاض عليهم هـذه العلوم فهل أمرهم ان يجلسوا في دورهم ويغلقوا عليهم الابواب ولا يعلمون الناس مما عندهم من العلم أو أمركم الله يا أهل القلوب الزائغة ان تتركوا اهل العلم وتقاطعوهم ولا تطلبوا ما عندهم من العلم ، كلا ان هذه الآية الشريفة هي اكبر حجة على العباد سواء أجعلوا الواو عاطفة أو استئنافية حيث علموا بصريح الكـلام ان جماعة من عباد الله هم راسخون في العلم وان العقل وهو الرسول الباطني يحكم حكماً قطعياً بوجوب الفحص عن هؤلاء الرجال وتحصيل طريق الرشد

(١) سورة آل عمران : ٨

منهم حتى تخلص نفسك من طريق الغي وقلبك من الزيغ ، فافحص عن الراسخين في العلم وخذ بما أمروك به من طريق الرشد فان الله قد جعلهم في الأرض لا في السماء وفي الدنيا لا في الآخرة وأفاض عليهم هذه العلوم لينتفع بها عباد الله ووصفهم بهذا الوصف الجليل العظيم وهو عبارة مركبة من كلمتين : (راسخون في العلم) ولكن لو أراد أحد ان يشرح هاتين الكلمتين يلزمه ان يعـــدد العلوم التي وجدت وحدثت في الدنيا من أول خلق الدنيا الى ان تقوم الساعة ، هذا اضافة الى علوم الآخرة واضافة الى العلوم التي لم يتوصل اليها البشر .

فيا صاحب العقل السليم راجع عقلك فانظر لما نشروه من العلم تعرف منزلتهم ومقامهم ولا تهمل لنفسك وعقلك هذا القول من كلام الراسخين في العلم واما اذا كان من كلام غيرهم وهم القسم الثالث من الناس وهم الذين أتبعوا الراسخين واهتدوا بهداهم واتبعوا آثارهم وعرفوا منزلتهم فهو منهم طلب من الله ان لا يجعلهم مثل زائغي القلوب المتلاعبين بالدين التاركين لرجال العلم الذين ذكرهم الله وارشدوا العباد الى متابعتهم :

فعن الكافي فيما يرويه عن الكاظم (ع) في حديث هشام (يا هشام ان الله قد حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب حين علموا ان القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها أنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبـــه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً وسره وعلانيته موافقاً لان الله تعالى لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه

تأمل جيداً ايها العاقل في هـــذا الحديث لكي تعرف ان الأحكام الشرعية التي كلف الله عباده بها يلزم ان تكون مأخوذة عمن يسندها الى

الله ويستمدها من الله : فالنبي يأتيه الحكم من الله وقد اودع الأحكام عند وصيه علي بن أبي طالب وعلي أودعها عنـــد الامام والوصي بعده وهكذا كل يودعها عند الآخر من الراسخين بالعلم : فلا تكن من زائغي القلوب الذين يبتغون الفتنة : روى عن الامام الصادق (ع) قال : اكثروا من أن تقولوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا : ولا تأمنوا الزيغ .

ايقاظ :

ان من الواضح ان العلماء تختلف درجاتهم ومنزلتهم باختلاف ما عندهم من العلم : كثرة وقلة فقد روى عن النبي (ص) : انه قال (اكثر الناس قيمة اكثرهم علماً وأقل الناس قيمة اقلهم علماً) وعلى هذا تكون درجات العلماء مختلفة فبعضهم عندهم علم واحـــد وبعضهم عندهم علمان وهكذا فيقال فلان عالم بالنحو وفلان عالم بالصرف وفلان عالم باللغة وفلان عالم بالكلام وفـــلان عالم بالمعقول والمنقول فاذا انتهت النوبة الى العالم بجميع العلوم يقال له عالم بقول مطلق من غير نسبة الى بعض العلوم وهو الذي نوه عنه النبي (ص) بقوله : (اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه) ثم ان كل عالم من أي الطبقات كان ان يكون متصفاً بالايمان وامـــا ان لا يكون متصفاً به فاذا كان عالماً غير مؤمن فهذا لا ينفعه علمـــه إلا في الدنيا الفانية ولا يقربه علمه الى الله فان أفضل العلوم واشرفها هو المقرب الى الله عز وجل وقد ذم الله هـــذا القسم من العلماء وتوعدهم بالعذاب بقوله : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده .. الخ) (١)

(١) سورة غافر ٨٢

وهذا منطبق على اهل العصر الحاضر تماماً فترى عديم الايمان عالماً أو جاهلاً اذا كلمته بشيء من أمور الدين يجيبك منكراً عليك قائلا : ان العلماء قد صنعوا القنبلة الذرية والصاروخ وسفينة الفضاء وانتم بعد على عقلكم القديم

فلا يخفى أن الانسان مهما تطور وتقدم وحصل على علوم مهمة فان الله لا يرفع عنه التكليف في الواجبات ولا يرخصه في ارتكاب المحرمات واما العالم المتصف بالايمان فهو الذي قد حصل خير الدنيا والآخرة فالعالم في جميع الأمور والمؤمن بالله حق الايمان هو الذي يحكم العقل والنقل بوجوب تقدمه على سائر الناس وهو المرشد لسائر طبقات البشر في أمورهم الدنيوية والأخروية ، ولا يجوز لغيره التقدم عليه فاذا تقدم عليه فهو ظالم وكل من ساعده وأعانه فهو شريكه في الظلم .

روي في تحف العقول عن الصادق (ع) قال : (من دعى الناس الى نفسه وفيهم من هو اعلم منه فهو مبتدع ضال) . وقد مدح الله هذه الجماعة التي رزقت العلم والايمان في مقامات من القرآن فيها قوله في سورة الروم (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) (١) وقال تعالى في سورة المجادلة : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٢) حيث قررت الآية الأولى ان كلامهم هو الحق المطابق للواقع وأخبر في الآية الثانية أنه قد رفع درجاتهم فرق جميع الدرجات ، فلا شبهة ولا ريب في حكم العقل والعرف والشرع ان اعلم الناس في سائر انواع العلم يجب ان يكون هو المقدم في تولية امور الناس والمقصود من اعلم الناس في سائر العلوم هو الذي اذا تكلم الناس في أي علم من العلوم تراه هو

---

(١) سورة الروم : ٥٦

(٢) سورة المجادلة : ١١

المبرز فيه وحجته تكون أعلى الحجج ولا يتمكن أحد من العلماء على دحض حجته وابطال كلامه وبعد هذه المقدمة هل يتصور احد او يقدر ان يعبر عن هذا الشخص الذي فرضناه اعلم الناس في جميع العلوم هل يتمكن احد ان يصف هذا الشخص بوصف يكون وافياً بالدلالة على مقامه العلمي بعبارة تشبه او تقرب من قول الله تعالى بما وصفهم الله به بكلمتين هما قوله : (والراسخون في العلم) ثم هل ان الله سبحانه وصف رجالا موهومين لا وجود لهم في الخارج وقرنهم بنفسه في وصفهم بمعرفة تأويل القرآن أو أنهم موجودون ومتصفون بهذه الصفة وهي العلم بالتأويل .

ثم اني اوجه السؤال الى اهل العلم وأهل الحكمة وأهل المعرفة من سائر فرق المسلمين فاسألهم هل انهم بحثوا او فحصوا من يوم نزول الآية الى يومنا هذا عن هؤلاء الرجال الذين وصفهم الله حتى يحصلوا على شيء من علومهم حيث ان الله يقول : (واسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) اما خطر في أذهانهم ان يتعرفوا على هؤلاء الرجال او انهم بحثوا اوسألوا فلم يعرفوهم او انهم عرفوهم فاخفوا ذكرهم لاغراض دنيوية (طبعا) وما قدر الدنيا بأجمعها في جنب هذا الامر العظيم اما يتصور ذو العقل ان القرآن فيه علوم الاولين والاخرين وأن الذين يمكنهم استخراج هذه العلوم هم الذين نوه الله عنهم بقوله : (الراسخون في العلم) فلو عرفهم وانتفع بعلومهم لظفر بخير الدنيا والاخرة اما مع تضييعهم واهمال معرفتهم اواخفاء ذكرهم بعد معرفتهم كل ذلك طمعا في شيء من حطام الدنيا فهذا ليس من اختيار العاقل .

هذا السؤال موجه الى اهل العلم من سائر الفرق اما بعض الفرق فقد ادعى معرفتهم فيلزم بقية الفرق مطالبته بالدليل ليعرف صوابه من خطأه فانهم يدعون انهم عرفوهم وميزوهم وشخصوهم وتمسكوا بهم واعترفوا

من علومهم عرفهم بهم رسول الله (ص) وعرفهم بهم كثرة علومهم التي يعجز عنها جميع البشر وهم انفسهم أي (الراسخون في العلم) هم عرفوا الناس بأنفسهم وليس تعريفهم لانفسهم مجرد دعوى بل قرنوا التعريف بأدلة وحجج قوية ، واظهروا من علوم القرآن ما يعجز الناس عن عشر معشاره اما تعريف النبي (ص) لهم فمن أظهر موارده قوله (ص) (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) هذا الحديث الشريف ليس في صدوره عن النبي شبهة ولا ريب فان كل من كتب عن النبي (ص) ذكر هـذا الحديث من جميع فرق المسلمين ، وأما معناه ومفاده فهو واضح جلي غير متشابه ولا يحمل وليس فيه غموض ولا خفاء وليس لمدته التي امرنا بها غاية ولا انقطاع بل جعل النبي (ص) هذين الأمرين حجة وأمرنا بالتمسك بهما من حين ارتحاله من الدنيا الى وقت ورود الحوض عليه فلا يجوز لأحد من المسلمين ان يعمل عملا من امور الدين أو الدنيا إلا بعد موافقة هذين الأمرين اللذين أمرنا بالتمسك بهما وحيث ان الكتاب لا يمكن لكل أحد أن يستخرج الحكم منه جعل النبي العترة هي التي تستخرج منه الأحكام ولذا جعلها ملازمة له فقال لا يفترقا حتى يردا عليه الحوض وقد جعل النبي التمسك بهما موجب وسبب للهدى وعدم الضلال ، وهذه عبارة واضحة جلية لا تحتاج أن يفسرها لك عالم ديني أو عالم لغوي .

فيا ايها الشباب المتنور أنك تعرف كل شيء بحمد الله في هذا العصر فلماذا تفوتك هذه العبارة والجملة القصيرة ذات الفائدة الجليلة هذا أمر ان تمسكت به كنت من المهتدين المؤمنين وان تركته كنت من الضالين (لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما) فكر بها قليلا ستهتدي ان شاء الله تعالى فانها

واضحة هـذه كلمة واحدة من كلمات النبي (ص) في تعريف الراسخين في العلم .

وهناك كثير مثلها يعجز القـلم عن حصرها وعدها ، واما التعريف بهم من ناحية كثرة علومهم فان من له أدنى المام واقـل معرفة بالعلوم فانه يدرك هذا الأمر أما بالنسبة الى اولهم وهو الامام علي بن أبي طالب فان المسائل التي وجهت الى ابي بكر وعمر وعثمان وعجزوا عن الجواب عنها والتجأوا اليه في الاجابة فأجاب بسهولة عنها فهو كاف في التميز .

واما ما ذكره في نهج البلاغة من العلوم فهو وحده كاف واما ما ورد عن النبي (ص) في أنه عنده جميع العلوم كما في الصحاح الستة فهو وحده كاف ، وأما قوله (ع) (علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) فهو وحـده كاف في الموضوع واما اعتراف الصحابة بكثرة علمه كأبي بكر وعمر وابن عباس وابن عمر وسلمان وابي ذر وغيرهم فهو كاف في الموضوع .

وأما ما ذكره هو في بعض المناسبات وهو الصادق المصدق كقوله (سلوني قبل ان تفقدوني . . . . الخ) فهو كاف في الموضوع هذا بالنسبة إلى اول الأئمة واما بالنسبة للباقي وهم بقية الاثني عشر الذين نوه عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر اسمائهم فهم كذلك فيما صـدر منهم من العلوم انظر الى ما صدر عن الامام الصادق (ع) حيث انه لم يكن مضيقاً عليه في ذلك الوقت فانه صدر عنه في جميع العلوم الاحاديث الكثيرة انظر الى توحيد المفضل وما فيه من العلوم استمع لما يقوله ابو حنيفة حكي عن مسند ابي حنيفة قال الحسن ابن زياد ، سمعت أبا حنيفة وقد سئل من افقه من رأيت قال جعفر بن محمد لما اقدمه المنصور بعث إلي فقال يا أبا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيىء له من مسائلك الشداد فهيئت له اربعين

مسألة ثم بعث إلي وابو جعفر بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر (ع) جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر (ع) مالم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومى الي فجلست ثم التفت اليه فقال يا أبا عبد الله هذا ابو حنيفة قال نعم اعرفه ثم التفت الي فقال يا أبا حنيفة القي على أبي عبد الله من مسائلك فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول انتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء ثم قال ابو حنيفة أليس ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس انتهى .

فهذه شهادة من ابي حنيفة ان الامام الصادق هو افقه الناس وقال ابن قتيبة في كتاب ادب الكاتب ما نصه وكتاب الجفر كتبه الامام الصادق ابن محمد الباقر فيه كل ما يحتاجون الى علمه الى يوم القيامة والى هذا الجفر أشار ابو العلاء المعرى :

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر

ومرآة المنجم وهي صغرى تريه كل عامرة وقفر

وحكي عن السيد الشبلنجي الشافعي في نور الابصار في احوال الصادق عليه السلام قال ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عند الحاسب ويحار في الواعها فهم اليقظ الكاتب روى عن جماعة من اعيان الأئمة واعلامهم كيحي بن سعيد وابن جريح ومالك بن انس والثوري وابن عيينة وابي حنيفة وابي ايوب السجستاني وغيرهم .

وقال مالك بن انس ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلا وعلماً وعبادة وورعاً ثم انظر الى ما صدر من الامام الثامن حين جمع له المأمون اهل الأديان واهل الكلام كيف غلب الجميع واقام لهم الأدلة من الآيات القرآنية والسنة النبوية فلا تفوتك الفرصة النظر الى تاريخ حياتهم واحداً واحدا سوف تعرف الحق

فاذا عرفته فلا تعرض عنه ولا تغمض فيه لأجل شيء من الدنيا وكن مع الحق اينما كان فان الدنيا زائلة فقد روى عن الصادق (ع) قوله :

علم المحجة واضح لمريده وأرى القلوب عن المحجة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجى

وعن تفسير الثعالبي روى الأصمعي له (ع) :

أتامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها يشتري الجنات ان انا بعتها بشيء سواها ان ذلكم غبن
اذا ذهبت نفسي بدنيا اصبتها فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

وينبغي للانسان أن يتأمل في هذه الأبيات الثلاثة ليعرف معناها فانه (ع) يقول ان نفس الانسان نفيسة لا يقدر على دفع ثمنها إلا الله تعالى فلا ينبغي للانسان أن يبيعها إلا على الله إذ الخلق كلهم لا يقدرون على دفع ثمنها وإذا كان البيع على الله فحسب فلا ينبغي بيعها إلا بالجنة ثمناً فانها أحسن الأشياء للانسان فاذا باعها بشيء آخر غير الجنة فهو اذاً مغبون والعاقل الملتفت لا يغبن فلو أنك يا ذا النفس بعت نفسك بشيء من الدنيا أو بالدنيا كلها فاعلم انك قد خسرت نفسك لانك بعتها والثمن الذي اخذته عوضاً عن نفسك فسوف تخسره ايضاً لانك ستتركه اذا أتاك الموت وان لم تتركه انت فهو يتركك والمقصود من البيع والشراء هنا هو الدين الذي يدين الانسان به ربه فان كان اخذه عن الله وكان بأمر الله وارشاده وبواسطة من جعله الله واسطة بينه وبين خلقه واودع عنده جميع الأحكام والعلوم فهذا هو الذي باع نفسه على الله اما اذا كان آخذاً لدينه من رجال لم يجعلهم الله وسطاء بينه وبين عباده وليس لهم اطلاع بالاحكام الآلهية وليس عندهم من العلم إلا ما اكتسبوه من افواه الرجال ويكون هذا التابع لهم ملتفتاً الى ذلك فقد باع نفسه بالدنيا فسوف تذهب نفسه وتذهب

الدنيا فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وأما دلالتهم لنـــا على انفسهم وانهم هم الراسخون في العلم وهم الوسطاء بين الله وبين عباده وانهم هم ساسة العباد واركان البلاد وأمناء الرحمن فقد وردت عنهم احاديث كثيرة بهذا المضمون نذكر منها ما تيسر في هذا الكتاب وبالله نستعين :

الأول ما ذكر في بحار الأنوار ج ١ ص ٩٥ كمباني قال إشارة الى كتاب الارشاد روى ثقاة اهل النقل عند العامة والخاصة عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام افتتاحه الحمد لله والصلاة على نبيه (ص) اما بعد فذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ عنه سنخ اصل وأن الخير كله في من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وأن بعض الخلق عند الله رجل وكله الى نفسه جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله فضل لمن اقتدى به حمال خطايا غيره رهين بخطيئة قمش جهلا في جهال غشوه غار باعباش الفتنـــة عم قد سماه اشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً بكر فأستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واستكثر من غير طائل جلس للناس قاضياً ضامنا لتخليص ما التبس على غيره ان خالف من سبقـــه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعـــده كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المهمات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع عليه فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لايدري اصاب ام اخطأ ، ولا يرى ان من وراء مابلغ مذهباً ان قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من نفسه من الجهل والنقص والضرورة كي لايقال انه لايعلم ثم اقدم بغير علم فهو خائض عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر

من لايعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيهتم بذرى الروايات ذرو الريح الهشيم تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم به الحلال لايسلم باصدار ماعليه ورد ولا يندم على مامنه فرط ثم بعد ما اعلمنا بوجود هذا الصنف من الناس وهم الدجالون الذين يجلسون في مجلس القضاء وليسوا من اهله وعلى الناس ان يقاطعوهم ويتركوا مراجعتهم فان الله يودع العلم عند الناس معدودين فلا يتمكن غيرهم ان يحصلوا على هذا العلم فان الله ينقله من واحد إلى واحد ممن يختارهم لارشاد العباد فيلزم على العبد ان يفحص عن هؤلاء الرجال الذين نوه الله عنهم بقوله : (والراسخون في العلم) ليرشدوه الى طريقة الدين التي يريدها الله ويعلموه احكام الدين الحقيقية المستمدة من الله :

فينبغي للعاقل ان يفرغ قلبه ويصغي بسمعه لكلام الامام ليدرك مايخاطبه به : بعد المقدمة المذكورة قال (ع) بعد كلامه المتقدم (ايها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لاتعذرون بجهالته فان العلم الذي هبط به آدم وجميع مافضلت به النبيون الى محمد خاتم النبيين في عترة محمد فأين يتاه بكم بل اين تذهبون يامن نسخ من اصلاب اصحاب السفينة فهذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا فيها تيك من نجا كذلك في هذه من دخلها انا رهين بذلك قسماً حقاً وما انا من المتكلفين ، الويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف اما بلغكم ماقال فيهم نبيكم (ص) حيث يقول في حجة الوداع اني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما الا هذا عذب فرات فاشربوا وهذا ملح اجاج فاجتنبوا) :

هذا آخر كلامه فقد اوضح لك الطريق وبين لك ان العلم الذي هبط به آدم وكذا العلوم التي عند سائر الانبياء الى خاتمهم هو محمد بن عبدالله (ص)

هذه العلوم كلها عند عترة محمد (عليهم السلام) فمن اراد العلم الصحيح ومن اراد الدين الحق الذي امر الله به نبيه وبينه النبي لعلي حرفاً حرفاً فليقصد عترة محمد (ص) ولا أقول كل العترة بل الاشخاص الذين اشار الله اليهم في قوله : (والراسخون في العلم) واولهم وافضلهم النبي ثم اوصياؤه الاثنى عشر الذين قرنهم بالكتاب وجعلهم خلفاء لنا وامرنا بالتمسك بهم حتى لانكون من الضالين :

الثاني : - مارواه الشيخ البهائي في اربعينه الحديث الحادي والعشرون ورواه المجلسي في البحار ج ١ طبع كمباني ص ١٤٠ والسنـــد واحد عن سليم بن قيس الهلالي :

قال : قلت لأمير المؤمنين علي (ع) انى سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر شيئاً في تفسير القرآن واحاديث عن النبي (ص) غير مافي ايدي الناس ثم سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ورأيت في أيدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله (ص) انتم تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كلـه باطل افترى الناس يكذبون على رسول الله (ص) متعمدين ويفسرون القران بآرائهم قال اقبل على علي فقال قد سألت فافهم الجواب ان في ايدي الناس حقاً وباطلا وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومتشابهاً وحفظا ووهماً وقد كذب على رسول الله (ص) في عهده حتى قام خطيباً : فقال ايها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار : ثم كذب عليه من بعده وانما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس :

١ – رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لايتأثم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله (ص) متعمداً فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله ورآه وسمع

منه فاخذوا عنه وهم لايعرفون حاله وقد اخبر الله عز وجل عن المنافقين بما اخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : -

(وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) :

ثم بقوا بعده فتقربوا الى ائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة .

٢ - ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه ويقول انا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ولو علم انه وهم ارفضه

٣ - ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً امر به ثم نهى عنه وهو لايعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لايعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ واو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه .

٤ - وآخر رابع لم يكذب على رسول الله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيما لرسول الله (ص) لم ينسه بل حفظ ماسمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فان امر النبي (ص) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه ، وقد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان :

كلام عام وكلام خاص مثل القرآن . وقال الله عز وجل في كتابه :

(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ماعنى الله به ورسوله وليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطارىء فيسأل رسول الله حتى يسمعوا : وقد

كنت ادخل على رسول الله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري وربما كان ياتيني رسول الله اكثر ذلك في بيتي وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلاني واقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيري واذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة (ع) ولا احد من بني وكنت اذا سألته اجابني واذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علما إلا أملاه علي وكتبته منذ دعا لي بما دعا وما تركت شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام امر ولا نهي كان او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة اومعصية إلا علمنيه وحفظته فلم انس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وحكماً ونوراً فقلت يانبي الله بأبي انت وامي منذ دعوت الله بما دعوت لم انس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه افتتخوف علي النسيان فيما بعد فقال لا لست اخاف عليك النسيان ولا الجهل .

اذا تأمل العاقل في كلمات هذه الرواية وعرف معانيها واراد ان ينصف نفسه ولا يبيعها بثمن بخمس فتذهب نفسه ويذهب الثمن ينبغي له ان يعرف واجبه وان يعرف الذي يأخذ منه معالم دينه ولا يأخذ من افواه الناس فان الامام (ع) جعل الرواية عن النبي (ص) اقساماً اربعة لايجوز للعاقل الأخذ عن ثلاثة اقسام منها ويتعين عليه الأخذ من قسم واحد وهو الذي لم يكذب على رسول الله (ص) ولم ينس ما القاه اليه النبي (ص) بل يحفظ ماسمعه على الدقة ويجيء به كما سمع بلا زيادة ولا نقصان وان

يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمحكم والمتشابه ، وان لايشتبه عليه شيء من هـذه العوارض وان يكون معصوماً من الذنوب كلها ومن الخطأ والسهو والنسيان فلم ار ولم نسمع بأحد نسب هذه الصفات الى نفسه غير علي بن أبي طالب (ع) وهو الصادق المصدق الذي لم تنسب له كذبة قط مدة عمره وقد اخبرنا بخطبته هذه ان رسول الله (ص) مانزلت عليه آية من القرآن إلا علمـــه بتأويلها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ، وكـذا مانزل في سائر الكتب على من تقدمه من الأنبياء فاذا كنت ممن يصدق أمير المؤمنين علي (ع) في كلامه هـذا فهل يبقى لديك شك او شبهة في دخوله في قوله تعالى :

(وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) فاذا تيقنت أنه من جملة الراسخين فهل يجوز لك العقل والمنطق ان تقدم عليه غـيره او تأخذ بغير مايخبرك به من امور الدين ولكل واحد من الأئمة الاثني عشر كلمة او اكثر من كلمة يستدل بها على أنه هو حجة الله في عصره ويثبت هذه الدعاوى بحجة قوية وبرهان جلي تبصرة لمن تبصر :

قال الفخر في تفسيره الكبير ج ٢٩ ص٨٤ في تفسيرسورة الرحمن قال المسألة الثالثة قوله تعالى : (علم القرآن) لابد له من مفعول ثان فما ذلك انتهى :

وذلك حيث ان علم المضاعفة يحتاج الى مفعولين وأن أحد المفعولين هو لفظ القرآن والمفعول الثانى غير مذكور فانه بعد مايجيب عن هذا الأمر بجوابين ثم يذكر المسألة الرابعة ويشير الى السر في حذف المفعول الثانى : يقول بعد ذلك .

(المسألة الخامسة) مامعنى التعليم ؟ -

نقول على قولنا له مفعول ثاني افادة العـلم به فان قيل كيف يفهم قوله تعالى : (علم القرآن) مع قوله : (وما يعلم تاويله إلا الله) نقول

ان لايقف عند قوله (إلا الله) ويعطف (الراسخون) على الله عطف المفرد على المفرد لايرد عليه هذا - اقول هـذا هو قول الامامية القائلون بالعطف .

ثم قال الفخر الرازي ومن يقف ويعطف قوله تعالى : (والراسخون في العلم) على قوله : (وما يعلم تأويله) عطف جمله على جملة .

يقول انه تعالى يعلم علم القرآن لأن من علم كتاباً عظيما ووقع على مافيه ، وفيه مواضع مشكلة فعلم مافي تلك المواضع بقـدر الامكان يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني ويتقنه بقدر وسعه وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين وكذلك القول في تعليم القرآن او يقول : (لايعلم تأويله الا الله) وأما غيره فلا يعلم من تلقاء نفسه مالم يعلم فيكون اشارة الى ان كتاب الله ليس كغـيره من الكتب يستخرج مافيها بقوة الذكاء والعلم ؛ انتهى كلامه :

هذا هو قول من يقول بالعطف .

يقولون ان علوم القرآن كلها عند رسول الله (ص) بتعليم من الله لرسوله وقد اودعها الرسول عند وصيه وخليفته علي بن أبي طالب اي علمه اياها كما قال علمني رسول الله الف باب من العلم ... الخ

ومن بعد علي انتقلت الى الأوصياء فقد وردت عنهم الروايات الكثيرة في تفسير هذه الآية بقولهم : (ان رسول الله افضل الراسخين في العلم فقد علم جميع ما انزل الله عليـه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تاويله واوصياؤه من بعده يعلمون ذلك كله) .

فالفخر الرازي وان اختار في هـذه الآية الوقف على لفظ الجلالة ولكنه في سورة الرحمن اختار ماقاله الامامية من مفاد العطف ومعناه ونسأل الله ان يهدي أهل القرآن الى صواب القول وعدم الزلل .

قوله تعالى :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (١) .

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد (٢).

ان الله سبحانه ذكر هذه الأشياء التي زينت للناس فهم يحبونها ويشتهونها فان الله جعل هذه الشهوة فيهم ولا يمكنهم التخلص منها ولكنه امرهم ان يكون حبهم لهذه الأمور وتمتعهم بها واخذهم منها بمقدار حاجتهم اليها بحيث تكفي لتلك الشهوة حتى يطمئن الانسان ولا يبقى في قلق واضطراب .

اما التوغل في هذه المشتهيات والازدياد منها واحتكارها ومنعها عن الغير وشدة الحرص الموجب للقلق والخروج عن الحالة الطبيعية الموجبة لانقلاب الشيء الى ضده فهذا مالا يريده الله ، فالخلاف الواقع بين المفسرين من أن المزين لهذه الامور هل هو الله عز وجل كما اختاره جماعة او اله الشيطان كما اختاره جماعة غيرهم يمكن التوفيق فيه بين القولين بما ذكر وهو ان المرتبة الأولى وهي الأخذ بمقدار الحاجة انما هي من الله .

المرتبة الثانية وهي الحرص على الاكثار والاحتكار ومنع الغير عنه انما هي من الشيطان وقد يشير الى المرتبة الأولى قوله تعالى : (ذلك متاع الحياة الدنيا) فان المتاع اخذ مقدار الحاجة وغض النظر عن الزيادة ،

---

(١) سورة آل عمران ١٣ :

(٢) سورة آل عمران ١٤ :

ويشير الى المرتبة الثانية قوله تعالى : (والقناطير المقنطرة) فانه لا يكون الا من تزيين الشيطان فان العقل يحكم أن هـذا المقدار من المال يكون سبباً لطغيان صاحبه فيتكبر على الناس بل قـد يتكبر على عبادة الله فهو مذموم غير محمود فان الله خلق هـذه الأشياء وزينها في نفوس عباده ليتم استقامة هـذه الحياة وبقـاء النوع في الانسان وفي الحيوان ولتكون وسيلة وسبباً موصلا الى الآخرة ايضاً ولكن ابليس العدو لله وللانسان في نفس بعض الناس بل القسم الاكثر منهم فاتخـذها غاية لنفسها مستقلة لا مقدمة للآخرة وقد قال الله تعالى : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً) (١) :

فلينظر الانسان الى كل قسم من هذه الأمور التى ذكرها الله فاولها النساء وآخرها الحرث فانه يجد مرتبة آلهية يرضى بها الله ويأمر عباده ان يكونوا كذلك حيث لم يتجاوزوا فيها الحدود التي ترضي الله ويتوصلوا بها الى دار البقاء والخلود ويجد مرتبة شيطانية دنيوية محضة لا يعمل فيها إلا بالمحرمات الضارة التي نهى الله عنها ولم تكن إلاملاذ دنيويـة زائدة على مقدار ما يحتاج اليه الانسان ، ونرى هذه الزيادة تكون موجبة لاضطراب الانسان محدثة الخلل في دينه او عقله او بدنه فينقلب الغرض الى ضده فكل من خالف الغرض من هذه الأمور وتعدى الحدود ولم يستعملها في المقامات النافعـة ويتركها في المقامات الضارة بل انغمس فيها انغماساً حتى غلبت على حواسه كان حظه منها ما يحصل عليه في الحياة الدنيا فقـط ولم ينتفع فيها بعـد انقضاء مـدة الدنيا كما نبهنا الله في قوله : (ذلك متاع الحياة الدنيا) :

وأما الذي اقتصر منها على موارد النفع سار على الطريقة التي أمر بها

---

(١) سورة الكهف : ٨

الله وترك الزيادة المخلة به فلم تغلبه بشيء من زينتها وانما عمل بها كمقدمة لما يقدم عليه من الآخرة فهذا قد ربح الدنيا والآخرة كما نبهنا الله بقوله : (والله عنده حسن المآب) .

قوله (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) (١) :

لقد ذكر الله عز وجل في الآية السابقة الأمور التي خلقها للدنيا وعرفنا ان العبد المطيع الذي يريد النفع لنفسه يمكنه ان ينتفع بالأمور المخلوقة للدنيا ومع ذلك يحصل على جزاء ونتيجة في الآخرة وذلك كمن يتزوج لاجل احياء السنة وطلب النسل ويطلب الولد لاكثار أمة النبي (ص) وتثقيل الأرض بمن يوحد الله ويطلب المال للنفقة على العيال وصلة الرحم ومساعدة الفقراء وقس على ذلك بقية الأمور فالله عز وجل حيث انه يريد لعباده النفع في كل الأحوال ويحب لهم ان يحصلوا على الثواب في دار الخلود عرفهم ونبههم أن ذلك ممكن حتى في الانتفاع بالأمور الدنيوية ثم بعد ذلك ذكر لنا الأمور التي تنفعنا في الآخرة وانها احسن واحسن بكثير من الأمور الدنيوية ، وهذه الأمور انما تكون لمن ارادها وعمل بها وهم المتقون الذين يعملون الأعمال التي يأتي ذكرها في الآية التي بعد هذه الآية اما في هذه الآية فقد بين الله لنا الأشياء التي يحصل عليها المتقون اذا هم عملوا بما يأتي في الآية الأخرى من الأعمال .

أما الأشياء التي اعدها الله لهم فهي ما ذكرها بقوله : (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

---

(١) سورة آل عمران : ١٥

فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (١) فقد ذكر ثلاثة أشياء اعدها الله للمتقين .

الأول : جنات تجري من تحتها الأنهار والجنات كما عرفها لنا القرآن وعرفنا بها النبي (ص) في مقامات عديدة وبعد رجوعه من معراجه الى السماوات ودخوله الجنة حيث وصفها وصف مشاهدة وعيان وقد بين القرآن والنبي (ص) ان فيها كل شيء من مأكول ومشروب وملبوس وفيها انواع المآكل من لحوم مشوية وفواكه متنوعة وغير ذلك ، وكذا بالنسبة الى المشروبات وهكذا الملابس المتنوعة الاجناس وأعظم كلمة قالها الله في وصفها ان فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين اذ ليس بعد هذه الكلمة وصف يمكن ان توصف به الجنة وقد ذكر الله وذكر لنا النبي ان أحسن ما ترغب اليه النفس في الجنة الحور العين وهن اللاتي يكن ازواجاً للمتقين فهي داخلة ومشمولة لقوله : (جنات تجري من تحتها الانهار) اذ الجنة لابد ان يكون فيها الحور ولكن الله خصها بالذكر وجعلها الأمر الثاني .

الثاني : مما اعده للمتقين فقال : (وازواج مطهرة) وانما خصها بالذكر لانها اهم شيء للرجل والذ من كل لذة مقدمة على سائر اللذات ولذا جعلها الله المقدمة في ذكر لذات الدنيا ، اما بالنسبة الى لذات الآخرة فهي ليست الأولى من اللذات وانما الأولى هي دخول الجنة فان البشارة بدخول الجنة يعلم الشخص انه نجا من النار والنجاة من النار اعظم من كل بشارة والسبب الثاني لذكر الأزواج هو وصفها بهذا الوصف وهو انها مطهرة خلاف نساء الدنيا فان نساء الدنيا يحدثن ويحضن ويعرض لهن بعض العوارض من مرض وكبر وهرم وشيب وتشويه وسوء خلق وعدم أمن وأمان وكراهة منها لزوجها او من زوجها لها ولو لم يحصل كل هذا

(١) سورة آل عمران : ١٥ .

فالفرق النهائي الذي لا رجعة له وهـذه الصفات لا يوجد شيء منها في الحور فهن مطهرات من كل حدث وعارض فلا يحدثن كحدث نساء أهل الدنيا وكذا جميع اهل الجنة وليس عندهم حدث .

ولا بأس بذكر قصة ديلية علمية لها تعلق ودلالة بعدم حدث اهل الجنة لنقلها بطولها لان فيها دلالة على كلامنا في الآية السابقة . وهي وجود رجال اودع الله عندهم جميع العلوم وان الأرض لا تخلو منهم وهم أوصياء نبينا الاثنى عشر وهم الأئمة الذين ذكرهم النبي (ص) أولهم امير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر عليهم سلام الله .

قال السيد عبد الله شبر في جـلاء العيون ج ٣ ص ١٩ روى ابن طاووس في كتاب (أمان الاخطار) باسناد معتبر عن الصادق (ع) قال حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام فقال جعفر بن محمد الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً واكرمنا به فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا ثم قال فاخبر مسلمة بن عبد الملك اخاه هشاماً بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق والصرفنا الى المدينة فانفذ بريد الى عامل المدينة باشخاص أبي واشخاصي فلما وردنا مدينـة دمشق حجبنا ثلاثاً ثم اذن لنـا في اليوم الرابع فدخلنا واذا به قد قعد على سرير الملك وجنده خاصة وقوف على ارجلهم سماطان متسلحان وقد نصب البرجاس حـذاه واشياخ قومه يرمون فلما دخلنا وأبي امامي وانا خلفه فنادى ابي وقال يا محمد أرم مع اشياخ قومك الغرض فقال له أبي اني قد كبرت عن الرمي فهل رأيت ان تعفيني فقال وحق من اعزنا بدينه ونبينا محمد (ص) لا أعفيك ثم أومى الى شيخ من بني أمية ان اعطه قوسك فتناول ابي عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول

منه سهماً فوضعه في كبد القوس ورمى ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه ثم رمى فيه الثالثة فشق فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمي حتى شق تسعة اسهم بعضها في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك ان قال اجدت اجدت ياأبا جعفر انت ارمى العرب والعجم كلا زعمت انك كبرت عن الرمي ثم ادركته ندامة على ما قال وكان هشام لم يكنى احداً قبل أبي ولا بعده فى خلافته فهم به واطراق الى الارض اطراقة يتروى فيه وانا وأبي واقفان حذاءه مواجهين له فلما طال وقوفنا غضب ابي فهم به وكان أبي اذا غضب نظر الى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه فلما نظر هشام الى ذلك من ابي قال له الي يا محمد فصعد ابي الى السرير وانا اتبعه فلما دنا من هشام قام اليه واعتنقه واقعده عن يمينه ثم اعتنقني واقعدني عن يمين ابي ثم اقبل على أبي بوجهه فقال له يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك لله درك من علمك هذا الرمي ؟ وفي كم تعلمته ؟ فقال ابي قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ثم تركته فلما أراد امير المؤمنين مني ذلك عدت فيه فقال له ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت وما ظننت ان في الأرض احداً يرمي مثل هذا الرمي ايرمي جعفر مثل رميك فقال انا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين انزلهما الله على نبيه في قوله (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) والارض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها فلما سمع ذلك من ابي انقلبت عينه اليمنى فاحولت واحمر وجهه وكان ذلك علامة الغضب ثم اطرق هنيئة ثم رفع رأسه فقال لأبي السنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد فقال ابي نحن كذلك ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لم يخص به احداً غيرنا فقال اليس الله جل ثناؤه بعث محمداً من شجرة

بني عبد مناف الى الناس كافة ابيضها واسودها واحمرها من اين ورثتم ماليس لغيركم ورسول الله مبعوث الى الناس كافة وذلك قول الله تبارك وتعالى : (ولله ميراث السماوات والأرض) الى آخر الآية فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا انتم انبياء فقال ابي عليه السلام من قوله تبارك وتعالى لنبيه (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الذي لم يحرك به لسانه لغيرنا امره الله ان يخصنا به من دون غيرنا فلذلك كان ناجى اخاه علياً من دون أصحابه فانزل الله بذلك قرآنه في قوله تعالى : (وتعيها اذن واعية) فقال رسول الله سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي فلذلك قال علي بن ابي طالب بالكوفة علمني رسول الله الف باب من العلم ففتح من كل باب الف باب خصه رسول الله من مكنون سره بما يخص امير المؤمنين اكرم الخلق عليه فكما خص الله نبيه خص نبيه اخاه علياً من مكنون سره مما لم يخص به احداً من قومه حتى صار الينا فتوارثناه من دون اهلنا ، فقال هشام بن عبد الملك ان علياً كان يدعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه احدا فمن اين ادعى ذلك ؟ فقال ابي ان الله جل ذكره انزل على نبيه كتاباً بين فيه ما كان وما يكون الى يوم القيامة في قوله تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) وفي قوله : (وكل شيء احصيناه في امام مبين) وفي قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وأوحى الله الى نبيه ان لا يبقى في غيبه وسره ومكنون علمه شيئاً الا يناجي به علياً فأمره ان يؤلف القرآن من بعده ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه وقال لأصحابه حرام على أصحابي وأهلي ان ينظروا الى عورتي غير اخي فانه مني وأنا منه له مالي وعليه ما علي وهو قاضي ديني ومنجز وعدي ثم قال لاصحابه علي بن

(١) سورة النحل : ٨٩

ابي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي ولذلك قال رسول الله (ص) اقضاكم علي : اي هو قاضيكم ، وقال عمر بن الخطاب لولا علي لهلك عمر ، يشهد له عمر ويجحده غيره ، فاطرق هشام طويلا ثم رفع رأسه فقال سل حاجتك فقال خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي فقال : قد آنس وحشتهم برجوعك اليهم ولا تقم سر من يومك فاعتنقه أبي ودعا له وفعلت انا كفعل أبي ثم نهض ونهضت معه وخرجنا الى بابه واذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان الناس قعود عدد كثير قال ابي من هؤلاء ؟ فقال الحجاب هؤلاء القسس والرهبان وهذا عالم لهم يقعد اليهم في كل سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم فلف ابي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت انا مثل فعل ابي فاقبل نحوهم حتى قعد نحوهم وقعدت وراء ابي ورفع ذلك الخبر الى هشام فأمر بعض غلمانه ان يحضر الموضع فينظر ما يصنع ابي فاقبل واقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا واقبل عالم النصارى قد شد حاجبه بحريرة صفراء حتي توسطنا فقام اليه جميع القسيسين والرهبان مسلمين عليه فجاؤا به الى صدر المجلس فقعد فيه واحاط به اصحابه وابي وانا بينهم فادار نظره ثم قال لأبي أمنا ام من هذه الأمة المرحومة فقال هل من هذه الامة المرحومة فقال من اين الك من علمائها ام من جهالها فقال له أبي لست من جهالها فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال له اسألك فقال له ابي سل :

فقال من أين ادعيتم ان اهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون وما الدليل فيما تدعونه من مشاهد لا يجهل ؟

فقال له أبي : ـ دليل مانذعي من مشاهد لايجهل: الجنين في بطن امه يطعم ولا يحدث :

قال فاضطرب النصراني اضطراباً شديدا ، ثم قال : هلا زعمت انك لست من علمائها فقال له أبي انمـا قلت لك لست من جهالها واصحاب هشام يسمعون ذلك ، فقال لابي اسألك عن مسألة اخرى ، فقال لـه أبي سل ، فقال له من اين ادعيتم ان فاكهة الجنة ابداً غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنة وما الدليل عليه من مشاهد لايجهل ؟

فقال له أبي دليـل ماندعي اله سراجنا وفي نسخة ترابنا ابدا يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع اهل الدنيا لاينقطع ، فاضطرب اضطراباً شديدا فقال هلا زعمت انك لست من علمائها :

فقال له ابي انما قلت لك لست من جهالها .

فقال له اسألك عن مسألة فقال سل قال اخبرني عن ساعة لامن ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له أبي هي الساعة التي بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس يهدأ فيها المبتلى ويرقـد فيها الساهر ويفيق فيها المغمى عليه جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين وفي الآخرة للعاملين لها دليلا واضحاً وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التاركين لها :

قال فصاح النصراني صيحة ثم قال بقيت مسألة واحدة والله لأسألنك عن مسألة لا تهتدي الى الجواب عنها ابدا ، قال له أبي سل فانك حائث في يمينك ، فقال اخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر احدهما خمسون سنة وعمر الآخر مائة وخمسون سنة في دار الدنيا

فقال له أبي ذلك عزير وعزيره ولدا في يوم واحد فلما بلغا مبلـغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مر عزير على حماره راكباً على قرية بانطاكيـة وهي خاوية على عروشها فقال انى يحيي هـذه الله بعد موتها وقـد كان اصطفاه وهداه فلما قال ذلك القول غضب الله عليـه فاماته الله مائة عام سخطاً عليه بما قال ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد الى داره

وعزيرة اخوه لايعرفه فاستضافه فاضافه وبعث اليه ولد عزيزة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شاب في سن ابن خمس وعشرين سنـــة فلم يزل عزير يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون مايذكرهم ويقولون ما اعلمك بامر قد مضت عليه السنون والشهور ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة مارأيت شاباً في سن خمس وعشرين سنة اعلم بما كان بيني وبين أخي عزير ايام شبابي منك فمن اهـــل السماء انت أم من اهل الارض ، فقال ياعزيره انا عزير سخط الله علي بقول قلته بعـد ان اصطفاني وهداني فاماتني مائة سنة ، ثم بعثني لتزدادوا بذلك يقينا ان الله على كل شيء قدير وهاهو هـذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم اعاده الله تعالى كما كان فعندها ايقن فاعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثم قبضه الله واخاه في يوم واحد فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقام النصارى على ارجلهم فقال لهم عالمهم جئتموني باعلم مني واقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني واعلم المسلمين بان لهم من احاط بعلومنا وعنده ماليس عنـدنا لا والله لاكلمتكم من رأسي كلمة واحدة ولا قعدت لكم ان عشت سنة فتفرقوا وابى قاعد مكانه وانا معه .

وروى القطب الراوندى ان الديرانى اسلم مع اصحابه على يديه ورفع ذلك الخبر الى هشام فلما تفرق الناس نهض ابي وانصرف الى المنزل الذي كنا فيـــه فوافانا رسول هشام بالجائزة وامرنا ان ننصرف الى المدينة من ساعتنـا ولا نجلس لان الناس ماجوا وخاضوا في مادار بين أبي وبين عالم النصارى فركبنا دوابنا منصرفين .

وفي رواية انه امر بحبسه فقالوا له ان اهل الحبس قد تعلقت قلوبهم بحبه فارسلنا الى المدينة وقد سبقنا بريد من عند هشام الى عامل مدين على طريقنا الى المدينـة ان ابني أبي تراب الساحرين محمد بن علي وجعفر بن

محمد الكذابين فيما يظهران من الاسلام وردا علي ولما صرفتهما الى المدينة مالا الى القسيسين والرهبان من كفار النصارى واظهرا لهما دينهما ومرقا من الاسلام الى الكفر ودين النصارى وتقربا اليهما بالنصرانية فكرهت ان اكل بهما لقرابتهما فاذا قرأت كتابي هـذا فناد في الناس برأت الذمة ممن يشاريهما او يبايعهما او يصافحهما او يسلم عليهما فانهما قد ارتدا عن الاسلام ورأى أمير المؤمنين ان يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما شر قتلة .

قال فورد البريد الى مدين فلما شارفنا مدينة مـدين قدم أبي غلمانه ليرتادوا لنا منزلا ويشتروا لدوابنا علفاً ولنا طعاماً فلما قرب غلماننا من باب المدينة اغلقوا الباب في وجوهنا وشتمونا وذكروا علي بن أبي طالب فقالوا لانزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع ياكفار يا مشركين يامرتدين ياكذابين ياشر الخـلائق اجمعين فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا اليهم فكلمهم أبي وبين لهم القول وقال لهم اتقوا الله ولا تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولانحن كما يقولون فاسمعونا فقال لهم فهمنا كما تقولوا ، إفتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس فقالوا انتم اشر من اليهود والنصارى والمجوس لان هؤلاء يؤدون الجزية وانتم ماتؤدون الجزية ، فقال لهم ابي فافتحوا لنا الباب وانزلونا وخـذوا منا الجزية كما تأخذون منهم فقالوا لانفتح ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً لياعا او تموتوا ودوابكم تحتكم ، فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونشوزا .

قال فثنى أبي رجله عن سرجه ثم قال لي مكانك ياجعفر لاتبرح ثم صعد الجبل المطل على مدينة مـدين واهل مدين ينظرون اليه مايصنع فلما صار في اعلاه استقبل بوجهه المدينة وحـده ثم وضع اصبعيه في اذنيه ثم نادى باعلى صوته (والى مدين أخاهم شعيبا الى قوله بقيـة الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) نحن والله بقية الله في ارضه فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة

فهبت واحتملت صوت أبي فطرحته في اسماع الرجال والصبيان والنساء فما بقي احد من الرجال والصبيان والنساءالا صعدوا السطوح وابى مشرف عليهم وصعد فيمن صعد شيخ من اهل مدين كبير السن فنظر الى أبي على الجيل فنادى بأعلى صوته اتقوا الله يا أهل مدين فانه قـد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب حين دعا على قومـه فان انتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من العذاب واني أخاف عليكم وقـد أعذر من انذر ففزعوا وفتحوا الباب فأنزلونا وكتب بجميع ذلك الى هشام فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام الى عامل مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله فأخذوه فدفنوه حياً رحمه الله .

وفي رواية ان هشام بن عبد الملك كتب الى عامل مدين بحمل الشيخ اليه فمات في الطريق وكتب الى عامل مدينة الرسول (ص) ان يحتال في سم أبي في طعام او شراب فمضى هشام ولم يتهيأ له في ابي من ذلك شيء هذا آخر ما ذكر في هذه الرواية .

واني ارجو من أهل العلم وممن يحب العـلم وأهله وارجو ممن يطلب الرشد الذي قد تبين في هذه الرواية وفي غيرها من أمثالها ارجو ممن يريد انصاف نفسه ولا يرضى بهلاكها هلاكاً أبدياً ارجو من كل مسلم ذي عقل وفهم ان يتأمل في فقرات هذه الرواية تأملا دقيقاً فان الذي دعاني :

أولا لذكرها هو الوصف الـذي ذكر في القرآن للازواج بقوله : (وازواج مطهرة) فقد بين الامام عليه السلام امكان كون الشخص يأكل ويشرب ولا يحدث ومثل لنـا بشيء مشاهد لا يجهل وهو الجنين في بطن أمه ثم رأيت ان الأصوب ان اذكر الرواية كلها لما فيها من فنون العـلم والكمال وليعرف الناس حق العلماء وليعرفوا ان العالم اذا قابله جاهل كيف يحلم عنه ويتحمل أذاه ، فان الامام (ع) لما دخل على هشام ما تركه ان

يسلم ويجلس بل ناداه حين دخوله وهو في الباب يا محمد ارم مع اشياخ قومك ولما استعفاه الامام لم يعفه وحلف يميناً انه لا يعفيه ثم لما اخذ القوس وأبدى تلك المهارة في الرمي التي فاق بها العرب والعجم كما اعترف هشام نفسه بذلك لم يحترمه ويقدره على هذا العلم الذي ابداه ثم لما سأله عما عنده من العلم وعرفه الامام ان علمه الهامي من الله واستدل بالقرآن والسنة على ذلك لم يظهر منه أي تقدير واحترام ، ثم لما خرج منه وقابل عالم النصارى وأجاب عن تلك الأسئلة العميقة التي لا يمكن لأحد ان يجيب عنها قد كان ينبغي له ان يشكره على تلك ويفخر به ويظهره للناس ويفاخر الأمم من يهود ونصارى اذ ان الرجل من المسلمين وهو يدعي انه خليفة المسلمين ولكن جهله دعاه ان يحسده ويظهر له العداء ويكتب الى عامله على مدين ان هـذا مال الى النصارى فانظر ايها المنصف : اكان هـذا جزاؤه من خليفة المسلمين ومع جميع هذه الأفعال لم يفعل الامام معه شيئاً وحلم عنه وعانقه وقت الفراق ودعا له وقد كان يمكنه ان يرفع يده الى الله ويطلب منه ان ينتقم منه في تلك الساعة الا ان هؤلاء الرجال وهم الراسخون في العلم لا يريدون الا ما يريد الله ثم ان ذلك الشيخ الـذي انذر اهل مدين وحذرهم من العذاب لما توجه اليهم وصار سبباً لنجاتهم ، ما كان ذلبـه حتى يأمر بقتله ان ذلك كله ناشيء عن الغرور والجهل والطغيان واتعس واجهل من الذين يطيعوه ويسموله خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فاذكر قول الله : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) .

الأمر الثالث : الذي اعـده الله للمتقين هو ما ذكره بقوله تعالى : (ورضوان من الله) قرىء بكسر الراء وضمها ومعنى الرضوان هو الرضا فالآية الشريفة تخبرنا ان الله عز وجل اذا امر بعبده ان يدخل الجنة وزوجه من النساء المطهرات يظهر له بعـد ذلك أي يعلمه ويخبره او يعلن لأهل

الجنة جميعاً اله راض عن عبده فلان وهـذه رتبة عظيمة يشرف الله بها عبده فيزداد بها سرور العبد ويتلذذ لذة روحية كما يتلذذ بنعيم الجنة لذة جسمية فقـد قالوا ان الله نبه على مراتب النعم وانها ثلاث فأدناها نعم الدنيا واوسطها الجنة واعلاها رضوان الله ، ويدل على هـذه الآية الثانية والسبعين من سورة التوبة وهي قوله : (ورضوان من الله اكبر) :

قال العلامة البلاغي في تفسيره آلاء الرحمن عند وصوله لهذه الفقرة ورضوان من الله . وهو الغاية القصوى لأولى الألباب في النعيم وقال الحكماء : ان الجنات بمـا فيها اشارة الى الجنة الجسمانية والرضوان : هو اشارة الى الجنة الروحانية واعلى المقامات انما هو الجنة الروحانية :

ثم ان الدنيا التي جعلها الله للدلالة على نعم الآخرة وان كان البون بعيداً :

منها ما يؤكل وهي جميع انواع المآكل المفردة والمركبة ، ومنها المشروب بجميع انواعه ، ومنها الملبوس ، ومنها المركوب ، ومنها المضاجع وهي النساء :

وهناك شيء آخر لا يدخل في احد هذه الانواع ولا يصلح لأن يكون واحداً منها ، ولكن الانسان يلتذ به ويسر اذا حصل عليه وهو القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فانه يصلح ان يجلب جميع هذه الاشياء اذا استعصت عليه اذ به يحصل كل شيء وهكذا يكون رضوان الله ، فانه اذا حصل للعبد الساكن في الجنة وحظي به يمكنه تحصيل كل شيء بسببه في الآخرة بل اذا حصل رضا الله لعبد في الدنيا يمكنه ان يحصل على كل شيء يقربه من الله اما الأمور المادية الدنيوية اذا كان الصلاح في حصولها فكذلك يمكن تحصيلها بواسطة الرضا عنهم من الله :

فقد روى ان موسى (ع) قال يا ربي اخبرني عن آية رضاك عن

عبدك ، فأوحى الله تعالى اليه اذا رأيتني اهيء عبدي لطاعتي واصرفه عن معصيتي فذلك آية رضـــاي . وفي رواية أخرى اذا رأيت نفسك تحب المساكين وتبغض الجبارين فذلك آية رضاي .

قوله تعالى « والله بصير بالعباد » .

لما ذكر الله عز وجل الأمور التي خلقها للدنيا وامرنا ان نأخذ منها ما هو من الوجوه المباحة وان نرفض ما هو من الوجوه المحرمة وأمرنا ان تكون نياتنا في الأخذ منها نيات صحيحة بسريرة حسنة وكذا بين لنا الأمور التي خلقها للآخرة وعرفنا ان التوصل اليها لابد ان يكون بمقدمات مباحة غير محرمة وبنيات خالصة غير مشوبة بأمر من امور الدنيا ولا يخفى على النبيه ان بعض الناس يستعمل امور الدنيا للآخرة وهم اولو الألباب وبعض الناس وهم السفهاء او الجهال يستعمل امور الآخرة للدنيا ظناً منه ان ذلك كما يخفى على الناس يخفى على الله ، نبـه الله عباده بهذه الكلمة ليكونوا على بصيرة من أمرهم فلا تغفل عن نفسك فانها اعز الأنفس عليك وتذكر دائماً قوله تعالى : (والله بصير بالعباد) وتذكر البيت الذي روي عن الامام الصادق (ع) الذي مر عليك في صحيفة سابقة :

اذا ذهبت نفسي بدنيـا اصبتها فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

قوله تعالى :

« الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » (١)

لما بين الله سبحانه ما هي زينة الحياة الدنيا وامر نبيه ان ينبئنا بخير من تلك الزينة واحسن من تلك الأمور التي ذكرها ولكنه خص هذا الخبر وهذا الاحسن بالمتقين في الدنيا بان يكون لهم في الآخرة وفي هـذه الآية عرف لنا المتقين حتى نعرفهم فنكون فيهم كي نحضى بهـذه الأمور التي

---

(١) سورة آل عمران : ١٥

تقدم ذكرها فقد عرف لنا المتقين مرة باقوالهم ومرة أخرى بافعالهم فان الافعال وان كانت من لوازم الأقوال ولكنها تحتاج الى البيان لانها لابد وان تكون بأمر من الله وباختياره وارادته لا باختيار العبد فالقول والفعل معاً لابد فيهما ان يكونا باختيار الله الذي دلنا عليه بواسطة نبيه (ص) والنبي اودعه عند وصيه فليس هناك شيء يرضى الله والله يثيب عليه الا وان يكون بدلالة من الله والواسطة التي تكون بين الله وبين عبده يلزم ان تكون بتعيين الله وإلا فاطاعة الله لا يمكن ان تكون بنظر العبد واختياره سواء اكان ذلك في الكم والكيف او الواسطة او غير ذلك والكلام الآن في ما بينه الله من اقوال المتقين فقال عز وجل : (الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) :

الايمان : هو التصديق بالله وبرسوله ، فاذا قال الشخص آمنت بالله أي اني صدقت الله ورسوله فاذا كان هذا القول مسبوقاً بنداء يكون المنادي هو المخاطب فقول المتقين ربنا قد جعلوا الله مخاطباً حين نادوه وقبل ان ينطقوا بما يريدون اظهاره من الايمان قد اكدوه بـ (ان) الثقيلة فقالوا ربنا انا آمنا :

لا يخفى ان تصديق الله والرسول حيث انه كان مطلقاً غير مقيد بزمان او مكان او قضية خاصة فيلزم ان يكون عاماً في كل امر ونهي فاذا قال العبد اني آمنت أي صدقت بكل ما يأمرني به رسولك عنك وهذا عهد من العبد يعاهد به ربه بانه يفعل كل شيء يأمره به الرسول عن الله ويترك كل شيء ينهاه عنه الرسول عن الله فاذا خالف العبد بعد ذلك شيئاً من الأوامر او النواهي فقد نقض عهده وخالفه واخرج نفسه عن زمرة المتقين فعليه ان يتتبع ما أراده منه الله والرسول في جميع احكامه القولية والفعلية سواء اكان وقتها في حياة الرسول او بعد ارتحاله من الدنيا ولا يجوز بحسب

العقل والمنطق والعرف ان يجتمع جماعة من امة النبي فيختاروا شخصاً مثلهم ويجعلوه واسطة بينهم وبين الله ورسوله فيقول افعلوا كذا واتركوا كذا والشيء الفلاني واجب وذاك محرم :

اما اذا كان الرسول هو الذي عين هذا الوسيط حيث اله علمه الأحكام وان الله اخبره بصلاحيته لهذه الوساطة لأن الله عصمه من الذنوب ومن الخطأ والسهو والنسيان فهذا مما يحكم العقل والشرع والعرف والوجدان بوجوب الأخذ منه والاعتماد على أقواله وان من ترك اقواله واحكامه فهو في متاهة وظلال فمن عرف من الناس هكذا شخصاً نصبه الرسول لأمته من بعده فليتمسك به ومن لم يعرفه فعليه الفحص والبحث والسؤال عن اهل العلم والدين ولا يسوغ له في حكم العقل ان يهمل نفسه فان له نفساً واحدة اذا خسرها يكون قد خسر الدنيا والآخرة هذا هو الايمان الصحيح الذي يعده الله ايماناً ويصف قائله بالمؤمن ويعده بالأمور الثلاثة المتقدمة : -

جنات تجري من تحتها الأنهار :

وازواج مطهرة :

ورضوان من الله :

اما الذي يقول آمنت ولا يعرف معناها اما الذي يقول آمنت ولا يرتب اثراً على كلامه ، اما الذي يقول آمنت ويعمل بما يشتهي او يختار وسيطاً كما يشتهي ويعمل بامره ونهيه فهذا ليس له من الايمان الا القول باللسان لا غير ومثل هذا نداء الله موجه اليه ان يؤمن بقلبه كما آمن بلسانه (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) فليقل مليون مره آمنت آمنت ففي كل مرة يقولها تكتب عليه كذبة او اشد من الكذبة هذا بالنسبة الى وصف المتقين باقوالهم ، واما وصفهم باعمالهم وافعالهم فقد وصفهم الله بخمس صفات فقال عز وجل :

« الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار »
فهذه الصفات الخمس قد وصف الله بها المتقين وينبغي الكلام في كل صفة منها حتى تتضح لمريد الخير الطالب للرشد :

اما الصابرون فقد ذكر المفسرون إن الصبر على ثلاثة اقسام :

١ – صبر على الطاعات .

٢ – وصبر عن المعاصي :

٣ – وصبر عند المصيبة :

أما الصبر على الطاعات فهو ان يأتي العبد بجميع الواجبات ولا يترك منها شيئاً لثقله وصعوبته وكذا يأتي بالمندوبات ماامكن منها ووسعه الوقت

وأما الصبر عن المعاصي فهو ان يترك جميع المحرمات والمكروهات وان يخالف نفسه التواقة وهواه المردي بل ينبغي ان يترك المباحات ولا يفعل الا واجباً او مندوباً :

واما الصبر عند المصيبة فهو مايرد عليه من موت أحبة أو ذهاب مال او اعتداء من الناس وغير ذلك فعليه ان يصبر في جميع هذه الموارد :

قال الراغب في مفرداته أنه قال الصبر هو حبس النفس على مايقتضيه العقل والشرع اوعما يقتضيان حبسها عنه . فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس لمصيبته سمي صبراً لاغير ويضاده الجزع ، وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن ، وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر ، وان كان في امساك الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل (مذل بسره افشاه ق) وقد سمى الله كل ذلك صبراً نبه عليه بقولـه : (الصابرين في البأساء والضراء وحين الباس) : (والصابرين على ما اصابهم) (والصابرين والصابرات) .

وعن المحقق الطوسي قال : الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه

وهو يمنع الباطن عن الاضطراب واللسان عن الشكاية والاعضاء عن الحركات غير المعتادة ولقد وردت الآيات الكثيرة في مدح الصبر والصابرين حتى ان بعض الآيات جعلت عاقبة الصبر هو الفوز بخير الدنيا والآخرة كما في سورة النحل : (ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وفي سورة الزمر : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وفي بعض الآيات ان الأئمة الذين جعلهم الله هداة للناس انما اختارهم لعلمه بصبرهم على مالا يصبر عليه احد غيرهم كل ذلك لاجل المحافظة على صورة الدين الظاهرة والآية في سورة التنزيل وهي قوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فان الظاهر من سياق الآية وان كانت بالنسبة الى بني اسرائيل ولكن لا يخفى على ذوي المعرفة ان ذكر القصص القرآنية انما هي لانذار هذه الأمة وتبشيرهم فهي موجهة لهم مع انه قد قال رسول الله (ص) انه يقع في هذه الأمة ما وقع في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل فذكر قصة موسى وإيتائه للكتاب ، وجعل الأئمة من بني اسرائيل وهم هارون وأولاده نظير بعثة النبي وايتائه القرآن وجعل الأئمة من أخيه وابن عمه وأولاده كما قال (ص) انت مني بمنزلة هارون من موسى .

ثم انا اذا لاحظنا سيرتهم نراهم قد صبروا على أمور لا طاقة لأحد من البشر ان يصبر عليها فقد حكي عن كنز جامع الفوائد :

روى عن موسى بن جعفر عن ابيه قال جمع رسول الله (ص) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين واغلق عليهم الباب وقال يا أهلي واهل الله ان الله عز وجل يقرأ عليكم السلام وهذا جبرئيل معكم في البيت يقول : ان الله يقول اني قد جعلت عدوكم لكم فتنة فما تقولون ؟ قالوا نصبر يارسول الله لأمر الله وما نزل من قضائه

حتى نقدم على الله عز وجل ولنستكمل جزيل ثوابه فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كله فبكى رسول الله (ص) حتى سمع نحيبه من خارج البيت فنزلت هذه الآية (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا) (١) ولنستمع الى اول الائمة واعظمهم شاناً وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حين يصف لنا صبره ويذكر المصائب والمحن التي صبر عليها ففي الرواية المسندة الى ابن عباس قال ذكرت الخلافة عند امير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال :

أما والله لقد تقمصها اخوتيم وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل (٢) ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحاً وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء (٣) يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الأعشى :-

شتان مايومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠ .

(٢) قال الشيخ محمد عبده عند تعليقه على هذه الكلمة - تمثيل بسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وان مايصل الى غيره من فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله ، وعلى ذلك قوله ولا يرقى .. الخ ، غير ان الثانية ابلغ من الاولى في الدلالة على الرفعة .

(٣) طخية بطاء فخاء بعدها ياء ويثلث اولها اي ظلمة ونسبة العمى اليها مجاز عقلي وانما يعمى القائمون فيها اذ لايهتدون الى الحق وهو تاكيد لظلام الحال واسوادادها .

فياعجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ماتشطرا ضرعيها فصيرها في حوزه خشناء يغلظ كلامها (وفي نسخة كلمها) ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع الى ان انتكث فتله واجهز عليه عمله وتبت به بطنته فما راعني إلا والناس كعرف الضبع الي ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) (١) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناظر وما اخذ الله على العلماء ان لايقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز .

قالوا وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فاقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

يا امير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فو الله ما اسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لايكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث اراد . انتهى كلام ابن عباس .

ارأيت ايها القارىء الكريم :

كيف وصف لك أمير المؤمنين المصائب العظام التي مرت عليه فتلقاها بالصبر وسعة الصدر وعرفت قيمة الدنيا عنده فانها لاتساوي عفطة عنز ، وانما يريد احقاق الحق واقامة العدل ولكن الناس لايريدون ذلك فهو سيد الصابرين وامام المتقين ، وقال أيضاً يصف صبره على المصائب كما في النهج (فنظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم وآلم للقلب من حز الشفار) .

تأمل أيها القارىء في كلامه لتعرف مقدار صبره ويتضح لك ان الآية الشريفة إنما تنطبق عليه وهي قوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمه يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايانا يوقنون) (١)

ومن الشعر المنسوب اليه قوله عليه السلام :

هي حالان شدة ورخاء وسجالان نعمة وبلاء
وللفتى الحاذق الأريب اذاما خانه الدهر لم يخنه العزاء
ان المت ملمة بي فاني في الملمات صخرة صماء
صابر في البلاء علماً بأن ليس يدوم النعيم والبلواء

وقال أمير المؤمنين (ع) الصبر مطية لاتكبو والقناعة سيف لاينبو ، ثم ان هؤلاء الذين جمعهم رسول الله في الدار واغلق عليهم الباب واخبرهم

---

(١) سورة السجدة آية : ٢٤ .

بان الله قد جعل عدوهم فتنة لهم وهم امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) قد ابتلوا من اعدائهم وهم الشجرة الملعونة من بني امية وبني الحكم بمصائب عظيمة وقد صبروا عليها فان الامام الحسن (ع) قد ابتلى بمعاوية فانه قد فعل معه من الاذى ماتمكن منه وقابله الامام بالصبر والحلم الى ان دس اليه السم فمات شهيدا .

وأما الامام الحسين (ع) فكل احد يعلم مافعل معه بنو امية من تشريد وقتل وسلب وتمثيل وسبي عيال وهذه الأفعال والاعمال ليست مع الحسين وانما هي مع رسول الله (ص).

وأما فاطمة الزهراء (ع) فيكفي من عظم مصائبها انها وقفت قبال قبر أبيها (ص) وبثته احزانها وحكت له ماجرى عليها وآخر بيت خاطبته به هو قولها سلام الله عليها :

صبت علي مصائب لو انها صبت على الأيام صرن لياليا

وقد ذكروا قصصاً وحكايات عن بعض الصابرين والصابرات لايسع المقام لذكرها .

وعن أمير المؤمنين (ع) انه قال اياكم والجزع فانه يقطع الأمل ويضعف العمل ويورث الهم واعلم ان المخرج من امرين ما كانت فيه حيلة فالاحتيال وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار :

حكي عن بعض التواريخ ان كسرى سخط على بزر جمهر فحسبه في بيت مظلم وامر ان يصفد بالحديد فبقي اياماً على تلك الحال فارسل اليه من يسأل عن حاله فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس ، فقال له انت في هذه الحالة من الضيق ولراك ناعم البال ! فقال اصطنعت ستة اخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي ابقتني على ما ترون، قالوا له صف لنا هذه الاخلاط لعلنا نتقع بها عند البلوى فقال نعم :

أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل :

وأما الثاني فكل مقدر كائن :

وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن :

وأما الرابع فاذا لم اصبر فماذا اصنع ؟ ولا اعين على نفسي بالجزع

وأما الخامس فقد يكون اشد مما انا فيه :

واما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج : فبلغ ما قاله كسرى فاطلقه وأعزه :

الصفة الثانية من صفات المتقين : -

هي صفة الصدق المرادة بقوله تعالى : (والصادقين) :

فقد ذكر القرآن آيات عديدة في مـــدح الصدق والصادقين وكذا ورد المدح في السنة ثم الصدق يكون تارة بالقول وهو الظاهر المتبادر عند اطلاق كلمة الصدق وهو ما كان مجانباً للكذب بحسب اعتقاد المتكلم حين تكلمه وهذا هو المطلوب من الانسان وهو صفة حسنة جميلة يوصف صاحبها بالصدق ومرة أخرى يكون الصدق بالفعل بمعنى انه يأتي بفعله على الوجه الأكمل بلا زيادة ولا نقيصة ولا عيب ولا خلل تام الاجزاء والشرائط موافقاً لارادة الآمر وهو الشارع المقدس ، حيث ان كـلامنا في صفات المؤمنين فيلزم على العاقل الرشيد الذي يريد ان ينتفع من افعـــاله فتكون محفوظة عند مولاه العالم باسراره ان تكون افعاله موافقة لارادة المولى أي تكون بدلالته وإرشاده وتكون مستمدة من الله بالوسائط التي يقطع العبد انها مرضية لله ولا يجعل لله على نفسه حجة يوم يلقاه فاذا سأله الله وقال له من الذي امرك ان تأخذ بقول زيد وقول عمرو ومن الذي سوغ لك الأخذ بقول فلان وفلان ؟

فليس للعبد جواب مقبول ، اما اذا اخـذ بقول اهـل بيت النبوة

وموضع الرسالة ومختلف الملائكة. فاذا سأله الله عن ذلك يقول له ان رسول الله قال لنا اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهـل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما .

فالعبد الذي تكون أفعـاله العبادية مطابقة لمذهب اهل البيت تكون يوم القيامة ويوم السؤال ويوم العرض اكبر حجة واضحة قوية اما غيره الآخذ بأقوال أبي هريرة واشباهه فليس لديه جواب في ذلك اليوم « كل نفس بما كسبت رهينة » هذا هو الصدق بالفعل المحمود الممدوح عند الله وعند الرسول وعند كل احد ومرة ثالثة يكون الصدق في النية قال الامام الصادق (ع) صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله في الأمور كلها قال الله : (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) (١) .

فالنية بالنسبة الى الأعمال العبادية التي يريد العبد ان يتقرب بها الى ربه وهذه النية تكون هي الواسطة بين العلم والعمل فان الانسان اذا لم يعلم الشيء لم يمكن قصده ، ومالم يمكن قصده لم يصدر منه وان المتعبد حيث كان غرضه التقرب الى الله يلزمه معرفة ما يطلبه الله منه معرفة حقيقية حتى يمكنه التقرب به فتكون النية منه صادقة وان لم يجزم يكون الشيء مطلوباً ومحبوباً لله فلا يمكن ان تتأتى منه النية .

هذا بالنسبة الى كل احـد وانما الفرق بين العالم والجاهل ان العالم يتوصل الى كون الشيء مطلوباً لله بالأدلة القطعية المقبولة عند الله ، والجاهل يعمل باخبار العالم العادل فالعالم يكون مكلفاً عن عمله وعمل الجاهل فان لم يبن عمله على ادلة صحيحة مقبولة يكون عليـه وزره ووزر من يعمل بقوله وهذا من اعظم البلاء الذي يجلبـه المرء على نفسه ، ولا تظن ان

---

(١) سورة الشعراء آية : ٨٨ / ٨٩ .

النية ان تخطر بقلبك عنـــد ارادة العبادة بان تنوي انك تأتي بهذه العبادة قربة الى الله تعالى ، فان هذا الإخطار غير كاف وانما النية المعتبرة النافعة هي انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها وهـذا الميل والانبعاث اذا لم يكن حاصلا لها لم يمكنها اكتسابه بمجرد التصور لتلك الألفاظ أو النطق بها .

ولا يخفى ان طريق انبعاث النفس وصرف القلب الى الشيء انما يكون بتحصيل الأسباب الموجبة له واجتناب الأمور المضادة له ، فاذا كان قلبك عند ارادة العبادة منهمكاً ومشغولا بالأمور الدنيوية والتوجه بطلبها او لويت العبادة المطابقة لفتوى العالم الذي يوجد في الأمة اعلم منه وذلك الاعلم هو المتصف بالعدالة والعصمة دون هذا ، فكيف يمكنك ان تتقرب بهذه العبادة الى الله وانت لا تعلم بأن الله طلبها منك حيث لم تكن موافقة للغرض ، فالنيـــة على هذا غير صادقة وانما هي مجرد الفاظ تخطرها على قلبك فكل من اخـــذ احكام دينه من غير العالم الذي اودع النبي عنده الأحكام لم يكن حين النية جازماً بكون الفعل مطلوباً لله ولم يكن صادقاً في نيته :

روى عن النبي (ص) انه قال لا يقبـــل قول الا بعمل ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية الا باصابة السنة :

فمن يقول انا مسلم مؤمن ويقول اشهد ان لا إله إلا الله لا يقبل منه هذا القول الا ان يعمل بمضمونه ومن يعمل لا يقبل منه العمل إلا بنية صادقة ومن يعمل بنية لا يقبل منه إلا باصابة السنة والسنة لا يتوصل لها الانسان الا بوسائط عدول ينقلون له الاحكـــام التي نزلت على النبي ولا واسطة عدل غير علي وأولاده المعصومين : لان الله قال لابراهيم لما طلب منه ان يجعل الامامة في ذريته قال : « لا ينال عهدي الظالمين » ومن اظهر

مصاديق الظلم عبادة الأصنام فمن عبد صنماً في يوم من أيام حياته لا يصلح أن يكون اماماً والشرط في الامام ان يكون موحداً مؤمناً من يوم ولادته وليس كذلك غير علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعليه آلاف الصلاة والسلام :

وروي عن الامام الصادق (ع) في قوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة :

ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد إلا الله عز وجل فقوله تعالى ليس يعني اكثركم عملا لان العمل الغير الخالص مهما كثر فهو لا يعتد به بل تضييع للعمر ، وانما العمل النافع ما ذكره بقوله : ولكن اصوبكم عملا ، والاصابة مطابقة العمل حقيقة لما أمر به المولى ، اما اذا كان المأمور به شيئاً والمأتي به شيئاً غيره فهذا شيء غير مفيد وان كانت المغايرة بزيادة جزء او نقيصته فالشرط في قبول العمل اصابته للسنة وان يكون خالصاً لله تعالى اما اصابة السنة فتعرف في الخارج من اخذ العمل من الدليل المنصوب من قبل الله .

واما الاخلاص فلا يمكن معرفته ولا يدل عليه دليل لأنه أمر قلبي لا يطلع عليه أحد ولا يدل عليه شيء ولا يعلمه إلا الله تعالى والله قد يخبرنا عنه في بعض الأوقات لاجل ان ترسخ العقيدة في قلوبنا ، فمن تلك الموارد التي اخبرنا بها قوله اخباراً عمن نزلت في حقهم سورة هل أتى في قوله تعالى : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » فان المطعمين المسكين واليتيم والأسير لم يتكلموا بذلك وانما علمه الله فأخبر عما انطوت عليه سرائرهم ، وكذا قوله تعالى : « وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه

الأعلى » (١) فانه لا يعلم هذه النية إلا الله تعالى ، هذا بالنسبة الى صدق النية في العبادة :

واما بالنسبة الى صدق النية في اصل العقيدة المعتبرة في تحقق الايمان التي هي الأصل وعليها يبتني كل شيء من عمل وغيره وعليها تكون معاملة الله لعبده في الدنيا والآخرة فانها أي الصدق في العقيدة هي المقصودة من قوله تعالى : في وصف المتقين الذين هيأ الله لهم الأمور الثلاثة :

١ ـ جنات تجري من تحتها الانهار :

٢ ـ ازواج مطهرة .

٣ ـ رضوان من الله :

ثم وصفهم بقوله تعالى : (الصابرين والصادقين) الخ : فان صدق النية التي ينعقد بها الايمان اذا تحققت من العهد تحقق معها كل شيء وتبعتها كل الصفات الخمس وتحقق منه معنى القول الذي ذكره انه يقوله وهو قوله : (ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) وان لم ينطبق به بلسانه فان هذه النية الصادقة تنوب عنه وتفي به واذا تحقق الصدق في النية تحقق الصدق في القسمين المتقدمين وهما :

الصدق في القول ، والصدق في الفعل :

فمن أراد ان يكون من المتقين واراد أن يحظى بوعد الله للمتقين بالأمور الثلاثة ، عليه ان يتصف بصدق النية في العقيدة فان الله سيهديه الى صدق النية في العبادة ويجعله صادقاً في القول والفعل :

فقد تواترت الرواية عن النبي (ص) انه قال : (نية المؤمن خير من عمله) وقد أولت هذه الكلمة بتأويلات عديدة ومن أحسن التأويلات

---

(١) سورة الليل آية : ١٧ / ١٨ / ١٩

ان مراده من النية هي :

العقيدة الحقة فانها لا شك خير من عمله والعقيدة الحقة هي الموافقة للفرقة الناجية المقابلة لاثنين وسبعين فرقة كلها في النار فيلزم على المرء ان يتصف بهذه النية بعد أن يبحث ويفحص ويبذل الجهد في تميز الفرقة الناجية حتى تكون نيته عند ما يصل الى حد الرشد ويتوجه اليه الخطاب من الله تعالى بان يعتنق الدين الاسلامي وان يدخل في زمرة المؤمنين ويشمله التكليف الموجه الى العقلاء من عبادات ومعاملات ، ويريد العهد في ذلك الحين ان يسلم وجهه لله ويؤمن به وبرسوله ينبغي له ان تكون نيته نية صحيحة موافقة لتلك الفرقة الناجية ، ولا اقول انه يلزمه في تلك الحالة البحث عن عقائد الفرق كلها واختيار العقيدة الحقة فان هذا غير ممكن أن يتحقق في سنين عديدة ولكن اقول عليه اذا نوى الدخول في الدين الاسلامي أن تكون نيته اتباع ماجاء به النبي من الله ، وامتثال اوامره ونواهيه واخذ احكامه من القرآن بواسطة العلماء العاملين باحكامه الذين عينهم النبي الاعظم بقوله : (انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى) فالنبي انما جعلهم عدلا للقرآن لايفترقان الى يوم القيامة لان عندهم علم القرآن ولا يوجد عند غيرهم ، فاذا نوى ان يأخذ أحكام دينه ممن هو عالم بها حقيقة بجميع اقسامها اصولا وفروعاً ، فقد تحقق منه صدق النية وان الله سيعينه ويسدده ويرشده ويوصله الى مطلوبه ، هذا اذا كانت النية صادقة اما اذا كانت نيته غير صحيحة من أول الأمر اوانها فسدت بعد ذلك حين تغره الدنيا ويستولي عليه الطمع فتكون نيته كما ذكر الله في قوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض) (١)

(١) سورة البقرة آية : ٨/٩ / ١٠ .

الخ . فقد اخبر الله ان هؤلاء الناس يقولون آمنا ولكنهم غير مؤمنين وان نيتهم الخديعة ولكن لايخدعون الا انفسهم وقال الله ان هؤلاءلهم عذاب عظيم اليم بما كانوا يكذبون .

أما الذى يكون صادقا في مثل هذا القول أي اذا قال آمنت بالله وباليوم الآخر بنية صادقة فقد اخبر الله عنهم بقوله (وهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فقد ظهران نيته الايمان والاسلام اذا كانت صادقة تهمها خير الدنيا والآخرة مادامت مستقيمة ، واذا كانت كاذبة فليس لصاحبها في الآخرة نصيب ولا يصيبه في الدنيا الا ماقدر له الله ثم ان الصدق في النية انما هو مصداق واحد وطريق واحد ليس فيه التواء ، وأما الكذب فيها فله مصاديق عديدة لأن الكذب انما ينشأ عن عدم العقيدة .

وعدم الاعتقاد مرة يكون بالنسبة الى الواحد الأحد ، وتارة يكون بالنسبة الى نبوة محمد بن عبد الله ، وثالثة يكون بالنسبة الى ماجاء به النبي (ص) كلا او بعضا ، ومرة رابعة يكون بالنسبة الى الواسطة الذي نصبه النبي ليكون علما من بعده وغير هذا وذاك ، ولذا صارت الفرق الهالكة اثنين وسبعين ، والناجية واحدة .

وقد وردت الآيات والروايات الكثيرة في تصحيح النية والصدق فيها والتعبير عنها تارة بلفظ النية وتارة اخرى بالسريرة فلا يتحقق الايمان الا بصحة السريرة فلا ينبغي للعاقل أن يخدع نفسه كما نطقت الآية الشريفة : (وفي الآخرة ليس له الا العذاب الاليم) ومن جملة الروايات التي ترشدنا الى تصحيح النية وانها اذا صحت اربعين يوما اثبت الله الحكمة في قلبه :

مارواه في البحار بالاسناد الى ابن عيينة عن السندي عن أبي جعفر قال : (ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا

وبصره دائها ودوائها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه ثم تلى : (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين) (١) فلا ترى صاحب بدعة الا ذليلا او مفتريا على الله عز وجل وعلى رسوله واهل بيته صلى الله عليه وآله إلا ذليلا .

فاخلاص الايمان لله انما يكون ايمان لايشوبه شيء آخر من الشرك والرياء وسائر المعاصي بحيث تكون نيته خالصة لله في جميع اعماله من عباداته ومعاملاته وسائر حركاته من كلام وسكوت وقيام وقعود واكل وشرب ويقظة ونوم ، ونظر وسماع ، وغيرها واهم هذه الأمور واصلها ومنبعها واولها وآخرها معرفة الواسطة الذي يكون بين النبي وبين أمته في تبليغ الأحكام ، فان النبي ترك لامته القرآن والسنة .

أما القرآن فلا يتمكن كل احد من معرفة احكامه وتفسيره وتأويله . وأما السنة فلا تفي بجميع الاحكام مع ان فيها الناسخ والمنسوخ والمجمل والمحكم والمتشابه وترك النبي لامته مع القرآن اهل بيته وهم المفسرون للقرآن لايفارقونه ولا يفارقهم فمن اخذ بواحد وترك الآخر فقد تركهما جميعاً بل لايمكن الأخذ بواحد منهما على الحقيقة لان الاخذ بالكتاب وحده يحتاج الى فهم معانيه ومعرفة مافيه من الأحكام ولا يعرفها الا أهل البيت فاذا كان الآخذ به تاركاً لأهل البيت لم يكن حينئذ آخذاً بالقرآن وانما هو آخذ بهواه وأما الآخذ بأهل البيت وحدهم فلا يتصور لانهم متمسكون بالقرآن .

وقد عرفونا مراراً عديدة بان كل شيء يجيئنا منهم انما يجوز لنا الأخذ به اذا كان موافقاً للقرآن فالأمر أن اللذان تركهما لنا النبي متلازمان لايمكن ان يفارق احدهما صاحبه فمعنى اخلاص الايمان لله ان يكون العبد

---

(١) سورة الاعراف آية : ١٥١ .

مستمداً من الله في جميع اموره بمن عينه الله له ولا يجعل هو من ذات نفسه احداً من الناس واسطة بينه وبين الله ورسوله فان من جعل احداً من ذات نفسه فهو من اتباع الهوى ولذا ترى الامام الباقر (ع) استدل بالآية الشريفة وهي قوله تعالى : (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب الخ ..) ولا يخفى على النبيه مافي الاستدلال بالآية المتعلقة بقوم موسى من معنى دقيق وذلك ان قوم موسى انما اتخذوا العجل حينما غاب عنهم موسى ، وجعل اخاه هارون خليفة عنه يأمرهم وينهاهم فتركوه واتخذوا العجل ، فهذا احد اوصياء النبي واحد خلفائه محمد الباقر يريد ان يعرفنا بان كل من ترك الوسائط الذين عينهم النبي لكم في امور دينكم ودنياكم واخذ بقول غيره واعتبر غيرهم واسطة فان عبادته غير خالصة وهو كمن اتخذ العجل سينالة غضب من الله وذلة فالمتقي الذي وصفه الله بالصدق لابد وان يكون صادقاً في جميع هذه المواطن صادقاً بالقول وصادقاً بالفعل وصادقاً في نية العبادة وصادقاً في نية العقيدة والايمان ، فاذا اتصف بالصدق في هذه المواطن كلها كان هو الرجل الكامل من جميع الجهات الجامع لجميع الصفات لان كلامه صدق وعمله صدق ونيته صدق فليس فيه من جميع النواحي كذب ولقص وهو المعنى والمقصود بقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فقد امر الله المؤمنين بالتقوى وبالملازمة للصادقين والاقتداء بهم والأخذ باقوالهم لان اقوالهم ليس فيها كذب وكذا بالنسبة الى افعاله فكل من كتب في تفسير القرآن او كتب عن هذه الآية شيئا لاريب انه من المؤمنين وان الله قد أمره بامر حتمي مطلق غير معلق على شيء ، امره ان يكون مع الصادقين .

فيلزم عليه ان يفحص ويبحث عن هؤلاء الرجال المتصفين بالصدق في جميع المواطن وان يكون معهم لامع غيرهم فان عرفهم وتركهم فيلهي

له ان يحكم على نفسه بلا تردد أنه غير مؤمن وان لم يعرفهم وترك البحث عنهم فهو ايضاً غير مؤمن لان الله امره بالتمسك بهم والله لايأمر بالتمسك بشيء غير موجود اما اذا قال انه بحث وفحص فلم يجدهم فانا ادله عليهم واقول له انهم ائمة اهل البيت الاثنى عشر الذين قرنهم النبي بالكتاب فعليه ان يلاحظ تراجمهم وايام حياتهم فسوف يقف على ما اتصفوا به من الصدق في القول والفعل والنية في العبادة والعقيدة فضلا عن سائر الصفات الأخر من الصبر وغيره واذا ابى وامتنع عن ملاحظة احوالهم فانه لايريد أن يكون من المؤمنين ، وذلك يعود اليه وسيأتي الكلام على هذه الآية مع ماقبلها من الآيات في سورة التوبة انشاء الله تعالى .

الصفة الثالثة من صفات المتقين : هي

التى ذكرها الله بقوله (والقانتين) .

القنوت في اللغة بمعنى الدعاء والطاعة والسكون والقيام في الصلاة والامساك عن الكلام والخشوع وغيرذلك ، واما في اصطلاح الفقهاء فهو الدعاء في اثناء الصلاة في الركعة الثانية بعد الفراغ من القراءة قبل الركوع سواء أكان مع رفع اليدين اوبدونه وان كان الغالب اطلاقه على الدعاء مع رفع اليدين وقال الجوهري القنوت : الطاعة هذا هو الأصل ومنه قوله تعالى : (القانتين والقانتات) وقريب منه كلام ابن فارس ولا يخفى ان الطاعة تشمل جميع المعاني فاذا كان القنوت هو الطاعة او الخشوع فانه يختلف باختلاف حال الناس قلة وكثرة فمن كان طائعاً اوخاشعاً في بعض الأوقات ويكون في وقت آخر غير طائع ولا خاشع فهذا لايمكن ان يكون هو الممدوح في الآية الشريفة وان الذي يقطع بكونه داخلا في مضمون الآية واله ممدوح من قبل الله هو مايكون طائعاً وخاشعاً في جميع احواله وفي جميع اوقاته وافعاله وهو نفس الموصوف بالصفتين المتقدمتين من الصبر

والصدق ، وهو عين المتصف بالصفة القولية التي ذكرها الله قبل هذه الصفات بقوله : (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ... الخ) فهو المؤمن الكامل الايمان من جميع الجهات وبجميع المعاني وهم رجال معدودون ذكرهم الله لعباده ليعرفونهم باسمائهم وصفاتهم فيقتدون بهم ويتعلمون منهم العلوم وكيفية العبادة والطاعة لله والخشوع له وهم الذين قرنهم النبي بالكتاب وأمر بالتمسك بهم .

وقد روى عنهم العارفون بهم من رجال المؤمنين ادعية كثيرة كانوا يدعون بها في الصلاة وفي غير الصلاة فالمؤمن او المسلم الذي يطلب الرشد ويروم القرب من الله ومن رسوله يلزمه ان يتعرف على هؤلاء الرجال الذين خصهم الله بذكره ويتأمل فيما علمونا به من الأدعية والاذكار والأوراد حتى يصل الى حقيقة الحق والى الدين الصحيح .

انظر الى دعاء كميل الذي علمه امير المؤمنين لكميل بن زياد ، والى غيره من الأدعية ، والنظر الى دعاء الحسين (ع) يوم عرفة والى ما فيه من المضامين العالية الدقيقة .

والنظر الى ادعية الصحيفة السجادية المروية عن زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) .

والنظر الى دعاء ابي حمزة الذي يقرأ وقت السحر في شهر رمضان .

والنظر الى القنوتات الواردة عنهم لكل امام قنوت يقنت في الصلاة .

والنظر الى الأدعية التي يدفعون بها شر الجبابرة من اعدائهم . النظر الى الدعاء الذي أمر الامام الحادي عشر الحسن بن علي للعسكري اهل قم ان يدعوا به لما شكوا من موسى بن بغي فانك اذا طلعت على هذه الأدعية تعرف معنى القنوت وتعرف من هم القانتون . لقد ضيق ملوك بني أمية على الامام علي بن الحسين (ع) غاية التضييق ومنعوه من الخلوص الى الناس

وتعليم العلوم ولما رأى هذا الضيق منهم صار يجلس في المسجد ويدعو الله عز وجل بفنون الدعوات ويعلم الناس مكارم الاخـــلاق بدعواته ويعلمهم آداب الدين واحكـــام العبادات بدعائه حتى جمعوا من دعواته الصحيفة وبقيت الى هذا اليوم يدعى بها ولكن لا يعرفها إلا من يعرف مقام الامام مع شهرتها وانتشارها وطبعها مرات عديدة :

فيا أيها المسلم اعرف القانتين الذين عناهم الله في كتابه الكريم »

حكي عن كتاب طب الأئمة قال روي عن أبي عبد الله (ع) قال دعاء المكروب والملهوف ومن قـد اعيته الحيلة واصابته بلية « لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » يقولها ليلة الجمعة اذا فرغ من الصلاة المكتوبة من العشاء الآخرة وقال اخذته عن أبي جعفر (ع) قال أخذته عن علي بن الحسين ذي الثفنات اخذه عن الحسين بن علي (ع) اخـــذه عن امير المؤمنين (ع) اخذه عن رسول الله (ص) اخذه عن جبرئيل من الله عز وجل اقول هل يوجد هذا السند عن احـد من الناس غير اهل بيت النبوة هذا واحد من ملايين فلا تغفلوا عنه :

يا طالب الرشد : استمع لما يرويه حبة العرني قال حبة بينا انا ونوف نائمين في رحبة القصر اذ نحن بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبيه الواله وهو يقول : (ان في خلق السموات والأرض : » : الى آخر الآية) قال ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر عقله فقال لي اراقد انت يا حبـة ام رامق قال قلت رامق هذا انت تعمل هذا العمل فكيف نحن قال فارخى عينيه فبكي :

ثم قال لي يا حبة ان لله موقفاً ولنا بين يديه موقفاً لا يخفى عليه شيء من أعمالنا » يا حبة ان الله اقرب الي واليك من حبل الوريد » يا حبة انه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء :

قال ثم قال : اراقد انت يانوف قل قال لا يا امير المؤمنين ما انا براقد ولقد اطلت بكائي هذه الليلة فقال يانوف إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله تعالى قرت عيناك غداً بين يدي الله عز وجل ، يانوف انه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله الا اطفأت بحاراً من النيران ، يانوف انه ليس من رجل اعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله واحب في الله وابغض في الله ، يانوف انه من احب في الله لم يستأثر على محبته ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه خيراً عند ذلك استكملتم حقائق الايمان . ثم وعظها وذكرهما وقال في اواخره فكونوا من الله على حذر فقد انذرتكما .

ثم جعل يمر وهو يقول : ليت شعري في غفلاتي امعرض انت عني ام لناظر الي وليت شعري في طول منامي وقلة شكري في نعمك علي ماحالي قال فوالله مازال في هذا الحال حتى طلع الفجر ، وقد ذكر نوف لمعاوية ابن أبي سفيان بعض صفات الامام وانه مافرش له فراش في ليل قط ولا أكل طعاماً في هجير قط ، وقال نوف اشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخي الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض بيده على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين .. الخ الحديث المشهور .

فاذا أردت ان تعرف القانتين من هم فانظر الى افعالهم واقوالهم :

الصفة الرابعة من صفات المتقين :

التى ذكرها الله هي قوله : (والمنفقين) الانفاق هو اعطاء المال في سبيل الله لمن هو محتاج اليه سواء اكان بقصد الزكاة الواجبة اوالمندوبة اوصلة الرحم او الصدقة المطلقة اوالمساعدة والمعاونة اوالهدية اوسائر الوجوه الواجبة أو المندوبة ، بشرط ان يكون خالصاً لوجه الله تعالى لا يخالطه شيء من امور الدنيا وقد ذكرنا في سورة البقرة الآيات الآمرة بالانفاق

وشروطه التي تجعله مقبولا عند الله :

وقبل الشروع في ذكر ماورد في الحث على الانفاق من الآيات والأخبار ينبغي الالتفات الى ان الله عز وجل قد ذكر في الآية المتقدمة قبل هذه الآية ان الامور التي زينت للناس وهم يحبونها ويشتهونها انما هي متاع الحياة الدنيا ، وقد نبهنا في هذه الآية على شيء مهم وهو ان من جملة امتعة الدنيا الذهب والفضة وانه يتمكن الرجل العالم العاقل ان يجعل الذهب والفضة سبباً للتمتع في الآخرة مضافاً الى الدنيا وذلك بان ينفق الكل او البعض في سبيل الله فيحرز بهذا الانفاق صفة من صفات المتقين فاذا ضم اليها بقية الصفات دخل في جملة المتقين فيحصل على ما اعد الله له في الآخرة من الجنات والازواج والرضوان :

وقد ورد جملة من الأخبار بهذا المعنى فمنها ماروي عن الصادق (ع) عن أبيه الباقر انه سئل عن الدنانير والدراهم وما على الناس فيها فقال ابو جعفر (ع) هي خواتيم الله في ارضه جعلها الله تعالى مصلحة لخلقه وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم فمن اكثر له منها فقام بحق الله تعالى فيها وادى زكاتها فذلك الذي طابت وخلصت له ، ومن اكثر له منها فبخل بها ولم يؤد حق الله فيها واتخذ منها الآنية فذلك الذي حق عليه وعيدالله عز وجل في كتابه : (يوم يحمى عليها في نار جهنم) .

وروي ان يهوديا اتى الى امير المؤمنين (ع) فسأله عن مسائل فكان فيما سأله ان قال لم سمي الدرهم درهماً والدينار ديناراً ؟

فقال (ع) انما سمي الدرهم درهماً لانه دار هم من جمعه ولم ينفقه في طاعة اورثه النار وانما سمي الدينار ديناراً لانه دار النار من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله اورثه النار ، فقال اليهودي صدقت يا أمير المؤمنين :

وقال رسول الله (ص) الدينار والدرهم اهلكا من كانا قبلكم وهما مهلكا كم وقد تكاثرت الآيات والروايات على الحث عليه :

(الانفاق)

ومدح فاعله بصورة مطلقة وان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب الجنة بعيد عن النار ، وان البخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة قريب من النار ، ولكن الانفاق يختلف ثوابه بحسب معرفة المنفق وعلمه حيث انه يعرف اين يضع المال وفي أي وجه ينفقه ، فانا قد نرى اشخاصاً ينفقون الشيء الكثير من المال ولكن في غير محله ، وقد يعطي الرجل شيئاً قليلا مصادفاً محله فيمدح عليه كثيراً وقد يعطى وهو لايملك غير المال الذي اعطاه فيمدح عليه كثيراً حيث انه لايملك سواه فالمناط في الانفاق معرفة المحل والمورد الذي يلبغي الانفاق فيه :

وقد روي عن الصادق (ع) انه قال ليس السخي المبذر الذي ينفق ماله في غير حقه ولكنه الذي يؤدي الى الله عز وجل مافرض عليه في ماله من الزكاة وغيرها والبخيل الذي لايؤدي حق الله عز وجل في ماله ، ولهذا نرى ان اعلم الناس بحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة اسمح الناس كفاً وازهدهم في المال بل لايفرق بينه وبين التراب في بذله لمريده ولقد كان الائمة الاطهار من حيث معرفتهم بزوال الدنيا ومن حيث أنهم اكمل الناس في كل شيء كانوا اسمح الناس واسخى الناس بعد رسول الله وقد شهد الله لهم بذلك ورسوله ومحبهم وعدوهم :

اما شهادة الله لأول الائمة وهو علي بن أبي طالب فقد انزل آية واحدة عرفنا فيها انه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وانه الخليفة والولي علينا

بعد الرسول (ص) وهي قولـــه تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) . فهذه الآية الشريفة فيها شهادة من الله على اربعة اشياء :

الأول : كونه من المؤمنين الكاملي الايمان :

الثاني : كونه مقيما للصلاة :

الثالث : كونه مؤتياً للزكاة :

الرابع : كونـــه ولياً للمؤمنين بعد النبي وانما لم نذكر الجهة الاولى وهي الايمان لانه جعله ولياً للمؤمنين ولا يكون ولي المؤمنين الا الكامل في ايمانه ولا يجوز ان يكون الولي لناقص الايمان ، واعني من ناقص الايمان هو الذي تصدر منه معصية واحدة من اول عمره الى آخره ولو كانت صغيرة او صدرت منه سهواً او خطأ فكيف بمن عبد الأوثان وسجد لها وهذا يعرف من اداة الحصر التي صدرت بها الآية وهي لفظة (انما) حيث حصر الولاية بالله وبالرسول وبالمؤمنين المتصفين باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم راكعون . وليست هذه الآية وحدها نزلت في حق الامام بل هناك آيات غيرها ستذكر انشاء الله عند الوصول اليها .

وأما شهادة النبي والمحبين فهي الاخبار التي رواها الاصحاب عن النبي في حقه وهم بها مقرون معترفون .

وأما شهادة اعدائه فمنها قول ألد الأعداء وهو معاوية بن أبي سفيان وكان يجتهد في وصمته وعيبـــه وذلك حينما جاءه محفن ابن أبي محفن الضبي وقال له جئتك من عند ابخل الناس فقال له معاوية ويحك كيف تقول انه ابخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لانفد تبره قبل تبنه ، وهو الذي كان يكنس بيوت الاموال ويصلي فيهـــا وهو الذي قال ياصفراء

ويا بيضاء غري غيري وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده الا ما كان من الشام .

وأما سخاء امامنا الحسن بن علي (عليها السلام) فمنه ما روي انه اعطى سائلاً خمسين الف درهم وخمسمائة دينار واعطي طيلسانه لكرى الحمال واعطى سائلاً آخر ما في الخزانة وانشد قائلاً :

نحن الناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال انفسنا خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل

وقال انس بن مالك ان جارية للحسن (ع) حيته بطاقة ريحان فقال لها انت حرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقال هكذا ادبنا الله (واذا حييتم فحيوا باحسن منها) وكان احسن منها اعتاقها وله (ع) شعر :

ان السخاء على العباد فريضة لله يقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الاسخياء جنانه واعد للبخلاء نار جهنم
من كان لا تندى يداه بنائل للراغبين فليس ذاك بمسلم

وله حكايات كثيرة في السخاء :

قال البيهقي في المحاسن في باب محاسن الحسن (ع) وكان (ع) اسخى اهل زمانه وذكروا انه اتاه رجل في حاجة فقال اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها الينا لنقضيها لك قال فرفع اليه حاجته فاضعفها له فقال بعض جلسائه ما كان اعظم بركة الرقعة عليه يابن رسول الله ؟ فقال بركتها علينا اعظم حين جعلنا للمعروف اهلاً .

واما حكايات السخاء عن امامنا الحسين الشهيد فهي كثيرة منها : قضاؤه دين اسامة وهو ستون الف درهم ، واعطاؤه للفرزدق اربعمائة دينار .

ومنها انه وفد اعرابي إلى المدينة فسأل عن اكرم الناس فدل على

الحسين فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بازائه والشأ يقول :

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقه
أنت جواد وانت معتمدٌ ابوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من اوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

قال فسلم الحسين وقال يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء قال نعم اربعة الآف دينار فقال هاتها قد جاءها من هو احق بها منا ، ثم نزع بردته ولف الدنانير فيها ودفعها للاعرابي والشأ يقول :

خذها فاني اليك معتذر واعلم باني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا الغداة عصىً امست سمانا عليك مندفقه
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقه

قال فاخذها الأعرابي وبكى فقال له (ع) لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن كيف يأكل التراب جودك .

وروي ان عبد الرحمن السلمي علم ولداً للحسين سورة الحمد فلما قرأها على ابيه اعطاه الف دينار والف حلة وحشى فاه درأ فقيل له في ذلك فقال واين يقع هذا من عطائه يعني بذلك تعليمه .

وروي انه جاء الحسين رجل من الانصار يريد ان يسأله حاجة فقال ياأخ الانصار صن وجهك عن ذل المسألة وارفع حاجتك في رقعة وأنا بها ساسرك انشاء الله فكتب اليه ياايها عبد الله ان لفلان علي خمسمائة دينار وقد الح بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة فلما قرأ الحسين الرقعة دخل منزله فاخرج صرة فيها الف دينار وقال له اما خمسمائة فاقض بها دينك واما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى احد ثلاثة إلى ذي دين أو مروة أو حسب .

واما ما ذكر من سخاء علي بن الحسين : فقد روي عن عمر بن ديبار

قال حضرت زيد ابن اسامة بن زيد الوفاة فجعل يبكي فقال له علي بن الحسين ما يبكيك قال يبكيني ان علي خمسة عشر الف دينار لم اترك لها وفاءً ، فقال له علي بن الحسين لاتبك فهي علي وانت بريء منها فقضاها عنه ، وروي عن ابي عبد الله الصادق قال لما حضر محمد بن اسامة الموت دخلت عليه بنو هاشم فقال لهم قد عرفتم قرابتي ومنزلتي منكم وعلي دين فاحب ان تضمنوه عني فقال علي بن الحسين اما والله ثلث دينك علي ثم سكت وسكتوا فقال علي بن الحسين علي دينك كله :

ثم قال اما انه لم يمنعني ان اضمنه اولاً الا كراهة ان يقولوا سبقنا وكان علي بن الحسين يقول مائة اهل بيت من فقراء المدينة وكان يعجبه ان يحضر طعامه اليتامى والاضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم وكان يناولهم بيده ومن كان منهم له عيال حمل له الى عياله من طعامه وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله :

واما ما يروى من سخاء ابي جعفر الامام الباقر (ع) فانه كان يجيز بالخمسمائة الى السبعمائة الى الالف درهم ، وكان لا يمل من صلة اخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه ، وأما ما روى عن سخاء امامنا جعفر الصادق (ع) روي عن ابي جعفر الخثعمي قال اعطاني الصادق (ع) صرة فقال لي ادفعها الى رجل من بني هاشم ولا تعلمه الي اعطيتك شيئاً قال فاتيته فقال جزاه الله خيراً ما زال كل حين يبعث بها فنعيش به الى قابل ولكن لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله :

وروي عن الامام موسى بن جعفر قال كنت عند سيدنا الصادق اذ دخل عليه اشجع السلمي يمدحه فوجده عليلا فجلس وامسك فقال له سيدنا الصادق عد عن العلة واذكر ما جئت له فقال اشجع :

البسك الله منه عافيـة في لومك المعتري وفي ارقك

يخرج من جسمك السقام كما اخرج ذل السؤال من عنقك

فقال الصادق (ع) يا غلام ايش معك قال اربعمائة درهم فقال اعطها للاشجع قال فاخذها وشكر وولى فقال ياسيدي سألت فاعطيت فلم رددتني قال حدثني ابي عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي انه قال خير العطاء ما ابقى نعمة باقية وان الذي اعطيتك لا يبقي لك نعمة باقية وهذا خاتمي فانه اعطيت به عشرة آلاف درهم والا فعد علي وقت كذا وكذا اوفك اياه قال ياسيدي قد اغنيتني وانا كثير الاسفار واحضر في المواضع المفزعة فتعلمني ما أأمن به على نفسي قال فاذا خفت امراً فاترك يمينك على ام رأسك واقرأ برفيع صوتك افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون . قال اشجع فحصلت في واد فعتت فيه الجن فسمعت قائلا يقول خذوه فقرأتها فقال قائل كيف نأخذه وقد احتجز بآية طيبة .

واما سخاء الامام السابع موسى بن جعفر (ع) فانه كان يصل بالمئتي دينار الى الثلاثمائة وكانت صرار موسى مثلاً بين الناس كانوا يقولون عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكى القلة وقد اعطى العمري الذى كان يؤذيه ويسبه ثلاثمائة دينار وله قصة لطيفة واعطى محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق الذي اراد ان يسعى به عند هارون اربعمائة وخمسين ديناراً وللفاً وخمسمائة درهم .

وروي انه حضره فقير مؤمن يسأله سد فاقته فضحك في وجهه فقال اسألك مسألة فان اصبتها اعطيتك عشرة اضعاف ما طلبت وان لم تصبها اعطيتك ما طلبت وكان قد طلب منه مائة درهم يجعلها في بضاعة يتعيش بها فقال الرجل سل فقال موسى (ع) لو جعل لك الخمي لنفسك في الدنيا ما كنت تتمنى ؟ قال كنت اتمنى ان ارزق التقية في ديني

وقضاء حقوق اخواني قال ومالك لم تسأل الولاية لنا اهل البيت ؟ قال ذلك قد اعطيته وهذا لم اعطه فانا اشكر على ما اعطيت واسأل رد مامنعت فقال احسنت اعطوه الفي درهم وقال اصرفها في كذا يعني في الحفص فانه متاع يابس .

واما سخاء الأمام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) فانه قضى دين ابي محمد الففاري وكان دينا ثقيلا واعطى الرجل الخراساني الذي افقد فقته في طريق الحج مأتي دينار واعطى ابا نؤاس ثلثمائة ديناراً والبغلة التي ركبها ولما دخل عليه دعبل ابن علي وابراهيم بن العباس في ولاية العهد انشده دعبل قوله :

مدارس آيات خلت من تلاوة

والشده ابراهيم :

ازال عزاء القلب بعد التجلد

وهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه :

وروى الصدوق عن البزنطي قال قرأت كتاب ابي الحسن الرضا (ع) الى ولده ابي جعفر (ع) يا أبا جعفر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير وانما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك احد خيرا فاسئلك بحقي عليك لا يكون مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسئلك احد الا اعطيته ومن سئلك من عمومتك ان تبره فلا تعطه اقل من خمسين دينارا والكثير اليك ومن سئلك من عماتك فلا تعطها اقل من خمسة وعشرين دينارا والكثير اليك اني اريد ان يرفعك الله تعالى فانفق ولا تخشن من ذي العرش اقتارا :

واما الإمام التاسع محمد الجواد فانه عمل بما كتب ابوه الرضا فصار يخرج ويدخل الباب الكبير ويعطي كل من يجده عند الباب :

اما ما ذكر عن سخاء الامام العاشر علي بن محمد الهادي فانه اعطى كل واحد من احمد بن اسحق وعلي بن جعفر الهمداني وعثمان بن سعيد ثلاثين الف دينار واعطى الرجل الذي قصده من الكوفة لأداء دينه ثلاثين الف درهم .

اما الامام الحادي عشر الحسن العسكري فقد اعطى علي بن ابراهيم ابن موسى بن جعفر خمسمائة درهما واعطى ابنه محمد ثلاثمائة وكان على الوقف واعطى اسماعيل العباسي مع كذبه في سؤاله مأة دينار واعطى لأبي يوسف شاعر المتوكل وكان فقيراً اربعمأة درهم واعطى بعض العلويين خمسين ديناراً .

وأما ما يكون من سيرة الامام المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من انصاره فقد اخبرنا بها اجداده الأئمة الأطهار الابرار ، فمن ذلك ما رواه في البحار عن جابر قال دخل رجل على ابي جعفر الباقر (ع) فقال له عافاك الله اقبض مني هذه الخمسمائة درهم فانها زكاة مالي فقال له ابو جعفر خذها انت فضعها في جيرانك من اهل الاسلام والمساكين من اخوانك المسلمين ، ثم قال اذا قام قائم اهل البيت قسم بالسوية وعدل في الرعية فمن اطاعه فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وانما سمي المهدي لانه يهدي الى امر خفي ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بانطاكية ويحكم بين اهل التوراة بالتوراة وبين اهل الانجيل بالانجيل وبين اهل الزبور بالزبور وبين اهل القرآن بالقرآن ويجمع اليه اموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها ، فيقول للناس تعالوا الى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرم الله عز وجل فيعطي شيئاً لم يعطه احد قبله ويملأ الأرض عدلا وقسطا ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً .

وروي عن ابي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) في قصة المهدي قال فيجيء الرجل فيقول يا مهـدي اعطني فيحثى له في ثوبه ما استطاع ان يحمله .

وفي خبر آخر في البحار مسنداً الى ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عد هذا حديث صحيح اخرجه مسلم عن زهير ابن حرب عن عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن داود . انتهى .

الصفة الخامسة التي ذكرها الله للمتقين : -

بقوله (وللمستغفرين بالأسحار) الاستغفار هو طلب العبد من الله ان يغفر له ذنبه وتقصيره والمغفرة والغفران هو ان يستر عليه الله ذنبه وان يعفو عما يستحقه العبد من العقوبة على ما صدر منه من الذنب والتقصير والاستغفار وطلب العفو من الله لا يعني انه صدر منه احد الذنوب التي يعرفها الناس من المعاصي الصغائر والكبائر فان هذا المعنى انما يكون بالنسبة الى سائر البشر غير الأنبياء والأوصياء الذين يلزم كونهم معصومين من الذنوب فان هذا القسم يرى نفسه مذنباً اذا اشتغل بأكل او شرب او نوم حيث انه شغل نفسه بما ينفع به جسمه ويرى ان الواجب عليه ان يصرف جميع أوقاته في عبادة الله .

ثم ان هذه الصفة وهي الاستغفار بالأسحار تدخل في صفة القنوت الذي تقدم اذا قلنا انه بمعنى الخشوع او الدعاء وتكون هـذه الصفة في وقف خاص وهو وقت السحر اذا عرفت ذلك فيلزم ان تعرف ان الاستغفار انما يتحقق من العبد اذا كان ملتفتاً الى نفسه وإلى تقصيره في حق مولاه وان هذا التقصير يستحق عليه العقوبة ويحذر من المولى ان يوقع به هـذه العقوبة فيتدارك تقصيره بالتوبة وطلب العفو والمغفرة ومن أحسن الأوقات

اقتداء بالأعداء قد تركوا ماينفعهم واهتموا بلعبة الاطفال . ومن شجون الحديث اني بالأمس قرأت في بعض الصحف الاسلامية افتخار المسلمين بفوز البطل محمد علي كلاي في الملاكمة فما ادري اي فرقة أو اى مذهب من مذاهب المسلمين جوز أو رجح لهذا البطل هذه اللعبة الخطرة التي قد تأتي على بعض اعضائه الرئيسية فتعيبها او تسقطها عن الاعتبار وقد تأتي على عينيه فتتركه جليس داره لاينفع نفسه ولا ينفع المسلمين بشيء من هذه القوة التي وهبه الله إياها ، وما ادري اي فائدة تعود عليه او على المسلمين من هذه الملاكمة ، نعم لو كانت في حرب المسلمين مع اعدائهم لكان ذلك من اعظم الأمور ألا ترون ان ضربة ، علي (ع) يوم الخندق الى الآن تذكر على المنابر وتكتب في الدفاتر حيث انها كانت لأجل الدين

وأما ماجاء من الاخبار في فوائد الاستغفار فقد روي عن النبي (ص) انه قال لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار ، وعن الامام الخامس أبي جعفر الباقر قال : كان رسول الله والاستغفار لكم حصنين حصينين من العذاب فمضى اكبر الحصنين وبقي الاستغفار فاكثروا منه فانه ممحاة للذنوب قال الله عز وجل : (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) (١) وعن النبي (ص) قال طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كل ذنب استغفر الله .

وعن الامام الصادق قال كان رسول الله (ص) لايقوم من مجلس وان خف حتى يستغفر الله خمسا وعشرين مرة .

وعن الصادق (ع) قال كان رسول الله (ص) يتوب الى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب قلت يقول استغفر الله واتوب اليه ، قال كان يقول اتوب الى الله وعن النبي (ص) قال من كثرت همومه فليكثر

(١) سورة الانفال الاية ٣٣ .

من الاستغفار ، وقال أمير المؤمنين (ع) العجب ممن يهلك والمنجاة معه ، قيل وما هي قال الاستغفار ، وعن النبي (ص) قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب .

فالذي يظهر من الاخبار ان البلاء الذى يصيب الناس انما يصيبهم لأجل اصرارهم على الذنوب وعدم استغفارهم تأمل في كلمة الامام أمير المؤمنين (عجبت لمن يهلك والمنجاة معه) فالعبد ينبغي له ان يذكر الله في كل أمر يريد فعله أو يذكره في كل يوم مرة ، اما الذي بيده السلطة والأمر والنهي فينبغي له ان يكون على حذر في كل حين وان يستغفر الله من كل خطيئة في كل وقت ومعنى الاستغفار من ذوي الأمر هو ترك ظلم العباد والا فان قول استغفر الله ربي واتوب اليه لا ينفعه اذا كان مجرداً عن ترك الذنب .

فقد ورد في الاخبار ان العبد اذا استغفر الله وهو باق على فعل المعاصي فهو كالمستهزىء بربه وان العقوبة ونزول البلاء اقرب واسرع الى هذا العبد من غيره . هذا ما أمكن ذكره في باب الاستغفار والآيات والأخبار الواردة فيه كثيرة جداً وبعد الوصول الى هنا فقد علمنا من الآية الشريفة ان المتصف بهذه الصفات الخمس فهو من المتقين وممن وعده الله بالأمور الثلاثة بالآخرة ، وان الذي فيه صفة واحدة أو صفتان او ثلاث من هذه الصفات فانه حائز على بعض صفات المتقين ويمكن ان توصله هذه التي فيه الى بقية الصفات ان كان ممن يتطلب العلى ويجاهد نفسه وبعد هذا نقول لما انتقل النبي (ص) من دار الدنيا الى دار الخلود فهل عثرت الأمة بعده او وجدت من هو حاو لهذه الصفات كلها او بعضها من أصحابه وخاصته وأهل بيته وهل ذكر اهل التاريخ ان احداً فحص وبحث وتصفح بعد النبي عمن اجتمعت فيه هذه الخصال أو ان القرآن والنبي (ص) أشار

منها الطلب من الله أن يحط عنهم خطيئتهم ويغفر لهم وقد جعل الله الدخول من الباب بهذه الكيفية المخصوصة علامة للمؤمن المطيع وعدم الدخول من هذه الباب او الدخول بكيفية اخرى او عدم التكلم بهذه الكلمة حين الدخول أو عدم نية الامتثال لأمر الله بان يدخل ويقول ولكن لاعن عقيدة وايمان وهو المنافق الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر ، وبعد ان جعل الله الدخول بهذه الكيفية هي العلامة الفارقة بين المؤمن والكافر كان المؤمن من بني اسرائيل اذا اراد الدخول من الباب احنى ظهره اي دخل الباب ساجداً وهو خاضع لله وهو يقول اللهم حط عنا الذنوب واغفر لنا ، وأما الكافر كان اذا أراد الدخول ولم يتمكن من الدخول قائماً حيث ان الباب كان واطئاً فكان الكافر يزحف على استه ويقول بدل حطة حنطة حمراء وقد اشار الله الى هؤلاء الذين بدلوا القول والفعل بقوله : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) .

فقد اتضح للمسلم الذي يروم التبصير في دينه والذي يطلب الرشد ولا يكون كالاعمى الذي يقوده غيره ، فلا يدري اين يضع قدميه ومايطأ برجليه اتضح له ان المؤمن هو الذي يدخل باب حطة على الكيفية التي امره الله بها وان الذي يمتنع من الدخول او يدخل على خلاف ما أمره الله فهو كافر وأنه من الظالمين وانه من الفاسقين الذين سينزل الله عليهم رجزاً من السماء . اذا عرفت هذا فاستمع لما يقوله النبي استمع ايها المسلم المصدق بالنبي محمد (ص) لما يقوله لك لبيك ويرويه عنه الثقاة من العلماء ثم ارجع الى عقلك فاسأله عما يحكم به من امور الدين فاعمل به ولا تخالفه فانك ان خالفت حكم العقل وحكم القرآن وحكم النبي فلماذا تسمى نفسك

مسلما فهل تريد ان تخدع نفسك او تخدع الناس فان ذلك لا يضر غيرك فاحذر وتثبت :

(في الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٧ قال الحديث الرابع والثلاثون اخرج الدار قطني في الافراد عن ابن عباس ان النبي (ص) قال علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) .

واخرج علي المتقي في كنز العمال جزء ٦ ص ١٥٣ والمناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٦ وكل منهما قال اخرجه الدار قطني في الافراد عن ابن عباس الى آخر الحديث المتقدم .

ايها المسلم : - قد عرفت معنى باب حطة وسمعت قول النبي (ص) والمراد من قوله ان من اتخذ علياً اماماً بعد النبي وعمل باقواله فهو كالداخل من باب حطه يعد عند الله وعند الرسول مؤمناً ويغفر الله له ذنوبه ومن لم يتخذ علياً اماماً ولم يعمل باقواله ولم يتخذ احكام دينه منه لم يكن من المؤمنين كما ذكر النبي فهو عند الله من الكافرين ، ولم يغفر له ذنوبه ويعاقبه عليها ، هذا صريح قول النبي فان كنت تفهم من قوله (ص) معنى آخر خلاف هذا الظاهر فخذ بما تفهم ودن الله به فانه سيحاسبك عليه ويعلم بسرك وخفي امرك فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور.

هذه رواية واحدة ذكرتها لك وهي كافيه لمن يتطلب الرشد فقد ذكرها رجل مناوي، للشيعة والف الصواعق رداً على الشيعة وذكر فيه هذه الرواية فالطالب للحق يكتفي بها بعدما عرف حقيقة باب حطة وسمع قول النبي واذا اردت التأكد والزيادة على هذه الرواية فان مثلها كثير من الروايات .

قال في منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند احمد (ج٥ص٣٩) علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (فط)

في الافراد عن ابن عباس وهكذا ذكره في المناقب المرتضويه للعلامة الشيخ محمد صالح الكشفي الحنفي وكذا ذكره في ارجح المطالب للشيخ عبيد الله الآمر تسري الحنفي وكذا ذكره في اسنى المطالب للعلامة الشيخ محمد درويش الحوت ، وكذا في ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي الحنفي ، وكذا في مفتاح النجافي مناقب آل العبا ، وذكره العلامة النبهاني في الفتح الكبير (ج ٢ ص ٣٤٢) ، وكذا ذكره الكثير من العلماء والمؤرخين ، وما الفائدة من التعداد والكتابة فان القاريء اما ان يكون طالباً للحق فانه يكفيه حديث واحد يذكره عالم غير متهم وان كان يريد كثرة الرواة وتعداد الروايات من غير تأثر بذلك فعليه بالكتب الكبار ، فليقرأ ما يشاء فان كل خبر وكل رواية يقرأها تكون حجة عليه يسأله الله عنها يوم الحساب الاكبر فلا يجد عذراً له ولا جواباً .

اذا عرفت هذا فلنرجع الى ما نحن فيه من الصفات الخمس المذكورة في الآية الشريفة وهل انها مجموعة في رجال نوه الله والرسول عنهم ؟

فنقول ان النبي (ص) لم يكن ليأمر أمته اجمع بالرجوع الى شخص ويحثهم على اخذ احكام دينهم منه ويحكم بايمان المتمسك وكفر المبتعد عنه كما سمعت من قوله : (علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) فان النبي (ص) لم يحث على هذا الا بالنسبة الى شخص يكون مثله باتصافه بجميع الاخلاق والصفات الحميدة وجمعه لجميع العلوم هذا الذي يمكن ان نقوله في حق النبي (ص) واذا قلنا غير هذا فقد قصرنا في حق النبي ، واما رواية عبد الله بن مسعود التي خرجها العلامة الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده حيث قال وعن عبد الله بن مسعود قال : (قال رسول الله (ص) علي بن أبي طالب باب الدين من دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) ، فمن اراد ان يدين

الله بالدين الذي جاء به رسول الله فليمتثل امر النبي وليدخل من باب الذي عينه له النبي (١)

فقد تحصل عندنا ان الرجال المتصفين بهذه الصفات من اول وجودهم في الدنيا إلى ساعة خروجهم منها هم الذين خصص الله لهم جزاء في الآخرة خيراً من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها ولا يكفي اتصاف البعض بهذه الصفات في بعض أيام حياتهم وان كان له عند الله الجزاء الحسن ولكنه لا يساوي المتصف في جميع أيام حياته ، فيلزم على الانسان العاقل ان يفحص ويبحث عن هؤلاء الرجال الذين مدحهم الله ورضى عنهم وجعلهم اهلا للجزاء الاخروي يلزم على المرء معرفة هؤلاء ليقتدي بهم في أقوالهم وأفعالهم ان كان ممن يطلب الرشد ويريد التقرب الى الله فان الله قد وصفهم بصفات كثيرة في آيات عديدة فمنها الآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى :

(شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (٢) .

الشهادة لغة مأخوذة من الشهود وهو الحضور ولا يجوز أن يكون أحد شاهداً على شيء حتى يكون متيقناً للشيء باحد الحواس وحيث ان وحدانية الله وعدله المعبر عنه بقيامه بالقسط ليسا مما يدركان بالجوارح والحواس الظاهرية وانما يدركان بالعقل والمعرفة ، فالشاهد عليهما من البشر لم يكن شاهداً بذلك المعنى أي مدركاً لهما بالحواس وانما قيل له شاهداً لكمال يقينه وقدرته على إقامة الحجة عليهما وقد جعل الله أولي العلم شهوداً

---

(١) ان الله يقول : (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها) .

(٢) سورة آل عمران : ١٨ .

على هذين الأمرين وهم من البشر قرنهم الله بالملائكة وأنزلهم بهذه الرتبة العالية بحيث اختارهم شهوداً على وحدانيته وعدله .

وهذا مقام رفيع اختص الله به أولي العلم من خلقه فان الآية وان لم تكن من موضوع الكتاب فانه خصص لصفات المؤمنين ولكن الآية هي من صفات أولياء المؤمنين فيلزم ذوي العقل وطالبي الرشد ان يفحصوا عن اهل العلم الذين اختارهم الله شهوداً لوحدانيته وعدله ، حتى يسمعوا منهم ما يفيضونه عليهم من العلوم المتعلقة بالوحدانية والعدل فهؤلاء الذين جعلهم الله شهوداً على هذين الأمرين والمطلوب من امة خاتم الأنبياء ان يدينوا الله بالاعتقاد بهذين الأمرين يلزم على كل فرد من الأمة ان يستمع الى ما يلقيه هؤلاء الشهود حتى يعرفوا معنى الوحدانية والعدالة والقيام بالقسط معرفة حقيقية مطابقة لما يريده الله وتعرفه الملائكة ، فانه لا يعرفها من البشر إلا أولوا العلم وان هؤلاء أي أولوا العلم الذين ذكرهم الله عندهم علوم القرآن بجميع انواعها واصنافها وحيث ان امة النبي ملزمة بالعمل بالقران يلزمهم الرجوع الى العلماء ليتعلموا منهم احكام القرآن أيضاً ، ثم نسأل الأمة هل انها تعرف من هؤلاء العلماء أحداً بعد رسول الله او انها بقيت في التيه عن معرفة الطريق اليهم ، نعم يتمكن التائه ان يعرف الطريق اليهم بكلمة واحدة اذا تأمل فيها واراد الاهتداء الى الطريق واذا اردت ان تعرف ما هي الكلمة فهي قول أولهم ورئيسهم الصادق المصدق قال علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب فهل ترى أيها العاقل الطالب للرشد الذي يريد الدين الصحيح الحقيقي هل ترى في امة محمد رجلا كهذا علمه رسول الله الف باب أو مائة باب أو عشرة أبواب يفتح له من كل باب عشر ابواب ، فما بال الناس لا تطلب العلم من هذا الرجل وقد خاطبهم مراراً عديدة قائلا لهم سلوني قبل أن تفقدوني .

أيها الأديب ان هذا العصر يختلف عما سبقه من العصور هذا عصر عرف فيه قدر العلم فانظر الت في خطب أمير المؤمنين وما فيها من بديع المعاني انظر إلى خطبته في التوحيد وما جمعت من أصول العلوم مالا تجمعه خطبة فمنها قوله : —

« ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عني من شبهه الخ ... » وقد اودع امير المؤمنين هذه العلوم كلها عند الائمة الاحد عشر من نهيه وهم الذين نوه عنهم رسول الله وسماهم باسمائهم فانظر لما صدر منهم من العلوم النافعة للبشر ولا تسلك طريقاً سلكه قبلك الناس اميون ليس لهم شيء من المعارف ، فانك بحمد الله عارف اديب تفهم الكلام وتميز بين الحسن وغيره .

انظر الى توحيد المفضل لتعرف الأدلة والبراهين التي بينها الامام الصادق للمفضل بن عمر واعرف لأهل العلم حقهم واعرف كيف فضلهم الله وعرف الأمة بهم حيث جعلهم شهداء لتوحيده وعدله وقيامه بالقسط وهي منزلة رفيعة عالية فلا تبخسها ولا تكن من الجاهلين ثم بعد ما بين لنا الله الأمور التي زينت للناس في الدنيا وانها تزول أو يزول عنها صاحبها وانبأنا ان عند الله خيراً منها وان هذا لا يكون الا للمتقين واخبرنا ان المتقين الحقيقيين انما هم من اتصف بهذه الصفات ، وعرفنا ان التقوى انما تحصل بالاعتقاد بعدله وانه قائم بالقسط ، وحيث ان الاعتقاد بقيامه بالقسط يلزمه الكف عن الظلم سواءا كان ظلماً للنفس أو ظلماً للغير فانه ان لم يكف عنه فمقتضى عدل الله القصاص منه ، وحيث ان الانسان خلق جاهلا لكل شيء وهو محتاج الى العلم بجميع انواع العلم حتى يتركه فيفوز برضى الله ولهذا خلق الله رجالا فالهمهم العلم وامرنا بالرجوع اليهم لنعرف احكام ديننا ثم بعد كل هذه الأمور اخبرنا بأنه لا يقبل منا الا ما عينه لنا

من الدين وهو قوله تعالى :

« ان الدين عند الله الأسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب »(١).

فان الاسلام هو التسليم لله ولرسوله في كل الأمور والخضوع والانقياد لامرهما ولهيهما ، وان جماعة من اليهود وهم الذين اوتوا الكتاب كانوا في المدينة واطرافها وكانوا يحدثون عن بعثة النبي ويذكرون اوصافه ويلتظرون ظهوره وكانوا يظنون انهم يمكنهم التلاعب والأحتيال والمكر والختل كما هي عادتهم في كل مكان واوان ، فلما بعث النبي ورأوا أنه لا يمكنهم ان يفعلوا شيئاً اظهروا الخلاف وغالطوا ولناقشوا وقالوا ان الموعود غير هذا (وما أختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) (٢) اما غير اهل الكتاب من الذين آمنوا بالنبي (ص) فان ساروا على الطريق الذي ارشدهم اليه ودلهم عليه وسلموا له في جميع الامور فان الله يقبل منهم ذلك ، واما إذا خالفوا أمر النبي وشرعوا اموراً من آرائهم وما تشتهيه انفسهم فان هذا من اعظم المآثم والجرائم وخذ لك مثلا واحداً أو قس عليه سائر الامور ، فان النبي (ص) قال لهم في مقامات عديدة (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانكم لن تضلو اما ان تمسكتم بهما) .

فينبغي للمرء ان يتدبر ويتأمل ويفكر ويتحقق ولا يكن من الغافلين وبعد ذلك يقول (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون)(٣) فان هذا الاعتذار لو كان الأمي الذي كان في العصور السابقة يقنع به

---

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٩ .

(٣) سوورة الزخرف ٢٣ .

نفسه يقهله منه مثل من كان مثله في الآية ، امـا في العصر الحاضر الذي دخل الناس فيه المدارس وتعلموا العلوم حتى تخرج منهم المدرس والمهندس والطبيب والدكتورا الذي يمكنه ان يتوصل إلى رتبة الوزارة أو غير ذلك من الرتب العالية فهل ترى ان الامي الذي امتد به الزمن فعاش إلى هذا العصر هل تراه يعذر هذا المتعلم لو اعتذر بهذا العذر . أو تراه يجابهـه بالرد عليه ويقول له انا ما كنت اعـلم ولا أفهم ولا أفكر بان ابي كان ضالاً فانت ايهـا الدكتور كيف تقول ذلك ؟ وانك توصلت إلى امور دقيقة عجز عنها جدك وابوك وهذا قول البسطاء للبلهاء السذج الذين لاعلم لهم ولا معرفة ولنذكر للدكتور كلمة قالها امير المؤمنين في تعريف الاسلام وعليه بالتدبر فيها لعله يتوصل منها إلى شيء ينفعه قال (ع) :

لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي... الأسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هوالأداءوالأداء هو العمل ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيـه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفرانه بانكاره ، ايهاالناس دينكم دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفروان الحسنة في غيره لا تغفر .

تامل في هذه الكلمات التي القاها عليك باب مدينة العلم فانه يقول ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه وهل يمكنك ان تأخـذ دينك عن ربك إلا بواسطة من قال في حقه النبي انا مدينة العلم وعلي بابها وقال علي علمني رسول الله الف باب من العلم يفتـح لي من كـل باب الف باب .

ايها الدكتور الاديب الفاهم لا تخدع نفسك فانه لا يقبل منك قولك (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) .

وبالختام لا باس بذكر شيء من فضل آية الشهادة :

قال في مجمع البيان ومما جاء في فضل هذه الآية مارواه انس عن النبي (ص) قال من قرأ شهد الله ... الآية ، عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة :

وعن الزبير بن العوام قال : قلت لأدنون هذه العشية من رسول الله وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقوله فحبست ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة رجل كان الى جنبه فسمعته يقول : (شهد الله انه لا إله الا هو) - الآية - فما زال يرددها حتى دفع :

وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية (شهد الله انه لا إله الا هو - الآية) - ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مراراً قلت لقد سمع فيها شيئاً فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك تردها فما بلغك فيها قال لا احدثك بها الى سنة فكثبت على بابه واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عهداً عندي وانا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي هذا الجنة :

وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً فلما نزلت (شهد الله انه لا اله إلا هو - الآية) خررن سجداً انتهى .

ثم بعد ما بين الله لعباده بواسطة نبيه ان الدين هو التسليم والانقياد والخضوع والامتثال في كل ما يأمر به المولى بحيث يأخذه عن ربه ولا يخلطه بشيء يأخذه عن رأيه بعدما بين لنا هذا بايضاح وجلاء ولم يبق فيه

شيء من الابهام والخفاء حتى يعتبر به من يريد الفتنة ويريد الفساد فمن كان بهذه الصفة فهو مؤمن ومسلم حقيقة ، ومن لم يكن بهذه الصفة فان الله أمر نبيه أن يقول للمخالفين له بأنه هو ومن اتبعه أي اتصف بهذه الصفات فهم المسلمون حقاً ، ثم يكرر عليهم السؤال ثانياً ويسألهم سؤال انكار وتوبيخ هل انهم اسلموا كاسلامه او انهم مصرون على البقاء فيما كانوا عليه فقال تعالى :

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) (١) :

أي بعدما بينت أيها النبي للناس حججك وأدلتك على توحيد الله وقيامه بالقسط وان القيام بالقسط معنى عام يشمل جميع المخلوقات من انواع البشر والحيوان والشجر والنبات والجن والملائكة بان خلقتها جعلت على هيئة حكيمة ليس فيها نقص ولا ميل الى زيادة او نقصان ومن جملة ذلك الشرائع السماوية فانها مركبة من قوانين حكيمة ليس فيها حرج ولاشدة على العباد ، وانها يلزم فيها الدقة في التطبيق ويلزم فيها امتثال أمر الله في الكثير والقليل فمن خالف قاعدة منها وعمل فيها برأيه فقد خرج من زمرة المؤمنين في هذه التي خالفها فبعد ما دل الدليل على قيام الله بهذا القسط العام وشهد الله والملائكة وأولوا العلم على ذلك اذا خالف مخالف واحتج معاند سواء أكان من أهل الكتاب أو من الأميين فقل لهم (اني اسلمت وجهي لله ومن اتبعن) .

فقد تبين مما تقدم ان الاسلام هو التسليم والانقياد والاذعان وهذه الآية توضح لنا هذا المعنى فان وجه كل ذي وجه اذا كان في يد احد

---

(١) سورة آل عمران ٢٠

وتحت ارادته يكون صاحب الوجـــه طوع ارادة ذلك المالك لوجهه ولا يمكنه التخلف عنه مقدار ذرة واحدة إذ انه لا يمكنه الانحراف عنه والميل إلى جهة أخرى فلا يتصور في حقـــه المخالفة وهذا هو التسليم والانقياد والخشوع واما القول باللسان مع عدم تسليم الوجـه فلا يتحقق به التسليم الحقيقي فالنبي (ص) مأمور من الله بان يقول لأهـل الكتاب من يهود ونصارى وغيرهم من الملل وللأميين يقول لهم اني ومن اتبعني قد أسلمنا وجوهنا لله فلا نخالف شيئاً من أوامره فهـــل انتم أسلمتم كاسلامنا فان اسلموا كاسلام النبي فينبغي لهم ان يسيروا على سيرته ويعملوا بأوامره في زمانه وبعد زمانه الى زماننا هذا فان الأمر واضح والطرين مستقيم والكتاب موجود على حاله ومؤولوا الكتاب ومفسروه والعالمون بحقائقه ودقائقه قد بينوا لنا جميع ذلك ودونت أقوالهم ولم يبق عـــذر لطالب الحق وأهم الأمور التي يجب متابعة أمر الله فيها هو اتباع من جعل الله علم احكام الشريعة عنده وأمر البشر بالأخذ منه فاذا ترك أحد من الأمة اخذ الأحكام من النبي أو ممن نصبه النبي لهذه الغاية وأخذ أحكام دينه من شخص آخر أو عمل برأيه فهذا الشخص تكون عباداته باطلة لا قيمة لها وهو مسؤول امام الله حيث ترك النبي ووصيه اما اذا قلت ان النبي لم ينصب وصياً من بعده وترك أمته تخبط خبط عشواء يكفر بعضها بعضاً فهذا قول لايرتضيه العقل ثم عليه ان ينظر في ادلة القائلين بنصب النبي خليفة للناس من بعده فاذا ردها كلها بأدلة أقوى منها ورأى أقواله أرجح من ذلك القول بالأدلة والحجج الكافية فليتمسك به وإلا فلا يجوز له العقل ان يقول به بلا دليل ويترك القول الآخر المؤيد بالأدلة الكافية وبعبارة أوضح واخصر يفهمها كل قارىء وأمي ان تسليم الوجـه ليس المقصود منه جلدة الوجه المجردة وإنما يكون الرأس كله بيد من سلم له الوجه فيكون حاله حال من أخذ

برأس أحد قد شد بحبل فانه لا يمكن ان يذهب يميناً وشمالا بل يتبع قائده ويسير حيث سار .

أما اذا كان يمشي خلف شخص من غير حبل يمسك رأسه فهو لا يتبع خطاه واذا رأى شيئاً عن اليمين او الشمال فاعجبه ذلك الشيء ترك صاحبه ومال يميناً أو شمالا او رجع القهقرى الى الخلف هذا هو معنى تسليم الوجه وقد أمرنا الله ان نسلم رؤوسنا وأنفسنا الى النبي بقوله تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وأمرنا النبي ان نسلم أنفسنا الى علي ابن أبي طالب بقوله في خطبة غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ألا هل بلغت قالوا بلى ، فقال له عمر بن الخطاب في ذلك اليوم بخ بخ لك يا بن أبي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

ثم بعدما أمر الله نبيه ان يسأل كل قارىء وامي هل اله أسلم كهذا الاسلام وهل سلم وجهه كهذا التسليم فمن فعل ذلك فهو من أمة النبي ومن اتباعه في الدنيا والآخرة وقد وصفهم الله بقوله (فان أسلموا فقد اهتدوا) ومن لم يفعل كفعل النبي واتباعه أي لم يسلم وجهه ورأسه ونفسه الى الله ورسوله ومن نصبه الرسول خليفة من بعده فقد عبر الله عنهم بقوله (وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) أي من لم يسلم وجهه لله فليس هو بمسلم ولا من امة محمد (ص) ولا من اتباعه وان الله عالم به وبصير بنيته السيئة ونواياه الخبيثة الردية .

قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على شيء قدير » (١)

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٢٦ .

وقوله تعالى : « تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب » (١)

ان من شروط المؤمن وصفاته التي يلزم الاتصاف بها هي أن يكون معتقداً بان الله تعالى هو المالك الحقيقي لكل شيء في الارض والسماء والبر والبحر وان الخلق كلهم عبيده يتصرف بهم كيف شاء وان مافي ايدي الناس من الاموال انما هي عارية جعلها الله في ايديهم واشترط عليهم شروطاً ورخصهم بالتصرف بها بكيفية مخصوصة وفي موارد مخصوصة وحتم عليهم الاعطاء منها في موارد معينة ، وحرم عليهم اعطاؤها في موارد معينة فمن اعطى في مورد المنع والحرمة يلزم من اخذها ردها ومن منع العطاء في وقت الوجوب فقد احتمل اثما يعاقبه الله عليه في الآخرة وان الله يعطي من يشاء متى شاء كيف شاء وياخذ ممن يشاء متى شاء وانه يخلق من الخلق مايشاء من انواعها واصنافها ويميت من يشاء من الموجودين فاذا اعتقد المرء اعتقاداً جازماً بان روحه بيد الله يسلبها منه في اي حين شاء لاينبغي له ان يقدم على ماحرم الله ولا ينبغي له ان ينكب على الدنيا وينغمس فيها واذا اعتقد وجزم ان مابيده من الاموال هي ملك لله وان الله جعلها وديعة عنده وأمره ان يعطي منها شيئاً معيناً للفقراء الذين يحتاجون الى قوتهم وقوت عيالهم لاينبغي له مع هذه العقيدة أن يمتنع عن العطاء ويبخل به مع علمه ان الله اذا شاء انتزعه في حينه وكذا اذا علم ان الله المالك لما في يده من المال الذي جعله وديعة عنده قد نهاه ان يصرف شيئاً منه في الوجوه المحرمة التي عينها له النبي وخلفاؤه خالف ارادة الله وصرف شيئاً في المحرمات فان الله سيعاقبه عليه .

وكذا يشترط في المؤمن ان يعتقد اعتقاداً جازماً بان العزة والذلة بيد

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٢٧ .

الله يعز من يشاء ويذل من يشاء فلا ينبغي له ان يطلب مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، ولا يخدم الظلمة اعداء الله واعداء رسوله واوليائه ويتقرب اليهم بمعصية الله ويظن انه يكون بذلك عزيزاً عند الناس فانه يصير ذليلا عند الله ، ومن كان ذليلا عند الله سيكون ذليلا عند الناس ، بل ينبغي للمؤمن العارف المطلع على الأخبار ان يأخذ بارشادات الائمة الاطهار (ع) فقد قال أمير المؤمنين (ع) (وان اردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته .

تنبيه :

ان الله تعالى ذكر في أول الآيات مايشتهيه الانسان في هذه الحياة وعبر عنه بانه زينة الحياة الدنيا قد ذكر انواعاً منها كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها .

وذكر بعد ذلك ان الله عنده حسن المآب وفي هذه الكلمة بيان ان هذه الأمور كلها ليس لها مآب حسن وان ذلك عند الله وهو غيرها ثم قال في آية بعدها :

(قل أؤنبئكم بخير من ذلك ...) الآية فقد نبأنا الله ان في الآخرة اشياء هي خير من الدنيا وزينتها فالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة جعلها الله من زينة الدنيا لانها تزول ولا تبقى اما الشيء الذي يسميه الله ملكاً فينبغي ان يكون مما يمتد نفعه الى الآخرة ولم يختص بالدنيا كتلك الأمور .

ولذا قال جماعة ان المقصود من الملك في الآية الشريفة هو النبوة والامامة والحكمة والعلم فانها احرى بهذا الاسم لانها باقية وتلك زائلة وبناء

على ان الملك هي هذه الامور او الأعم من الزائلة والباقية يلزم حينئذ على المؤمن ان يعتقد بان النبوة والامامة انما هي بارادة الله واشاءته يختار من يريد للنبوة ويختار من يريد للامامة ويودع احكام الحلال والحرام وما يحتاجه الانام عند النبي (ص) والامام فلا ينبغي لمؤمن ان يقول ان الامامة انما هي باختيار الأمة فان الأمة لاتعرف المصالح والمفاسد في تعيين هذا وعزل ذاك وانما يعرف الله ذلك ه (يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء) فهل ترى ايها المؤمن العاقل ان العزة التي يقصدها الله من قوله يعز من يشاء هي العزة بكثرة المال والأولاد او كثرة النساء او القناطير من الذهب والفضة فانظر الى قصة قارون وما كانت عاقبته وهذا كله داخل في قوله تعالى (قائماً بالقسط) فان قيامه بالقسط هو اعطاء النبوة والامامة لمن يمكنه من القيام بهما ويزيده بسطة في العلم والعقل وجميع المؤهلات لهذا المنصب العظيم الخطير :

اما الأمة اذا اجتمعت واتفقت واختارت رجلا منها على ان يكون اميراً لها ورئيساً يرشدهم لامور دنياهم فلا بأس بذلك ان كان قادراً على ذلك واما اذا اختارت الأمة رجـــلا ليكون خليفة للنبي ليرشدهم لأمور الدين فهذا ليس لهم وانما هو مما يرجع إلى ارادة الله فان خالفوا الله وفعلوا ذلك صار حكمهم كحكم من ذكرناه في آية الكرسي في قوله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

ايقاظ الى العرب خاصة والى المسلمين عامة

لقد ذكر المفسرون في سبب نزول آية الملك ان النبي (ص) لما

خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعاً احتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي (ص) سلمان منا اهل البيت .

قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا إذ كنا بجب ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق إلى رسول الله (ص) واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان العدل قريب واما ان يأمرنا فيه بأمره فانا لا نحتاج ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل ولا كثير فرقنا فيها بأمرك فانا لا نحب ان نتجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله (ص) المعول من يد سلمان فضربها بهضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى كان لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله (ص) الثانية فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق اضاء بها ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقى .

فقال سلمان بابي انت امي يارسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله إلى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم اضاء لي منها

قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق لي الذي رأيتم اضاء لي منها قصور حمير من ارض الروم كانها انياب الكلام واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي الذي رأيتم اضاء لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الاتعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا الى العدو فانزل الله ردا عليهم في هذه القصة .

قوله (قل اللهم مالك الملك الخ) فان الملك في الآية وان اختلف فيه هل انه الملك الدنيوي المنقطع كالمال والبنين أو الملك الذي ينجر إلى ملك الآخرة كالنبوة والخلافة فاذا حملنا الآية على معناها العام الشامل لملك النبوة وملك العلم وملك العقل وملك الصحة والاخلاق الحسنة والنفوذ والقدرة ، وملك المحبة وملك الاموال وغير ذلك فان اليهود كانوا يقولون ان النبوة كانت في آبائنا واسلافنا واما قريش فما كانوا اهل النبوة والكتاب فكيف تليق النبوة بمحمد وقد انزل الله هذه الآية الشريفة وهي بشارة للاسلام وانذار ووعيد لبني اسرائيل وان هذه البشارة للاسلام انما هي بشارة بجميع هذه المعاني التي ينطبق عليها معنى الملك اي الملك الديني والدنيوي الذي يكون العمل فيه بطاعة الله وانما نزع الله الملك بقسميه من بني اسرائيل لانهم عملوا فيه بمعاصي الله واختلفوا فيما بينهم فسلب الله الملك منهم وآتاه للمسلمين فتغلبوا عليهم ووطئوا ارضهم وديارهم وذلك حين قالوا عن عقيدة راسخة وايمان قوي (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من

تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) واهم كلمة واقوى عقيدة كانوا يتفوهون بها قولهم : (بيدك الخير انك على كل شيء قدير) .

ثم بعد ذلك تفرقت كلمتهم ووقع الخلاف بينهم وعملوا بمعاصي الله حتى انا نرى في زماننا ان الخمور تباع علانية في جميع البلاد الاسلامية وكذا الربا رائج في جميع البلاد والقوانين المخالفة للقرآن فلما وصلوا إلى هذه الدرجة تسلط عليهم عدوهم وسلبوا منهم ارضهم وديارهم حتى ان اذل الامم واحقر الامم وهم اليهود نراهم اليوم يناوئون قسما من الاسلام والقسم الآخر متفق معهم وهذا من اكبر الكبائر كما تسمعه في الآية التي بعد هذه الآية فانتظرها قريبا فاذا اراد المسلمون ان يعودوا إلى قوتهم وشوكتهم ويرجع اليهم ملكهم ويرجع اليهم عزهم وتعود اليهم هيبتهم فليتمسكوا بالآية الشريفة قولا وعملا وليقولوا : (اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) .

أما الآية السابعة والعشرون وهو قوله : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويرزق من يشاء بغير حساب) فانما يتعلق بموضوع البحث قوله : (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) على القول بان الحي والميت هما المؤمن والكافر والظاهر ان هذا القول اقوى من غيره فانه وارد عن اهل البيت وهم اعلم بتفسير القرآن من غيرهم وكذا يتعلق بموضوع بحثنا قوله تعالى : (ويرزق من يشاء بغير حساب) فان الرزق يعم الأموال الدنيوية والأخروية وهو العلم والحكمة فان الله رزق نبينا محمد (ص) جميع العلوم التي اعطاها لسائر الانبياء من آدم الى زمانه فهو اعلم الأنبياء وافضلهم واشرفهم ومع هذه العلوم التي اعطاه الله امره ان يطلب منه الزيادة بقوله : (وقل ربي زدني

علما) ولا ريب ان الله لما امره بهذا الدعاء وهذا الطلب يريد ان يزيده علما فهو يستجيب له كلما طلب منه والنبي لايطلبه مرة واحدة بل في كل يوم أوفي كل ساعة يقول ربي زدني علما ، وهو القائل كما روت عنه عائشة (اذا اتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم) اذا عرفت مقدار علم النبي (ص) (ولم تعرفه ولن تعرفه) فاعلم ان هذه العلوم كلها اودعها عند علي بن أبي طالب(ع) كما جاءت بذلك الروايات الصحيحة :

ويكفي في علم علي (ع) قوله علمني رسول الله الف باب : . الحديث فتكون ابواب العلم باصطلاح هذا العصر مليون باب ، هذا عدد الأبواب ولا ريب ان كل باب تفتح عن مدينة ثم ان امير المؤمنين اودع هذه العلوم الى الخلفاء الأحد عشر من بعده كل امام يودعها عند الامام الذي يليه حتى وصلت الى الامام الثاني عشر عجل الله فرجه :

واما فضل هذه الآية قال في مجمع البيان عند ذكر الآية روى جعفر ابن محمد عن آبائه عن النبي (ص) انه قال لما أراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا الى دار الذنوب والى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور وبالعرش ، فقال الله وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة مكتوبة الا اسكنته حضيرة القدس على ما كان فيه ، والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة وإلا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت : وقال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوماً لم أصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك من صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان

ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال : قل اللهم مالك الملك تؤت الملك من تشاء . . . الى قوله بغير حساب يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء اقض عني ديني ، فان كان عليك ملء الأرض ذهب لاداه الله عنك .

قوله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) (١) : بعدما بين الله عز وجل في الآيات السابقة ان المرء لا يكون مسلماً حتى يسلم وجهه لله وان تسليم الوجه لا يتحقق حتى يعتقد اعتقاداً جازماً بأن كل ما في الوجود من ناطق وصامت هو ملك لله تعالى وان الله هو المعطي والآخذ والمعز والمذل ، وكل ذلك بيده .

فالمسلم هو من توفرت فيه هذه الشروط واتصف بهذه الصفات ، فالذي لم تكن فيه هـذه الصفات لا يكون مسلماً وانما هو كافر والمسلم يحتاج الى تنظيم أمور دينه والى تنظيم امور دنياه .

وأما تنظيم أمور الدين فليستمدها من الله بواسطة النبي المبعوث من الله عز وجل ولا يتصور ولا يعقل بالنسبة الى أمور الدين المتعلقة بعبادة الباري والتي تحرز له النجاة في الآخرة ان يختار الانسان ثم ينصبه ويقف امامه ويعبده فهل يصوب عقلك هذا العمل فهؤلاء الفرق الذين ينكرون الخلفاء الراشدين كاليزيدية والبهائية وأمثالهم ويختارون رجلا منهم ويجعلونه دليلا لهم في عباداتهم وهو لا يعرف شيئاً من آيات القرآن ، ولا من سنة النبي وهم يدعون انهم من المسلمين ومن امة محمد (ص) فما أدري

(١) سورة آل عمران ٢٩

كيف وافقت عقولهم على ذلك ولكن ما حالهم الا كحال أولئك الذين كانوا ينحتون الأصنام ثم يعبدونها ، وهل يحكم عقلك بصحة ما ينسب للرسول الأعظم وهو أعقل أهل الأرض والسماء انه قال لامته عند اقتراب أجله اختاروا لكم خليفة كيف يقول والخليفة يلزمه العلم بتفسير القرآن وتأويله : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وقد عرفت من هم الراسخون في العلم فيما مر من تفسيرها .

وبناء على ان الملك في قوله تعالى : (مالك الملك) هو ملك الدنيا والآخرة فلا يمكن للمسلم ان يستند على القوانين الدينيـــة إلا المأخوذة من النبي أو من عينه النبي . واما بالنسبة الى ملك الدنيا فقد عرفنا من تفسير آية الملك ان المسلم هو المعتقد بان مالك الكل هو الله وانه هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، وانه هو المعز والمذل ، وان الخير كله بيده فيكون المسلم هو المعتقد بان خير الدنيـــا والآخرة بيد الله واشاءته وإرادته وان العزة والذلة بيد الله فـلا ينبغي له ان يأمل من مخلوق خيراً أو ملكاً أو مالا او عزاً اذ ليس بيد احد شيئاً .

نعم إذا كان المأمول منه ولياً من اولياء الله يمكن للمسلم ان يطلب منه الدعاء والطلب من الله ان يقضي حاجته ، اما إذا كان كافراً فالمسلم الحاوي على شروط الاسلام لا يمكن ان يواليه أو يأمل منه النفع وهـذا هو الذى بينه لنا الله بصيغة النهي عن موالاة الكافرين ، فلو ان واحداً أو جماعة من المسلمين والوا الكافرين فهذه الموالاة تكشف عن عدم رسوخ الاسلام في قلوبهم وقد اخبر الله عنهم بقوله : (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) تعرفنا هذه الجملة ان الله بريء منهم وان الاسلام بريء منهم وان المسلمين بريئون منهم وأنه هو بعيد عن الله وعن الاسلام وعن المسلمين لا ربط له بهم ولا صلة بينه وبين الله ولا بين الاسلام والمسلمين نعم قد استثنى الله صورة واحدة وهي إذا كان المسلم بين جماعة من الكافرين

وكان يخشى منهم على نفسه أو ماله أو اذى يوقعونه به فله ان يظهر لهم الموالاة بحسب الظاهر ويعاديهم في الباطن .

ثم بعدما بين الله منزلة الموالي للكافر بهذه الجملة الشديدة التي سمعتها حذره وهدده بجملة أخرى هي في الشدة كسابقتها فلا يتحمل مسلم احدى الجملتين فضلا عن تحملها معاً والجملة الثانية هي قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) اي ان الله بعدما نهى عن موالاة الكافرين وبين لكم انهم لا فائدة عندهم وان فوائد الدنيا والآخرة بيد الله وبين لكم ان الموالي لهم هو خارج عن جماعة المسلمين فهو يجري عليه أحكام الكافرين في كل الأمور وان الله لا يعينه ولا يساعده ولا يعطيه الا ما يعطي سائر الكفار فهو في الجملة الاولى قد خرج من جملة المسلمين ، وبالجملة الثانية نبهه الله ان ضرره على المسلمين اكثر من ضرر الكفار لأنه يظهر الاسلام وينافق فقد حذره الله من ان يبطش به في الدنيا ولا يؤخره إلى عذاب الآخرة كسائر الكفرة اذ بوجوده ضرر على المسلمين ، فيلزم اعلام المسلمين به ليحذروا منه فاذا اعلمهم به لابد وان ينتقمون منه بسلب الاموال وثم التنكيل به بانواع العذاب ، ولا ينتهي الأمر بهذا العذاب الدنيوي الذي يوقعه به البشر بل انذره الله بالعذاب الأخروي بجملة ثالثة وهي قوله : (وإلى الله المصير) فيلزمك ان تقرأ وتتطلع في الجملة على ما اعده الله من العذاب في الآخرة للكافرين ثم تنصف نفسك وترحمها .

قوله تعالى :

(قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات والارض والله على كل قدير) (١) لما بين الله في الآيات المتقدمة شروط الاسلام اللازمة وشرح لنا الصفات التي يلزم المسلم الاتصاف بها وبين ان

---

(١) سورة آل عمران ٣٠ .

الشرط الاخير هو مباينة الكافرين وعدم موالاتهم انما يدور اسلام المرء عليه وجوداً وعدماً فمن والاهم فهو ليس بمسلم ، والمسلم هو من لم يوالهم :

ذكر في هذه الآية ان عدم الموالاة انما يلزم ان يكون في الظاهر والباطن والكم اذا قاطعتموهم في الظاهر ووالتموهم في الباطن فان الله عالم بقلوبكم وصدوركم وظاهركم وباطنكم والأقرب والأنسب ان يكون هذا بالنسبة إلى جميع الشروط فمن لم يعتقد بان الملك بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولم يعتقد أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ومن لم يعتقد بأن الخير كله بيد الله ومن لم يعتقد بان الله هو الذي انتزع الملك من بني اسرائيل وجعله في قريش في بني هاشم في بني عبد المطلب في رجال عينهم الله وميزهم والهمهم العلم والحكمة حيث ان النبي نوه عنهم وسماهم فان كل صنف من هؤلاء الاصناف اسلامه غير مقبول عند الله إذ انه لم يسلم وجهه لله كما اسلم النبي ومن اتبعه فقوله تعالى : (قل ان تخفوا مافي صدوركم ... الآية) انذار لكل من تسمى بالمسلم ففقد احد الشروط لان الله يريد اسلاماً حقيقياً بالمعنى الذي عرفه لنبيه (ص) وسنه النبي بقوله اسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، فمن اراد متابعة الرسول فليحذوا حذوه وليتبع اثره فانه غير خفي على البصير المتتبع (قد تبين الرشد من الغي) .

قوله تعالى :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) (١) :

لما تبين من الآية السابقة ان الله عز وجل يعلم ما تنطوي عليه الصدور من النيات كما يعلم ما هو المكشوف من الاعمال وانه لا فرق عنده بين الظاهر والمستور كما انه يعلم جميع ما في السماوات والارض ولم تتعرض الآية

---

(١) سورة آل عمران ٣١ .

لاكثر من هذا فان اهل القلوب المريضة والنيات الخبيثة والسرائر الفاسدة وهم الذين يفقدون بعض شروط الاسلام المهمة لاسيما الشرط الاخير وهو مقاطعة الكافرين وعدم موالاتهم انهم بعد سماعهم الآية لعلهم يقولون او ان الله علم ما يخفى واطلع على نياتنا فهـذا لا يضرنا ما دام المسلمون لا يعلمون شيئاً منها ، فنحن نعاشرهم كما يعاشرهم غيرنا ونحصل على ما يحصل عليه غيرنا وان اصحابنا الكافرين أو المنافقين يعلمون بنا بأننا لسنا مسلمين فليكن حالنا مكشوفاً عند الله مستوراً عند المسلمين وحيث ان الاسلام بشروطه وصفاته هو خير محض وان التظاهر به مع فقدان بعض الشروط بهـذه النية السيئة هو سوء محض فقد بين الله سبحانه في هذه الآية ان ما عليه المرء في دار الدنيا من خير او سوء فسوف يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجسم له هناك وكل امرء يجازى بما كان عليه في الدنيا من خير أو سوء فان وجد خيراً يسر به وان وجد سوءاً يود في ذلك اليوم ان يكون بينه وبين ذلك السوء امداً بعيداً ما بين الارض والسماء ، او كبعد ما بين المشرق والمغرب ولكن لا ينفعه هذا التمني شيئاً :

فهذه الآية فيها اتمام الحجة على كل من تظاهر بالاسلام وهو فاقد لبعض شروطه ، اما في هـذا العصر وهو قرن الرابع عشر اذا لم تعرفه فنقول لك قرن العشرين فان اغلب المسلمين يوالون الكفار ويكونون عيوناً لهم على المسلمين فترى كل فرقة عيناً على الفرقة الأخرى نسأل الله تعالى ان يبدل مانحن فيه من فقـدان الشروط وان يجعلنـا مسلمين كاملي الايمان وان يعزنا بعزه انه ارحم الراحمين :

ثم بعـد مابين الله لعباده ان اعمالهم الحسنة والسيئة ستكون حاضرة عنـدهم وسيجازون عليها وان عامـل السوء يود في ذلك اليوم ان يكون بينه وبين عمل السوء امداً بعيدا وبعد هذا قال تعالى:(ويحذركم الله نفسه)

فان الله قد حذر بنفسه لانه قد بعث افضل الانبياء بخير الأديان واختار له اشرف الشرايع فجاهد النبي في نصرة هذا الدين وصرف عمره في جد وتعب حتى اسلم جماعة من امته طوعاً وكرهاً وبعد ذلك تحركت هذه الفرقة الموالية للكافرين وهي تريدان تكشف للكافرين مواقع الخلل من المسلمين وتساعدهم على حرب المسلمين ليخرجوهم عن دينهم فانهم بعملهم هذا يريدون محاربة الله ولذا حذرهم الله بنفسه حيث انه لايغالبه احد وهو على كل شيء قدير .

ثم بعد ذلك اعلمهم لو كانوا يعلمون وافهمهم بان هذا التحذير المؤكد المكرر انما هو لرأفته بهم ورحمته لهم فانه لايريد لهم إلا الخير وقد بين لهم كل مايجلب الخير فقال تعالى : (والله رؤوف بالعباد) ولو لم يكن من فضل الله على عبده إلا هذه الكلمة المتكفلة بالوعد برحمة العباد لكان اللازم على العبد العاقل ان يطيع الله ولا يعصيه ولكن الانسان جهول قوله تعالى : ـ

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (١).

هذه الآية الشريفة تأخذ الانسان من جميع جوانبه ولا تترك له مجالا للجواب عما يذهب اليه من المذاهب والفرق الثلاث والسبعين الا طريقاً واحداً الى الفرقة الحقة التي تتمسك بأقوال النبي (ص) في حياته وبعد وفاته على ما أمر به فاستمع الى الآية وافهم معناها ولا تعرض عنها ولا تجعل نفسك من الجاهلين الذين لا يفهمون الكلام العربي ان هذه الآية تقول للناس جميعاً ان من احب الله (وكل يدعي حب الله) فاليهود يقولون نحن ابناء الله واحباؤه والنصارى يقولون نحن نؤله عيسى حباً لله لانه ابن

(١) سورة آل عمران ٣٢ .

الله وعبدة الأصنام من العرب وغيرهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وذلك حباً لله ومن احب الله طلب رضاه ولا يحصل رضاه الا بعبادته وقد أمر الله نبيه ان يقول للناس عامة ان كنتم تحبون الله وتطلبون رضاه فانه لا يرضى عنكم ولا يحبكم وان عبدتموه وان صليتم وصمتم وفعلتم كل عبادة إلا ان تكون طاعتكم وعبادتكم عن طريق اتباع النبي وتعليمه المأخوذ عن الله ، ولا تنفع العبادة اذا كانت عن رأيك كما ذكرت لك عن قريب فالآية الشريفة تامر النبي : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله) أتدري كيف تكون من اتباع النبي انه بيّن لك ذلك قبل عدة آيات بقوله : (فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن) فان اسلمت وجهك لله كنت من اتباع النبي وصرت مسلماً وان لم تتبعه فان الله لا يحبك ولا يرضى عنك وان صليت وصمت وتصدقت وفعلت ما فعلت الا باتباع النبي تأخذ دينك عن الله لا عن رأيك وقد عرفت ان تسليم الوجه هو عبارة عن الانقياد والخضوع والعمل طبق امره ونهيه وعدم المخالفة في اقل شيء ولا يخفى على كل عارف ان النبي قد عين لنا من نرجع اليه بعد موته بقوله (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي) وفي رواية (اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) وان هذه الجملة قد رواها عن النبي جميع الفرق ، وقد تكررت من النبي في مجالس عديدة فما أدري ان التارك لهذه الجملة وغير العامل بمضمونها هل هو من اتباع النبي او أنه مفارق له في هذا المقام .

تأمل جيداً وانصف نفسك ان المفسرين للقرآن اذا وصلوا الى هذه الآية تراهم يشددون الأمر في وجوب متابعة النبي والعمل بما يأمرهم ولكنهم لا يذكرون لنا من الذي يفسر لنا القرآن تفسيراً حقيقياً ولا يذكرون من هو اعلم اصحاب النبي واقضاهم بارشاد ودلالة من النبي فهل ان التكليف

سقط عنا بعد النبي (ص) او ان اصحابه صار كلهم علماء لا يحتاجون احداً في حل المشاكل فلو فرض ذلك : فمن لأولادهم واحفادهم ؟

يقول ابن كثير في تفسيره (ج ١ ص ٣٥٧) هـذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقـة المحمدية فانه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله انه قال (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) انتهى ،

وقال السيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) ج ٣ ص ١٧٤ عند ذكر الآية ان حب الله ليس دعوى باللسان ولا هياماً بالوجدان الا ان يصاحبه الاتباع لرسول الله والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة وان الايمان ليس كلمات تقال ولا مشاعر تجيش ، ولا شعائر تقام ولكنه طاعة الله والرسول وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول . انتهى :

نوجه السؤال الى السيد قطب ونقول ان منهج الله الذى كان يحمله الرسول في حياته من يحمله بعد وفاته بحيث يتمكن من تطبيقه حرفياً لايفوته منه شي بأن يكون عالماً بتفسير القرآن كلـه والسنة النبوية فهل يوجد احد يمكنه هـذه الدعوى غير علي بن أبي طالب (ع) مدينة العلم وسيد اهل بيته الذين جعلهم عدلا للقرآن فهل يكون غض النظر عن هذا الامر المهم موافقاً لمنهج الله او مخالفاً له :

قوله تعالى :

« قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » (١)

هـذه الآية يكون بهـا الامتحان الخارجي الذي يتبين بها المسلم من الكافر فان الله امرهم بالآية التي قبلها باتباع الرسول ، والاتباع وان كان

(١) سورة آل عمران ٣٣ :

مهما شديداً دقيقاً يستدعي متابعة النبي (ص) في الافعال والاقوال ولكن يتمكن للذي يريد المخالفة ان يقول انا متابع له وكل شيء افعله اوسأفعله في بيتي ولكن في هذه الآية طلب الله من النبي ان يأمر بالاطاعة وامتثال الأمر فلا يتمكن من يريد الخلاف انيعتذر بالتسويف ويقول سافعل اوسوف افعل لان الامر بالاطاعة فعل كل شيء بوقته فعلاكان او قولا وهذا الأمر ممتد المفعول الى زمان انتقال النبي الى الله والى زماننا هـذا فلو كانت الطاعة من جميع الامة محققة لما وقع الخلاف الذي رأيناه بعد رحلة النبي ولما وقع الظلم العظيم على أهل بيته الذي جعلهم عدلا للقرآن اذ قال (ص) (سوف اسائل الامة عما فعلوا بأهل بيتي) يسائل كل فرقة عما فعلته مع عدل القرآن لأنه هو الذي قال : (ان القرآن والعترة لايفترقان حتى يردا علي الحوض واني سائلكم عنهما اذا وردتم علي الحوض) فعلى هذا فانه سوف يسأل كل فرقة عنهما اذا وردت عليه الحوض فمن تمسك بهما سوف ينجو من هول ذلك اليوم ومن لم يتمسك بهما فان النبي سيعرض بوجهه عنه ولا يسقيه من حوضه لان الساقي على الحوض هو نفس علي بن أبي طالب (ع) يسقي بأمر النبي وهو يعرف من والاه وتمسك به ويعرف من لم يوالله ولم يتمسك به والنبي (ص) ايضاً يعرفه والمؤمنون المسلمون الذين تمسكوا به يعرفون غير المتمسكين والملائكة تعرفهم وإضافة الى هذا سيجد عمله مكتوباً في صحيفته والله خير الشاهدين « فان تولوا فان الله لايحب الكافرين) : -

وبعد هذا كله نسأل سيد قطب وابن كثير ان الذي ترك حديث الثقلين واهمله ولم يرتب أثراً لهذا الاهتمام الذي ابداه الرسول في نشر هذا الحديث وابلاغ الأمة به فهل هذا الرجل عامل بمنهج الله الذي حمله الرسول الى الناس اجمع وهل انه متبع للشرع المحمدي والدين النبوي في جميع افعاله

واقوالله ولا يمكن ان يقال انه لم يطلع عليه لانه من اهل العلم والاطلاع كسيد قطب وابن كثير :

قال العلامة البلاغي رحمه الله في كتابه آلاء الرحمن ص ٢٧٥ عند ذكر هذه الآية : « واخرج ابو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم في مستدركه وعلى شرط البخاري ومسلم وعن ابن حيان في ابواب السنة والعلم ونحو ذلك باسانيدهم عن أبي رافع عن رسول الله (ص) قال : « لا الفين أحدكم متكئاً على اريكته يأتيه الأمر من امري مما امرت به اونهيت عنه فيقول لاندري ماوجدنا في كتاب الله اتبعناه » :

قوله تعالى :

« ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » (١).

بعد ان بين الله لعباده ان اعمالهم التي يعملوها له وعباداتهم التي يعبدوه بها انه لايقبلها منهم إلا أن تكون بواسطة النبي وارشاداته وتعاليمه وان كل عمل يعمله المرء المحب لله وان تفادى في حبه اذا لم يكن متبعاً لنهيه واخذ احكام دينه منه فلا فائدة في اعماله ولا يحبه الله ولا يرضى عنه وفي هذه الآية قد بين الله لنا ان الانبياء والأوصياء الذين يكونون واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ احكام الله الى الخلق ليسوا كسائر الناس في كل شيء فهم لايخطؤن ولا يذلون ولا يسهون ولا يعصون الله طرفة عين ولا يفعلون شيئاً لايريده الله لان الله اصطفاهم وصفاهم من كل كدر ومن كل سوء ومن كل شين ، صفاهم من كل عيب صفى جميع الانبياء اولهم آدم (ع) وآخرهم محمد (ص) وهو من آل ابراهيم فلا يشبههم احد من العالمين ولا يتمكن احد أن يكون مثلهم في الاعمال اوفي

(١) سورة آل عمران ٣٤ / ٣٥ .

الأخـــلاق اوفي الصفات التي يتمكن الانسان من اكتسابهـا والتخلق بها فكيف له بالنسبة إلى العلم الالهامي الذي لا يكون الا بارادة الله وقدرته وان الله خلق انبياءه من اول خلقتهم خالصين من كل كدر وعيب يكون في غيرهم خلقهم انواراً فجعلهم بعرشه محدقين :

فقد روى جميع الصحابة اخباراً كثيرة ان النبي (ص) قال خلقني الله وعلي بن ابي طالب من نور قبل ان يخلق آدم بالفي عام فكنا نسبح الله ونهلله في ساق العرش فلما خلق آدم قذفنا في صلبه ... الخ :

(ذخائر العقبي) ص ١٠ قال عن واثـــل بن الأسفع قال : قال رسول الله (ص) ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزاراً ، ثم اصطفى من ولد نزار مضراً ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانـة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبدالمطلب ثم اصطفاني من عبد المطلب :

(ثم قال) اخرجه بهذا السياق ابو القاسم حمزة بن يوسف السهمي واخرجه مسلم والترمذي وابو حاتم مختصراً ولما عرفنا الله في الآية السابقة انه لا يقبل شيئاً منا الا باتباع النبي لانه هو العارف باحكام الله فقط وهذا في زمن وجوده يتحقق وما بعد رحلته فلا يمكن ان يخبرنا احد عن حكم الله إلا من كان مثل النبي خالصا من كل كدر مصفى من كل دنس قد اصطفاه الله واستخلصه من ابراهيم خليلـه ولا يوجد أحد بهذه الصفات إلا علي بن أبي طالب اذ ان اغلب اصحابه بل كلهم الا من شذ قد سجدوا للاصنام وعبدوا الاوثان إلا علي كرم الله وجهـــه هذا مضافاً الى علمه وكرمه وشجاعته وجمعه للصفات الحميدة فليس لاحد ان يجعل الواسطة بينه وبين الله من سائر الناس بعد ان اعتبر الله في المبلغ ان يكون من المصطفين

الخالصين وان يكون من ذرية ابراهيم الذين لم يتلبسوا بظلم ولم يصدر منهم ذنب ، وقد بين الله ذلك لابراهيم وذلك لما قال له (اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين) فقد جعل الله الامامة في ذريته الذين لم يظلموا احداً ولم يظلموا انفسهم وأي ظلم اعظم من السجود للاصنام فلا يجوز لمن سجد للصنم ان يجعل اماماً وواسطة لتبليغ الأحكام :

أما الذي يختاره بعض الناس ولم ينصبه الله ولا الرسول فهو فاقد لجميع الشروط .

ثم ان بعض المفسرين الذين يكتبون ولا يدرون مايكتبون وان نفوسهم تأبى ان تكون الخلافة والامامة في آل محمد (ص) وآل ابراهيم وان اراد الله ورسوله ذلك ومن جملة هؤلاء سيد قطب فانه يقول في كتابه (ظلال القرآن) ج ٣ ص ١٨٠ نص عبارته :

(يبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختار لحمل الرسالة الواحدة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة ليكونوا طلائع الموكب الايماني في شتى مراحله المتصلة على مدار الاجيال والقرون فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض) :

ثم يقرر سيد قطب اصلا لايوافقه عليه اهل اللغة فيقول لغرض ابعاد الخلافة عن آل محمد من ذرية ابراهيم يقول بعد كلامه المتقدم :- (وليس من الضروري ان يكون ذرية النسب وان كان نسب الجميع يلتقي في آدم ونوح فهي اولا رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي ولسب هذه العقيدة والموصول (في ذلك الموكب الايماني الكريم) ثم يقول بعد سطرين ص ١٨١ ولقد ذكر السياق آدم ونوحاً فردين وذكر آل ابراهيم وآل عمران اسرتين اشارة الى ان آدم بشخصه ونوحاً بشخصه هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء فأما ابراهيم وعمران

فقد وقع الاصطفاء لهما ولذريتهما كذلك على القاعدة التي تقررت في سورة البقرة عن آل ابراهيم قاعدة ان وراثة النبوة والبركة في بيته ليست وراثة الدم انما هي وراثة العقيدة ان المقصود من اخفاء مافي النفس هو مايعزم عليه العبد من المعاصي ولكن لم يظهره للناس وليس المقصود منه كل مايختلج بالنفس من الوساوس الشيطانية ثم تزول في حينها فان هـذا مما لايعاقب عليه كما ورد في الاخبار ويؤيده حكم العقل حيث ان هذا غير اختياري للانسان ولا يمكنه دفعه عن نفسه فالاقرب والأولى في معنى الآية ان المقصود ممن يخفى هو المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه وهم الذين اظهروا مافي انفسهم بعد النبي فانقلبوا على اعقابهم فان الله يحاسبهم على ماكانوا يكتمونه في وجود النبي وهم عازمون على اظهاره بعده فالآية واردة في مقام التهديد والترهيب والتخويف فانه تعالى بعد مابين لنا جملة من احكام الصدقة والربا والدين والاشهاد عليه واداء الشهادة عرف اهل القلوب المريضة الذين يظنون ان الاعتراف باللسان والانكار في القلب كاف وبين لهم ان هذا لايفيدهم شيئا وان الله يحاسبهم على ما انطوت عليه قلوبهم من نياتهم السيئة المخالفة لأوامر الله وكذا تكون الآية مقدمة لما يأتي من ان الايمان هي السمع والطاعة وان السماع وحده لايحقق الايمان وعلى هـذا فلا يمكن ان يكون قوله : (لايكلف الله نفسا الا وسعها) نسخا لهذه الآية فانه لم يتحقق التكليف بغير الوسع والطاقة حتى يأتي نسخه هذا بالنسبة الى ناوى العصيان وأما بالنسبة الى ناوى الطاعة فالآية تكون ترغيبا ووعدا وبشارة بان الله عالم بهذه النية الحسنة وانه يحاسبه عليها كما ورد في الأخبار بان لناوي الحسنة اذا لم يعملها تكتب له واحدة والعامل يكتب له عشرة .

وهذا رأيه بعيد عن ظاهر الآية وان اشتمال الآية على كلمتي الآل والذرية يكشف عن ان المراد ذرية النسب ، نعم لولا وجود هاتين الكلمتين

لامكن الحمـــل على الاتحاد في العقيدة وذلك كقوله تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) الى آخر الآيات .

ثم لو سلمنا ما يقول من ان المقصود الاتحاد في العقيدة والايمان والعلم والتقى والزهد الى آخر الصفات فهل هناك احد اشبه برسول الله (ص) من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لا يمكن لأحد يدعي ذلك إلا مكابر مجازف ويؤكد مما قلناه قوله تعالى : (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) فان جعل بعضها من بعض ينطبق على النسب لا على العقيـدة

ذكر في العيون في حديث الرضا مع المأمون قال المأمون هل فضل الله العترة على سائر الناس فقال ابو الحسن (ع) ان الله ابان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون اين ذلك من كتاب الله فقال له الرضا في قوله : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم على العالمين ذرية بعضها من بعض) الى آخر الحديث .

وروي عن الصادق (ع) قال : قال محمد بن الأشعث بن قيس الكندي للحسين (ع) يا حسين بن فاطمة اية حرمـة لك من رسول الله ليست من غيرك ؟ فتلى الحسين (ع) هذه الآية : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم على العالمين ذرية بعضها من بعض) ثم قال والله ان محمداً (ص) لمن آل ابراهيم وان العترة الهادية لمن آل محمد (ص) .

نور الثقلين ج ١ ص ٢٧٤ رقم الحديث ١٠٢ .

في أصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن ابراهيم عن يونس عن هشام بن الحكم في حديث بريه (هو رجل من النصارى) لما جاء معه الى أبي عبد الله فلقى أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) فحكى

له هشام الحكاية فلما فرغ قال ابو الحسن لبرية يا برية كيف علمك بكتابك ؟ قال انا به عالم .

ثم قال كيف ثقتك بتأويله ؟ قال ما أوثقني بعلمي فيه ، قال فابتدأ ابو الحسن (ع) يقرأ الانجيل فقال برية إياك كنت اطلب منـذ خمسين سنة او مثلك ، قال فآمن برية وحسن ايمانه وآمنت المرأة التي كانت معه فدخل هشام وبرية والمرأة على أبي عبد الله (ع) فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى وبين برية ، فقال ابو عبد الله (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) فقال برية : إني لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء ؟ قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا ان الله لا يجعل حجة في ارضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري .

قال الفخر الرازي عند ذكر هذه الآية في تفسيره الكبير ج ٨ ص ٢٢ :

المسألة الثانية اصطفى في اللغة : اختار ، فمعنى اصطفاهم أي جعلهم صفوة خلقه تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة ، ويقال على ثلاثة اوجه صفوه ـ وصفوه ـ وصفوه . ونظير هذه الآية قوله لموسى (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي) وقال في ابراهيم واسحاق ويعقوب (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) اذا عرفت هـذا فنقول في الآية قولان :

الأول : المعنى : ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح فيكون الاصطفاء راجعاً الى دينهم وشرعهم وملتهم ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف :

الثاني : ـ ان يكون المعنى ان الله اصطفاهم أي صفاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة وهـذا القول أولى لوجهين احدهما أنا لا نحتاج فيه الى الاضمار والثاني انه موافق لقوله تعالى :

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) :

وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لابد وان يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية ، أما القوى الجسمانية : فهي اما مدركة واما محركة ، اما المدركة فهي اما الحواس الظاهرة واما الحواس الباطنة اما الحواس الظاهرة فهي خمسة :

أحدها القوة الباصرة ولقد كان الرسول مخصوصاً بكمال هذه الصفة ويدل عليه وجهان :

الأول قوله صلى الله عليه وآله « زويت لي الأرض فاريت مشارقها ومغاربها » :

والثاني قوله (صلى الله عليه وآله) « أقيموا صفوفكم وتراصوا فاني أراكم من وراء ظهري » ونظير هذه القوة ما حصل لابراهيم وهو قوله تعالى : (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض) ذكروا في تفسيره انه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الأعلى والأسفل :

قال الحليمي رحمه الله : وهذا غير مستبعد لان البصراء يتفاوتون فروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فلا يبعد ان يكون بصر النبي أقوى من بصرها :

وثانيها القوة السامعة : وكان (ص) أقوى الناس في هذه القوة ويدل عليه وجهان أحدهما قوله (ص) اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى فسمع اطيط السماء ، والثاني انه سمع دوياً وذكر انه هوي صخرة قذفت في جهنم فلم تبلغ قعرها الى الآن قال الحليمي ولا سبيل للفلاسفة الى استبعاد هذا فانهم زعموا ان فيثاغورث راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك ونظير هذه القوة لسليمان (ع) في قصة النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) فالله تعالى اسمع

سليمان كلام النمل وأوقفه على معناه وهذا داخل أيضاً في باب تقوية الفهم وكان ذلك حاصلا لمحمد (ص) حين تكلم مع الذئب وسمع البعير .

وثالثها تقوية قوة الشم كما في حق يعقوب فان يوسف لما أمر بحمل قميصه اليه والقائه على وجهه فلمـا فصلت العير قال يعقوب اني لأجد ريح يوسف فأحس بها من مسيرة أيام .

ورابعها تقوية قوة الذوق كما في حق رسول الله (ص) حتى قال ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم .

وخامسها تقوية القوة اللامسة كما في حق الخليل (ع) حيث جعل الله تعالى النار برداً وسلاماً عليه .

فكيف يستبعد هذا ويشاهد مثله في السمندل والنعامة . واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال الله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى) ومنها قوة الذكاء قال علي (ع) علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم واستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي صلى الله عليه وآله ؟ .

واما القوى المحركة فمثل عروج النبي الى المعراج وعروج عيسى حياً الى السماء ورفع ادريس والياس على ما وردت به الاخبار . وقال الله تعالى : (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) (١) .

وأما القوى الروحانية العقلية : فلابد وان تكون في غاية الكمال ونهاية الصفاء واعلم ان تمام الكلام في هذا الباب ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس ومن لوازم تلك النفس الكمال في الذكاء والفطنة والحرية والاستعلاء والترفع عن الجسمانيات والشهوات فاذا كانت الروح في

---

(١) سورة النمل ٤٠

غاية الصفاء والشرف وكان البدن في غاية النقاء والطهارة كانت هذه القوى المحركة والمدركة في غاية الكمال ، لانها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر الروح واصلة الى البدن ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال كانت الآثار في غاية القوة والشرف والصفاء اذا عرفت هذا فقوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً) معناه ان الله اصطفى آدم أما من سكان العالم السفلي على قول من يقول الملك افضل من البشر أو من سكان العالم العلوي على قول من يقول البشر أشرف المخلوقات .

ثم وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم (ع) هم شيث واولاده الى إدريس ثم الى نوح (ثم) الى ابراهيم ثم حصل من ابراهيم شعبتان اسماعيل واسحق فجعل اسماعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد (ص) وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيصو ، فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيصو واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وآله فلما ظهر محمد (ص) نقل نور النبوة ونور الملك إلى محمد وبقيا أعني الدين والملك لاتباعه الى يوم القيامة ومن تأمل في هذا الباب وصل الى أسرار عجيبة . انتهى كلام الفخر الرازي .

أقول أيها المسلم الذي يروم الوصول الى رضا الله قد عرفت من كلام هذا العالم الكبير ان النبي (ص) لابد وان يكون اكمل أهل زمانه من جميع الجهات وعرفت ان الدين والملك قد حصره الله في محمد ولم يعطه لأحد غيره وان النبي قد جعله في أمرين من بعده وهما الثقل الأكبر والثقل الاصغر وهما القرآن والعترة اهل بيت النبي وان القرآن لا يقدر أحد أن يفسره ويبين تأويله غير أهل البيت علي وبنيه (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الفخر الرازي من تعلم علي ملبون باب من العلم فهل يسوغ لك عقلك أن تأخذ أحكام دينك من غير علي وبنيه وهل عند أحد من الناس من العلم

عشر معشار ما عنده ، فلينصف العاقل نفسه ولا يخدعها فانها اعز الأنفس عليه : قال الفخر الرازي بعد كلامه المتقدم ص ٢٤ المسألة الثالثة :

من الناس من قال المراد بآل ابراهيم المؤمنون كما في قوله : (ادخلوا آل فرعون) والصحيح ان المراد بهم الأولاد وهم المراد بقوله تعالى : (اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) نعرف من هذا ان الأمامة في ذرية ابراهيم الذين لم يصدر منهم ظلم الى الناس ولا الى أنفسهم فمن لم يكن مؤمناً حين عرف نفسه كالامام علي (ع) لا يمكن أن يكون اماماً :

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (١) :

ان قصة المباهلة متفق على مضمونها بين المفسرين : وحاصل القصة هي ما روي ان النصارى لما دعوا إلى المباهلة قالوا للنبي حتى ننظر فلما تخالوا أي خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقب ما ترى وكان صاحب الرأي فيهم فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا ، فان أبيتم ألا آلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله (ص) وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهم صلوات الله عليهم أجمعين ، والنبي يقول إذا أنا دعوت فأمنوا : فقال أسقفهم : يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله . فلا تباهلوا فأبوا المباهلة . فصالحوا على الفي حلة وثلاثين درعاً في كل عام : فقال للنبي (ص) والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً

---

(١) سورة آل عمران ٦١

ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر :

هذا ملخص قصة المباهلة وقد اكثر فيها المفسرون واطنبوا وذكروا فضلا كثيراً لأهل بيت نبيهم وفخروا بهم على أعدائهم ويحق للمسلم ولمن يعتقد بنبوة محمد (ص) ان يفخر بأهل بيته ، أما الامامية الذين يشترطون العصمة في الخلافة وهم القائلون بامامة علي بعد النبي بلا فصل : وان غيره انما يجوز ان يكون خليفة اذا كان مثله معصوماً من الخلل وان يكون حاوياً لكل علم بحيث لا يحتاج الى غيره في شيء من العلوم أبداً فانهم يستدلون بأفضليته على غيره بهذه الآية من وجهين :

أحدهما : أن موضوع المباهلة انما هو لتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح ان يفعل الا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً بصحة عقيدته وهو أفضل الناس عند الله بعد النبي (ص) .

الثاني : أنه جعله مثل نفسه بقوله : وانفسنا وأنفسكم « لأنه اراد بقوله أبناءنا الحسن والحسين بلا خلاف وبقوله ونسائنا فاطمة بلا خلاف وبقوله وانفسنا نفسه ونفس علي (ع) بلا خلاف واذا جعله مثل نفسه وجب اذ لا يداليه احد في الفضل ولا يقارنه وكذا تدل الآية على أفضلية الزهراء على سائر النساء إذ المقصود من قوله نساءنا هي فاطمة الزهراء بلا خلاف لأنه لم يحضر المباهلة غيرها . وان المباهلة هي لتميز الحق من الباطل ولا يكون ذلك إلا بمن هي أفضل النساء ويؤيد هذا بما جاء في الخبر ان النبي قال : فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها » وقال النبي (ص) : إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها » وقد صح عن حذيفة أنه قال : سمعت النبي يقول :

أتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة لساء أهل الجنة وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت أسر النبي (ص) الى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها

فقالت : قال لي : (أترضين ان تكوني سيدة نساء هـذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت والاخبار عن النبي (ص) في فضلها كثيرة وكذا الآية تدل على أفضلية الحسنين واني أنقل لك نص عبارة الفخر الرازي في تفسيره الكبير لتعرف ان العالم المنصف لا يبخس أحداً حقه قال في ج ٨ صحيفة ٨٦ :

« المسألة الرابعة » هذه الآية دالة على ان الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابنى رسول الله (ص) وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا ابنيه ، ومما يؤكد هذا قوله تعالى : في سورة الأنعام » ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله وزكريا ويحيى وعيسى ، ومعلوم ان عيسى انما انتسب الى ابراهيم بالأم لا بالأب فثبت ان ابن البنت قد يسمى ابناً ثم قال الفخر الرازي :

المسألة الخامسة كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثنى عشرية وكان يزعم ان علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد (ص) قال والذي يدل عليه قوله تعالى : « وانفسنا وأنفسكم » وليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لأن الانسان لا يدعو لنفسه بل المراد به غيره :

واجمعوا ان ذلك الغير كان علي بن أبي طالب (رض) فدلت الآية على ان لنفس علي (ع) هي نفس محمد ولا يمكن ان يكون المراد منه ان هذه النفس هي عين تلك النفس فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل لقيام الدلائل على ان محمداً كان نبياً وما كان علي كذلك . ولانعقاد الاجماع على ان محمداً كان أفضل من علي (ع) فيبقى فيما وراءه معمولا به ثم الاجماع دل على ان محمداً كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم ان يكون

علي أفضل من سائر الأنبياء فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية ثم قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله (ع) من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وابراهيم في خلقه وموسى في هيبته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن أبي طالب (ع)

فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم وذلك يدل على ان علياً (رض) أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد واما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على ان علياً (رض) افضل من سائر الصحابة وذلك لأن الآية لما دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد (ص) إلا فيما خصه الدليل وكان نفس محمد أفضل من الصحابة فوجب ان يكون نفس علي أفضل أيضاً من سائر الصحابة . هذا تقرير كلام الشيعة (انتهى) كلام الرازي :

وقال الزمخشري في الكشاف ج ١ صفحة ١٩٣ بعد مانقل القصة كما نقلناها هنا ثم قال « وعن عائشة ان رسول الله خرج وعليه مرط ، مرجل من شعر أسود فجاء الحسن (ع) فادخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة فادخلها ثم علي ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » انتهى :

وقال ابن كثير في تفسيره ج ١ صحيفة ٢٧٠ : وقال أبو بكر ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا احمد بن داود المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود ابن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال : « قدم على النبي العاقب والطيب فدعاهما الى الملاعنة فواعداه على ان يلاعناه الغداة قال فغدا رسول الله (ص) فاخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم ارسل اليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال : « فقال رسول الله (ص) والذي بعثني بالحق لو قالا « لا » لأمطر عليهم الوادي

نارا قال جابر : وفيهم نزلت « ندعو أبنائنا وابنائكم ونساءنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم » قال جابر « انفسنا وانفسكم رسول الله وعلي ابن أبي طالب وابنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن احمد بن محمد الأزهري عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند (به) بمعناه ثم قال « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا قال :

وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلة وهذا أصح وقد روي عن ابن عباس والبراع نحو ذلك انتهى ماذكره ابن كثير .

ولا يخفى ان كل من فسر القرآن عند وصوله الى هذه الآية يذكر هذه القصة ومن الواضح ان المسلم المؤمن بالنبي (ص) اذا سمع مدح أهل بيت نبيه يفرح بذلك ويسر ويذكره للناس افتخاراً به وان هذه القصة فيها من المدح العظيم .

اولا ماقاله اسقف النصارى لأصحابه فانه قال لاتباهلوا فاني أرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيلوا جبلا لازاله .

وثانياً قول النبي (ص) لو باهلتهم لأحترق عليهم الوادي ناراً ، ثم ان النبي (ص) قد تحاجج مع جماعات عديدة فهل سمعتم أنه احضر بنته في مورد من هذه الأحتجاجات إلا في هذا المورد حيث إنه مورد مهم يتوقف عليه تأييد الدين وإني لأعجب من بعض الكتاب أرى له لساناً قوالا وقلماً سيالا واطلاعاً واسعاً لايمكن ان يفوته حديث روي عن النبي (ص) وقد ورد عن النبي (ص) في حق علي من احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد ابغضني.. وهكذا ورد في حق فاطمة والحسن والحسين فلا عذر من يدعي الاسلام وهو لايحب هؤلاء واني نظرت الى ماذكره هذا الكاتب في تفسيره واذا به قد ذكر

كلمات قليلة ولم يتعرض فيه للقصة اوللمعجزة واليك نص عبارته بعد ذكره لآية المباهلة قال وقد دعا الرسول (ص) من كانوا يناظرونه في هذه القضية الى هذا الاجتماع الحاشد ليبتهل الجميع الى الله ان ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة وتبين الحق واضحاً. انتهى: ماقاله هذا الكاتب بعدما اطال الكلام في مدح المسيح وأمه واطنب في الثناء على مريم وهن أهل لذلك ولكن هذا الكاتب لم ير نفسه أهلا لمدح اهل بيت رسول الله (ص) ولا اهل للثناء على بنت محمد المصطفى واذا اردت ان تنظر كلامه بعينك في كتاب ظلال القرآن ج ٢ صحيفة ٢٠٣ طبعه ثانية والنظر العبارة بنفسك لعلك تجد له عذراً في عدم ذكر فضيلة لأهل بيت النبي وقد ذكروا من جملة الاسئلة التي سأل المأمون عنها الرضا (ع) قال المأمون ما الدليل على خلافة جدك علي بن أبي طالب قال الامام الرضا (ع) الدليل على ذلك آية انفسنا اي: لوكان هناك شخص اقرب الى نفس النبي من حيث الروحانية والنورانية والصفاء والاصطفاء من علي بن أبي طالب لعبر النبي عنه بالنفس ولأخذه معه وباهل به إذ المباهلة ينبغي ان تكون بأفضل الناس بعد الرسول بحيث لم ينقص عن الرسول (ص) إلا درجة النبوة ويساويه في بقيـــة الصفات الحميدة هذه العبارة تفسيره للكلمة التي قالها الرضا في جواب المأمون:

وهي قوله: «آية انفسنا» وقد فهم المأمون ماقصده الرضا من كلامه وعرف معناه فأجابه بجواب متين واحتج عليه بما يمكن الاحتجاج به من علماء البشر الغير المصطفين الذين لم يحيطوا بدقائق معاني الكلام احاطة تامه فقال المأمون: «لولا نسائنا اي ان وجود كلمة نسائنا مقابل انفسنا يدل على كون المراد من أنفسنا الرجال فيشمل كل رجل سواء في ذلك المتكلم وغيره وهو جواب متين لكنه لم يتنبه الى مايعلمه الراسخون في العلم

فقال لـــه الرضا (ع) : « اولا أبنائنا » اي لو كان المقصود من انفسنا مطلق الرجال الشامل للبعيد المباين للنفس لكان شاملا للحسنين فلا حاجة الى قوله وابنائنا فسكت المأمون ولم يعترض لأنه من اهل الفهم والإدراك وفي تفسير العياشي طبع قم ج ١ صحيفة ١٧٥ عن حريز عن أبي الله قال « ان امير المؤمنين سئل عن فضائله فذكر بعضها ثم قالوا له زدنا فقال : « ان رسول الله (ص) أتاه حـــبران من أحبار النصارى من أهل نجران فتكلما في أمر عيسى فانزل الله هذه الآية « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » الخ .. فدخل رسول الله (ص) فاخذ بيد علي والحسن والحسين وفاطمة ثم خرج ورفع كفه الى السماء وفرج بين أصابعـه ودعاهم الى المباهلـــة : قال : « وقال أبو جعفر (ع) وكذلك المباهلة يشبك يده في يده ويرفعها الى السماء فلما رآى الحبران قال احدهما لصاحبه والله لئن كان نبياً لنهلكن وان كان غير نبي كفانا قومه فكفا وانصرفا .

قوله تعالى : « ان هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله « وان الله لهو العزيز الحكيم * فان تولو * فان الله عليم بالمفسدين » (١)

أي هذا الذي اوحيناه اليك عن كيفية خلقة عيسى وما اشتمل عليه من الادلة هو الحق وليس غيره حق وان ماادعته النصارى من انه هو الله او ابن الله اوثالث ثلاثة فكلـــه باطل لان الله وحده لاشريك له وليس هناك إله إلا الله وانه هو العزيز الذي يفعل مايريده بلا استعانة بأحد بل بقدرته وقوته وهو الحكيم الذي تكون افعاله كلها مطابقة للحكمة والمصلحة فلا يعرف احد الحكمة غيره .

تم الكتاب بحمده تعالى وصلى الله على محمد
وآله الطاهرين

---

(١) سورة آل عمران : ٦٢ .

فهرس مواضيع الكتاب

ص

٨ تفسير فاتحة الكتاب .

٩ اجماع الصحابة ومن بعدهم على ان البسملة جزء منها :

١٠ فضل قرائتها .

١٠ تفسير آياتها :

١٢ معنى الصراط المستقيم :

١٣ كلام بعض العلماء في تعداد نعم الله :

١٤ في بيان المغضوب عليهم والضالين :

١٦ بيان ادنى ما يكون العبد به كافراً :

١٦ ومن شجون الحديث :

١٧ قسمة الفاتحة بين الله وبين عبده .

١٨ الحث على العمل بها بدقة وتدبر :

سوره البقرة :

١٩ معنى الحروف المقطعة .

١٩ القرآن هدى للمتقين .

٢٠ الحث على التقوى وبيان فوائدها الكثيرة .

٢٢ تفسير التقوى :

٠٠ مراتب التقوى .

٠٠ الآية التي تصف المتقين ،

٢٣ تعداد صفات المتقين :

٢٥ آية ١١٩ :

٢٥ آية ١٢٠ :

حث المسلمين على التمسك بالقرآن الكريم

ص

٢٦ آية ١٥١ :

٢٧ قوله تعالى تذكروني اذكركم آية ١٥٢ .

٢٩ في معنى ذكر الله لعبده وذكر العبد لربه :

٣٠ ارشاد :

٣٢ قوله واشكروني ولا تكفرون :

٣٢ ٣٣ ايقاض في حقيقة الشكر .

٣٤ محصل البحث :

٣٦ آية ١٥٢ :

٣٧ آية ١٥٤ :

٤٠ تفسير المراغي :

٤٢ آية ١٥٣ — ١٥٤ — ١٥٥ :

٤٨ تفسير سيد قطب .

٥٢ بالصبر والصلاة يتغلب على الكافرين .

٥٥ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات : . . الخ :

٥٧ ارواح المؤمنين بعد الموت :

٦٠ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون .

٦٢ كلام ابن كثير :

٦٣ الحديث الصحيح من كلام الله تعالى :

٦٥ من كلام علي بن الحسين .

٦٦ الميزان في تفسير القرآن :

ص

٧٢ نشأة البرزخ :

٧٥ آية ٦٣ من سورة النحل :

٧٦ المآكل المحللة والمآكل المحرمة :

٧٧ الشيطان : انما يأمركم بالسوء والفحشاء آية ١٦٩ البقرة :

٧٨ آية ١٧٣ البقرة .

٨٠ آية ١٧٧ البقرة :

٨٢ خطبة النبي وهي آخر خطبة .

٨٣ معنى الايمان بالقرآن :

٨٥ الايمان ببعثة النبيين :

٨٧ وجوب ايتاء الزكاة :

٨٨ قوله تعالى : — والصابرين بالبأساء والضراء ،

٨٩ محصل البحث :

٩٠ تنبيـــه :

٩٠ آية ١٧٨ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ٥

٩٣ آية ١٨٠ كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت :

٩٤ آية ١٨١ فمن بدله بعد ما سمعه .

٩٥ آيه ١٨٢ فمن خاف من موص جنفاً .

٩٥ آية ١٨٣ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام :

٩٦ اللطف الاول :

٩٦ اللطف الثاني ،

٩٧ اللطف الثالث :

٩٨ = الرابع : واللطف الخامس :

ص

٩٩ اللطف السادس والسابع :

١٠٠ في بطلان الصوم في السفر وامر عمر الرجل ان يعيد صومه :

١٠١ سؤال اليهودي للنبي عن ثواب من صام رمضان .

١٠٢ آية ١٨٦ في استجابة الدعاء :

١٠٤ اشارة امير المؤمنين الى المتعهد على غير فقه كحمار الطاحونة :

١٠٥ تقسيم العباد الى ميامين ومناكيد وملاعين :

١٠٦ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة : آية ٢٠٧ بقرة :

١٠٧ في معرفة معنى السلم متى تدخل فيه :

١١١ المنقول من تفسير المراغي :

١١٣ آية ٢٠٩ فان زللتم من بعد ما جائتكم البينات :

١١٥ تفسير ابن كثير :

١١٦ كلام صاحب الميزان :

١١٨ كلام صاحب الكشاف :

١١٨ آية ٢٥٤ يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم :

١١٩ آية ٢٥٧ لا اكراه في الدين :

١٢٠ كلام الفخر الرازي .

١٢١ كلام المراغي :

١٢٢ كلام السيوطي الدر المنثور :

١٢٢ كلام سيد قطب :

١٢٦ مناقشه سيد قطب :

١٢٩ الرد على سيد قطب :

١٣٢ مانقله مؤرخوا العامة من حديث الثقلين .

ص

١٣٣ تفسير المراغي .

١٣٤ تفسير الطبري :

١٣٧ آية ٢٦١ مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة :

١٣٨ آية ٢٦٢ .

١٣٩ تحقيق في كيفية الانفاق :

١٤٠ آية ٢٦٤ :

١٤١ آية ٢٦٥

١٤٣ آية ٢٦٧

١٤٤ آية ٢٦٨

١٤٤ تحقيق بعض الاعلام في كيفية وسوسة الشيطان

١٤٨ آية ٢٦٩ يؤتى الحكمة من يشاء

١٤٩ تحقيق في معنى الحكمة

١٥٠ تحقيق في تشخيص الحكيم

١٥٢ كلام سيد قطب في الحكمة

١٥٣ كلام الطبرى

١٥٤ كلام ابن كثير في الحكمة

١٥٦ كلام السيوطى في الحكمة

١٥٧ تنبيه في مدح الحكمة

١٥٨ تعداد معانى الحكمة وذكر الاقوال فيها

١٦٠ تنبيه لذوى اللب

١٦٢ تكملة لابد منها

١٦٣ ماذكره علماء العامة من فضل أمير المؤمنين

ص

١٦٤ وصية الانبياء والائمة في اكتساب الحكمة

١٦٧ كلام القندوزى الحنفى في تعداد الائمة

١٦٩ اشعار تمثل في تعداد الائمة

١٧٠ دخول جندل بن جناده بن جبير اليهودى على النبي وطلب اسماء الائمة

١٧٢ قول النبي لاقول الا بعمل ولا قول ولا عمل الا بنية الخ

١٧٤ آية ٢٧١ ان تبدوا الصدقات الخ

١٧٥ آية ٢٧٢ ليس عليك هداهم

١٧٧ آية ٢٧٣ للفقراء الذين احصروا الخ

١٧٨ آية ٢٧٤ الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الخ

١٧٩ الروايات الواردة في فضل الصدقة والانفاق

١٨٠ في ذكر اقسام الصدقات والثواب عليها

١٨١ آية ٢٧٥ الذين يأكلون الربا

١٨٢ سؤال عن سبب الاختلاف

١٨٤ آية ٢٧٦ يمحق الله الربا الخ

١٨٦ آية ٢٧٧ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

١٨٩ تنبيه للغافل والمتغافل

١٩١ آية ٢٨٠ وان كان ذو عسرة

١٩٢ آية ٢٨١ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

١٩٣ آية ٢٨٣

١٩٥ آية ٢٨٥ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه

١٩٧ ومن شجون الحديث ماذكره العروسى

ص

٢٠٠ نداء للمسلمين

٢٠١ خاتمة في تعيين الطريق الذي يتحقق به السمع والطاعة

٢٠٢ في تخصيص علي في معرفة علم الظاهر والباطن

سورة آل عمران

٢٠٣ آية ٧ هو الذي انزل عليك الكتاب الخ

٢٠٤ تعريف المحكم والمتشابه

٢٠٥ ماروى عن امير المؤمنين في المحكم والمتشابه

٢٠٦ ماذكره في البحار عن امير المؤمنين في اصناف آيات القرآن

٢٠٨ نداء لذوى اللب

٢٠٩ كلام المسعودي في كتابه اثبات الوصية

٢١٢ كلام الشيخ محمد مرعى في قول النبي علي اخي

٢١٣ نداء لطالب الرشد

٢١٤ نداء لطالب الرشد

٢١٦ نداء لطالب الرشد

٢١٨ ماقاله أمير المؤمنين في ان الكفر على خمسة وجوه

٢١٩ تحقيق دقيق في كلمتين

٢٢٥ كلام العروسي في تفسير نور الثقلين

٢٢٦ بقى شيء يتعلق بما نحن فيه

٢٢٩ نداء لصاحب العقل السليم

٢٣٠ ايقاظ

٢٣٢ سؤال موجه لأهل العلم

٢٣٣ نداء للشباب

ص
٢٣٤ إعتراف أبي حنيفـــة بعلم الامام الصادق :
٢٣٥ اعتراف ابن قتيبة والشبلنجي بعلم الامام الصادق
٢٣٦ ماروي عن الامام الصادق من الشعر في هذا المقام
٢٣٦ ماروي عن تفسير الثعالبي
٢٣٧ دلالة الراسخين على أنفسهم
٢٣٨ ينبغي للعاقل أن يفرغ قلبه ويصغي بسمعه
٢٣٩ ماروا ه الشيخ البهائي والمجلسي عن سليم بن قيس
٢٣٩ تقسيم أمير المؤمنين للرواة على اربعة اقسام
٢٤١ اذا تأمل العاقل في كلمات هذه الرواية
٢٤٢ قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير
٢٤٤ آية ١٣ من سورة آل عمران زين للناس حب الشهوات
٢٤٦ آية ١٥ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
٢٤٧ ما اعده الله للمتقين الأول جنات تجري من تحتها الانهار الثاني ازواج مطهرة
٢٤٨ قصة ديلية علمية
٢٥٣ ماروا ه القطب الراوندي من اسلام الديراني
٢٥٦ الامر الثالث الذين اعده الله للمتقين :
٢٥٧ كلام العلامة البلاغي في تفسيره :
٢٥٨ آية ١٥ الذين يقولون ربنا انا آمنا :
٢٥٩ في تعيين الوسيط بين الله والعدل في تبليغ الاحكام :
٢٦٠ وصف المتقين بخمس صفات :
٢٦٢ كلام للنبي مع أهل بيته :

ص

٢٦٣ كلمة الشيخ محمد عبده في تفسير كلام امير المؤمنين :
٢٦٥ من الشعر المنسوب لأمير المؤمنين .
٢٦٦ مقدار صبر فاطمة الزهراء .
٢٦٧ الصفة الثانية من صفات التقي الصدق ،
٢٧٦ الصفة الثالثة من صفاة المتقين هي قوله والقائتين .
٢٧٨ لداء للمسلم ان يعرف القائتين .
٢٧٩ الصفة الرابعة من صفات المتقين قوله والمتقين :
٢٨١ في مدح الانفاق :
٢٨٢ في تصدق امير المؤمنين :
٢٨٣ في سخاء الامام الحسن :
٢٨٣ في سخاء الامام الحسين :
٢٨٤ في سخاء الامام علي بن الحسين .
٢٨٥ في سخاء الامام الباقر والامام الصادق .
٢٨٦ في سخاء الامام السابع موسى بن جعفر :
٢٨٧ في سخاء الامام الثامن والامام التاسع :
٢٨٨ في سخاء الامام العاشر والحادي عشر والثاني عشر :
٢٨٩ الصفة الخامسة من صفات المتقين قوله والمستغفرين بالاسحار :
٢٩١ تلبيه للحكومات الاسلامية .
٢٩٢ ما ورد في الاخبار من فوائد الاستغفار ،
٢٩٥ في تفسير باب حطه :
٢٩٧ قول ابن حجر في الصواعق وعلي المتقي في كنز العمال :
٢٩٩ آية ١٨ اشهد لله إله لا اله الا هو .
٣٠١ لداء للاديب .
٣٠٢ في معنى الاسلام آية ١٩ .

ص
٣٠٣ نسبة امير المؤمنين الاسلام مالم ينسبه احد قبله :
٣٠٤ في فضل آية الشهادة .
٣٠٥ آية ٢٠ فان حاجوك فقل اسلمت وجهي :
٣٠٧ آية ٢٦ قل اللهم مالك الملك :
٣٠٩ تنبيـــه .
٣١٠ ايقاظ الى العربي خاصة والى المسلمين عامة :
٣١٣ الآية ٢٧ يولج الليل في النهار :
٣١٥ آية ٢٩ لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء :
٣١٧ آية ٣٠ قل ان تخفوا مافي صدوركم .
٣١٨ آية ٣١ يوم تجد كل نفس ماعملت
٣٢٠ آية ٣٢ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون
٣٢١ تأمل جيداً وألصف نفسك
٣٢٢ كلام سيد قطب
٣٢٢ آية ٣٣ قل اطيعوا الله والرسول
٣٢٣ سؤال موجه الى سيد قطب وابن كثير
٣٢٤ آية ٣٥ إن الله إصطفى آدم ونوح
٣٢٥ ماذكره في ذخائر القعبى
٣٢٦ الرد على سيد قطب
٣٢٨ كلام الالوسي في تفسيره قصة الرجل النصراني المسمى بريه
٣٣٠ كلام الحليم في كتاب المنهاج
٣٣٢ نداء للمسلم الذي يروم الوصول الى رضا الله
٣٣٣ آية ٦١ فمن حاجك فيه
٣٣٥ كلام الفخر الرازي في آية المباهلة
٣٣٦ كلام الزمخشري وابن كثير

جدول الخطأ والصواب

ص	سطر	الخطأ	الصواب
١١	٥	الخوف	للخوف
١٤	١٨	يستفيدوا	يستعيذوا به
١٤	٢٣	من ثلاثا	ثلاثا
١٨	٨	ولياك	ودلياك
٢٤	٦	لاتخطر	لايخطر
٢٧	١٣	يتلوا مع الالف	يتلو بلا الف
٣٠	٢٢	اما ذاك يهم	اما ذاك الذي يهم
٣٤	١٦	نعمة	نعمه
٣٤	٢١	الطريق الموصل	فينحصر الطريق الموصل
٥٧	٢٢	يجب	يحب
٨٠	٧	وهو كاف	فهو كاف
٨٣	٢	بمـا	ممـا
٨٨	٤	والحاكم	والحكم
١٠٤	٧	عبدنا	عبادنا
١٠٥	١	الجبار	الحبار
١٠٦	٥	يلتحق	يلتحقوا
١٠٧	٦	المؤمن	المؤمنين
=	١٨	فان رسول الله تركنا	والا فقد تركنا رسول الله
١٠٨	١٠	يحب	يحسب
١١٠	١٢	يذكر	يذكروا
=	١٦	نحو	نحوا
١١٥	١ـ٣	الآيات التي هنا جاءت في غير موقعها من خطأ الطابعة	

ص	سطر	الخطأ	الصواب
١١٩	٣	إن يشفع	ان يشفع له
١٢٠	١٠	من الرشد	من الرشد والغي
١٢٥	٢٢	يأخذها الحصر	لا يأخذها الحصر
١٢٦	١٣	قربهم الله	قرنهم الله
١٢٦	١٨	قربهم الرسول	قرنهم الرسول
١٢٨	١٦	مناشرة	مباشرة
١٣١	١	نطلب من	نطلب منه
١٤٨	٢٠	القرآن عند	القرآن لايكون عند
١٤٩	٧	التعنب	التغلب
=	١١	بخير عنده	بخير وليست عنده
١٥٧	١٧	فضل	افضل
١٨٩	٣	مايستحسن العهد توقيفيه	ما يستحسنه العبد
٢٠١	١٢	حاتمة	خاتمة
٢٠٣	١٧	الرسخون	الراسخون
٢٠٩	١	الذكرون	انتركون
٢٢١	١٤	الموسوخ	المرسوخ
٢٢٨	١٠	الدليولية	الدنيوية
٢٣٢	٢٣	واعترفوا	واغترقوا
٢٣٣	١٦	لا يفترقا	لن يفترقا
٢٣٧	١١	بغضة	ابغض
٢٣٧	١٣	فضل	مفضل
٢٣٨	١	من	ممن
٢٤٠	١٨	وفض	ورفض
٢٤٥	٦	وللانسان في	وللانسان زينة في

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٢٤٨	١	فالفرق	فالفراق
٢٤٨	١٦	بريد	بريداً
٢٤٩	٦	واطراف	واطرف
٢٥٤	١٨	لياعا	عطاشا
٢٥٦	١٨	من الذين	منه الذين
٢٥٨	٢٢	فيهم	منهم
٢٦١	١٥	انه قال	انه اى
٢٦٤	١١	لهت	كهت
٢٦٨	٥	اكبر	الاكبر
٢٦٩	٤	لم	لن
٢٧٠	٩	فقوله تعالى ليس	فقوله ليس
٢٨٥	٩	يقول	يعول
٢٨٦	٣	شكر وولى	سقطت هنا كلمة ياغلام رده
=	٦	فانه	فان
٢٨٩	٢٠	وقف	وقت
٢٩٩	١	من باب	من الباب
٣٠١	٧	من لهيه	من هليه
=	٢١	انواع للعلم	انواع الظلم
٣١٢	٣	الكلام	الكلاب
٣٢٢	١	صار	صاروا
٣٢٧	١٥	هي	هو
٣٢٨	٧	ممـــا	مـــا
—	٨	جعل بعضها	جعل الذرية بعضها
٣٣٤	١٥	اذ	ان

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY